٤٧٢
١٢ / ١٠ / ٣٧

الجزء الثالث

من كتاب المختصر فى أخبار البشر

وهو ذلك التاريخ الذى سرت بذكره الركبان

وأثنى عليه أرباب هذا الفن فى كل زمان حتى كان

عمدتهم الذى يرجعون فى إحقاق الحق اليه ويعولون

فى مهمات منقولاتهم عليه تأليف الملك المؤيّد

عماد الدين اسماعيل أبى الفدا صاحب حماة

المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

هجريه رحمه الله

تعالى آمين

الطبعة الأولى

بالمطبعة الحسينية المصريه

على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر أخبار الاسماعيلية بالشام

وقتلهم وحصر الفرنج دمشق * كان قد سار رجل من الاسماعيلية يسمى بهرام بعد قتل خاله ابراهيم الاسترابادى ببغداد الى الشام ودخل دمشق ودعى الناس الى مذهبه واعانه وزير توري صاحب دمشق وهو طاهر بن سعد المزدغانى وسلم الى بهرام قلعة بانياس فعظم أمر بهرام بالشام وملك عدة حصون بالجبال وجرى بين بهرام وبين أهل وادى التيم مقاتلة فقتل فيها بهرام وقام مقامه بقلعة بانياس رجل منهم يسمى اسماعيل وأقام الوزير المزدغانى عوض بهرام بدمشق رجلا منهم يسمى أبا الوفا وعظم أمر أبى الوفا حتى صار الحكم له بدمشق فكاتب أبو الوفا الفرنج على أن يسلم اليهم دمشق ويسلموا اليه عوضها مدينة صور واتفقوا على ذلك وأن يكون قدوم الفرنج الى دمشق يوم الجمعة ليجعل أبو الوفا أصحابه

على

على أبواب جامع دمشق وعلم تاج الملوك توري صاحب دمشق بذلك فاستدعى وزيره المزدغانى وقتله وأمر بقتل الاسماعيلية الذين بدمشق فثار بهم أهل دمشق وقتلوا من الاسماعيلية ستة آلاف نفر ووصل الفرنج الى الميعاد وحصروا دمشق فلم يظفروا بشئ وكان البرد والشتاء شديدا فرحلوا عن دمشق شبه المنهزمين وخرج توري بعسكر دمشق في أثرهم وقتلوا منهم عدة كثيرة وأما اسماعيل الباطنى الذى كان في قلعة بانياس فانه سلم قلعة بانياس الى الفرنج وصار معهم

﴿ ذكر ملك عماد الدين زنكى حماة ﴾

(في هذه السنة) ملك عماد الدين زنكى حماة وسببه انه كان بحماة (سونج) ابن توري نائبا بها عن أبيه توري وكان قد سار عماد الدين زنكى من الموصل الى جهة الشام وعبر الفرات وأرسل الى توري يستنجده على الفرنج فأرسل توري الى ولده سونج بحماة يأمره بالمسير الى عماد الدين زنكى فسار سونج اليه فغدر عماد الدين زنكى بسونج وقبض عليه وارتكب أمرا شنيعا من الغدر ونهب خيامه والعسكر الذين كانوا صحبته واعتقل سونج وجماعة من مقدمى عسكره بحلب ولما قبض عماد الدين زنكى على سونج سار من وقته الى حماة وملكها لخلوها من الجند ثم رحل عنها الى حمص وحاصرها مدة وكان قد غدر أيضاً بصاحبها قيرخان بن قراجا وقبض عليه وأحضره صحبته الى حمص ممسوكا وأمره أن يأمر ابنه وعسكره بتسليم حمص فأمرهم قيرخان فلم يلتفتوا اليه فلما أيس زنكى منها رحل عنها عائدا الى الموصل واستصحب سونج وأمراء دمشق معه واستمر بهم معتقلين وكتب توري اليه وبذل له مالا في ابنه سونج فلم يتفق حال

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) ملك الفرنج حصن القدموس (وفيها) توفي أبو الفتح أسعد بن أبى نصر الفقيه الشافعى مدرس النظامية وله طريقة مشهورة في الخلاف وكان له قبول عظيم عند الخليفة والناس (وفيها) توفي الشريف حمزة بن هبة الله بن محمد العلوى الحسينى النيسابورى سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وجمع بين شرف النسب وشرف النفس والتقوى وكان زيدى المذهب (ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر فتح الاثارب)

فيها جمع عماد الدين زنكى عساكره وسار من الموصل الى الشام وقصد حصن الاثارب لشدة ضرره على المسلمين فان أهله الفرنج كانوا يقاسمون أهل حلب على جميع أعمال

حلب الغربيـة حتى على رحبى بظاهر باب الجنان بينها وبين سور حلب عرض الطريق وأظن ان اسمها العربية وكان أهل حلب معهم في ضيق شديد فسار عماد الدين اليه ونازله وجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وقصدوا عماد الدين فرحل عماد الدين عن الاثارب وسار الى ملتقاهم فالتقوا واقتتلوا أشد قتال ونصر الله المسلمين وانهزم الفرنج ووقع كثير من فرسانهم في الاسر وكثر القتل فيهم ولما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الاثارب فأخذوه عنوة وقتلوا وأسروا كل من فيه وخرب عماد الدين في ذلك الوقت حصـن الاثارب المذكور وجعله دكا وبقى خرابا الى الآن

(ذكر وفاة الآمر بأحكام الله العلوى)

(في هذه السنة) في ذى القعده قتل الآمر بأحكام الله العلوى أبو على منصور بن المستعلى أحمد بن المستنصر معد العلوى صاحب مصر وكان قد خرج الى مستنزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه وكانت ولايته تسعا وعشرين سـنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما وعمره أربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدى عبيد الله وهو العاشر من الخلفاء العلويين ولما قتل الآمر لم يكن له ولد فولى بعده ابن عمه الحافظ عبـد المجيد بن أبى القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع أولا بالخلافة بل كان على صورة نائب لانتظار حمل ان ظهر للآمر ولما تولى الحافظ استوزر أباعلى أحمد بن الافضـل بن بدر الجمالى فاستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه ونقل أبوعلى ما كان بالقصر من الاموال الى داره ولم يزل الامر كذلك الى ان قتل أبوعلى سنة ست وعشرين على ماسنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) كان الرصد في دار السلطنة شرقى بغداد تولاه البديع الاسطرلابى ولم يتم ﴿ وفي هذه السنة ﴾ ملك السلطان مسعود قلعة الموت ﴿ وفيها ﴾ توفي ابراهيم ابن عثمان بن محمد الغزى عند قلعة بلخ ودفن فيها وهو من أهل غزة ومولده سنة احدى وأربعين وأربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فمن قصائده المشهورة قصيدته التى مدح فيها الترك التى أولها

امط عن الدرر الزهر اليواقيتا ... واجعل لحج تلاقينا مواقيتا

ومنها

في فتية من جيوش الترك ماتركت ... للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا

قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة ... حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

ثم ترك الغزى قول الشعر وغسل كثيرا منه وقال

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب البواعث والدواعى مغلق

خلت البـلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب انه لا يشـترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة ﴾ فيها أسر دبيس بن صدقة وسبب ذلك مسـيره من العراق الى صرخد لان صرخد كان صاحبها خصيا وكانت له سرية فتوفي الخصى في هذه السنة واستولت سريته على قلعة صرخد وما فيها وعلمت انه لا يتم لها ذلك ان لم تتصل برجل يحميها فأرسلت الى دبيس بن صدقة تستدعيه للتزوج به وتسلم اليه صرخد وما فيها من مال وغيره فسار دبيس من العراق اليها فضل به الادلاء بنواحى دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقى الغوطة فأخذوه وحملوه الى تاج الملوك توري بن طغتكين صاحب دمشق في شعبان من هذه السنة فحبسه توري وسـمع عماد الدين زنكى بأسر دبيس فأرسل الى توري يطلبه ويبذل له اطلاق ولده سونج ومن معه من الامراء الذين غدر بهم زنكى وقبضهم كما تقدم ذكره فأجاب توري الى ذلك وافرج زنكى عن المذكورين وتسلم دبيس فايقن دبيس بالهلاك لانه كان كثير الوقيعة في عماد الدين زنكى ففعل معه زنكى بخلاف ما كان يظن وأحسن الى دبيس وحمل اليـه الاموال والسلاح والدواب وقدمه على نفسه ولم يزل دبيس مع عماد الدين زنكى حتى انحدر معه الى العراق على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وسمع الخليفة المسترشد بقبض دبيس فأرسل يطلبه مع سديد الدولة ابن الانبارى وأبى بكر بن بشر الجزرى فأمسكهما عماد الدين زنكى وسجن ابن الانبارى ووقع منه في حق ابن بشر مكروه قوى ثم شفع المسترشد في ابن الانبارى فأطلقه

(ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود)

(في هذه السنة) في شوال توفي السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق بهمدان فاقعد وزيره أبو القاسم النسابادى ابنه داود ابن محمود في السلطنة وصار اتابكه الاقسنقر الاحمديلى وكان عمر السلطان محمود لما توفي نحو سبع وعشرين سـنة وكانت ولايته السلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما وكان حليما عاقلا يسمع المكروه ولا يعاقب عليه مع قدرته عليه

ذكر غير ذلك

(في هذه السنة) وثبت الباطنية على تاج الملوك توى ابن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين برئ أحدهما وبقى الآخر ينسر عليه الا انه يجلس للناس ويركب على ضعف فيه ﴿ وفيها ﴾ توفي حماد بن مسلم الرحبى الريانى الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله أصحاب وتلاميذ كثيرة وكان أبو الفرج بن الجوزى يذمه ويثلبه ﴿ ثم دخلت سـنة ست وعشرين وخمسمائة ﴾ فيها قتل أبو على بن الافضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ لدين الله العلوى وكان أبوعلى المذكور قد حجر على الحافظ وقطع

خطبة العلويين وخطب لنفسه خاصة وقطع من الاذان حى على خير العمل فنفرت منه قلوب شيعة العلويين وثار به جماعة من المماليك وهو يلعب بالكرة فقتلوه ونهبت داره وخرج الحافظ من الاعتقال ونقل مابقى في دار أبى على الى القصر وبويع الحافظ في يوم قتل أبى على بالخلافة واستوزر أبا الفتح يانس الحافظى وبقى يانس مدة قليلة ومات فاستوزر الحافظ ابنه الحسن بن الحافظ وخطب له بولاية العهد ثم قتل الحسن المذكور سنة تسع وعشرين وخمسمائة على ماسنذكره ان شاء الله تعالى ﴿ وفي هذه السنة ﴾ تحرك السلطان مسعود بن محمد في طلب السلطنة وأخذها من ابن أخيه داود بن محمود وكذلك تحرك سلجوق بن محمد صاحب فارس أخو مسعود واتابكه قراجا الساقى في طلب السلطنة وقدم سلجوق الى بغداد واتفق الخليفة المسترشد معه واستنجد مسعود بعماد الدين زنكى فسار الى بغداد لقتال الخليفة وسلجوق فقاتله قراجا اتابك سلجوق وانهزم زنكى الى تكريت وعبر منها وكان الدزدار بها اذ ذاك نجم الدين أيوب فاقام له المعابر فعبر عماد الدين وسار الى بلاده وكان هذا الفعل من نجم الدين أيوب سبباً للاتصال بعماد الدين زنكى حتى ملك بنو أيوب البلاد ثم اتفق الحال بين مسعود وأخيه سلجوق والخليفة المسترشد على أن تكون السلطنة لمسعود ويكون أخوه سلجوق شاه ولى عهده وعادوا الى بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة وسلجوق بدار الشحنكية وكان اجتماعهم في جمادى الاولى من هذه السنة ثم ان السلطان سنجر سار من خراسان ومعه طغريل ابن أخيه السلطان محمد لاخذ السلطنة من مسعود وجرى المصاف بينه وبين مسعود وسلجوق فانهزم مسعود ثم ان السلطان سنجر بذل الامان لمسعود فحضر عنده وكان قد بلغ خونج فلما رآه سنجر قبله وأكرمه وعاتبه وأعاده الى كنجه واجلس الملك طغريل في السلطنة وخطب له في جميع البلاد ثم عاد سنجر الى خراسان فوصل الى نيسابور في رمضان من هذه السنة

ذكر الحرب بين المسترشد الخليفة وبين عماد الدين زنكى

﴿ في هذه السنة ﴾ سار عماد الدين زنكى ومعه دبيس بن صدقة وعدى الخليفة الى الجانب الغربى وسار ونزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقيا بحصن البرامكة في سابع وعشرين رجب فحمل عماد الدين على ميمنة الخليفة فهزمها وحمل الخليفة بنفسه وبقية العسكر فانهزم دبيس ثم انهزم عماد الدين وقتل بينهم خلق كثير

ذكر وفاة توري صاحب دمشق

﴿ في هذه السنة ﴾ توفي تاج الملوك توري بن طغتكين صاحب دمشق بسبب الجرح الذى كان به من الباطنية على ماتقدم ذكره فتوفي في حادى وعشرين رجب وكانت امارته أربع

سنين وخمسة أشهر وأياما ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسماعيل ووصى ببعلبك وأعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان توري شجاعا سدمسدأ به ولما استقر اسماعيل ابن توري في ملك دمشق وأعمالها واستقر أخوه محمد في ملك بعلبك استولى محمد على حصن الرأس وحصن اللبوة وكاتب اسماعيل صاحب دمشق أخاه محمدا صاحب بعلبك في اعادتهما فلم يقبل محمد ذلك فسار اسماعيل وفتح حصن اللبوة ثم فتح حصن الرأس وقرر أمرهما ثم سار الى أخيه محمد وحصره ببعلبك وملك المدينة وحصر القلعة فسأله محمد في الصلح فأجابه وأعاد عليه بعلبك وأعمالها واستقرت أمورهما وعاد اسماعيل الى دمشق مؤيدا منصورا (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة) فيها سار شمس الملوك اسماعيل بن توري صاحب دمشق على غفلة من الفرنج الى حصن بانياس فملك مدينة بانياس بالسيف وقتل وأسر من كان بها وحاصر قلعة بانياس وتسلمها بالامان (وفي هذه السنة) جمع السلطان مسعود العساكر وانضم اليه ابن أخيه داود بن محمود وسار السلطان مسعود الى أخيه طغريل وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه طغريل واستولى مسعود على السلطنة وتبع أخاه طغريل يطرده من موضع الى موضع حتى وصل الى الرى واقتتلا ثانياً فانهزم طغريل أيضاً وأسر جماعة من أمرائه (وفيها) سار الخليفة المسترشد بعساكر بغداد وحصر الموصل ثلاثة أشهر وكان عماد الدين زنكى قد خرج من الموصل الى سنجار وحصن الموصل بالرجال والذخائر ثم رحل الخليفة عن الموصل وعاد الى بغداد ووصل اليها في يوم عرفة ولم يظفر منها بطائل

(ذكر ملك شمس الملوك اسماعيل مدينة حماة)

(وفي هذه السنة) سار اسماعيل بن توري صاحب دمشق من دمشق في العشر الآخر من رمضان الى حماة وهى لعماد الدين زنكى من حين غدر بسونج بن توري وأخذها منه حسبما تقدم ذكره في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة فحصرها شمس الملوك اسماعيل وقاتل من بها يوم عيد الفطر وعاد ولم يملكها فلما كان الغد بكر اليهم وزحف من جميع جوانب البلد فملكه عنوة وطلب من به الامان فأمنهم وحصر القلعة ولم تكن اذ ذاك حصينة فانها حصنت فيما بعد لان تقى الدين عمر ابن أخى السلطان صلاح الدين قطع جبلها وعملها على ماهى عليه الآن في سنين كثيرة فلما حصرها شمس الملوك اسماعيل عجز النائب بها عن حفظها فسلمها اليه فاستولى عليها وعلى مابها من ذخائر وسلاح وذلك في شوال من هذه السنة ولما فرغ شمس الملوك اسماعيل من حماة سار الى شيزر وبها صاحبها من بنى منقد فنهب بلدها وحصر القلعة فصانعه صاحبها بمال حمله اليه فعاد عنها وسار الى دمشق ووصل اليها في ذى القعدة من هذه السنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

﴿ في هذه السنة ﴾ اجتمعت التراكمين وقصدوا طرابلس فخرج من بها من الفرنج اليهم واقتتلوا فانهزم الفرنج وسار القومص صاحب طرابلس ومن في صحبته فانحصروا في حصن بعرين وحصرهم التركمان بها ثم هرب القومص من الحصن في عشرين فارسا وخلى بحصن بعرين من يحفظه ثم جمع الفرنج وقصدوا التركمان ليرحلوهم عن بعرين فاقتتلوا فانحاز الفرنج الى نحو رفنية وعاد التركمان عنهم ﴿ وفيها ﴾ اشترى الاسماعيلية حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون ﴿ وفيها ﴾ في ربيع الآخر وثب على شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق بعض مماليك جده طغتكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه وتكاثر على ذلك الشخص مماليك شمس الملوك فقبضوه وقرره شمس الملوك فقال ماأردت الا اراحة المسلمين من شرك وظلمك ثم أقر على جماعة من شدة الضرب فقتلهم من غير تحقيق وقتل شمس الملوك اسماعيل أيضاً مع ذلك الشخص أخاه سونج بن توري الذى كان بحماة وأسره زنكى على ماتقدم ذكره في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة فعظم ذلك على الناس ونفروا من شمس الملوك اسماعيل المذكور ﴿ وفيها ﴾ توفي على بن يعلى بن عوض الهروى وكان واعظا وله بخراسان قبول كثير وسمع الحديث فأكثر ﴿ وفيها ﴾ توفي أبو فليتة أمير مكة وولى امارة مكة بعده أبو القاسم ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ﴾ فيها في المحرم سار شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق الى حصن الشقيف وكان بيد الضحاك ابن جندل رئيس وادى التيم قد تغلب عليه وامتنع به فأخذه شمس الملوك منه وعظم ذلك على الفرنج وقصدوا بلد حوران وجمع شمس الملوك الجموع وناوشهم ثم أغار على بلادهم من جهة طبرية ففت ذلك في أعضاد الفرنج ورحلوا عائدين الى بلادهم ثم وقعت الهدنة بينهم وبين شمس الملوك ﴿ وفي هذه السنة ﴾ استولى عماد الدين زنكى على جميع قلاع الاكراد الحميدية منها قلعة العقر وقلعة شوش وغيرهما ثم استولى على قلاع الهكارية وكواشى ﴿ وفيها ﴾ أوقع ابن دانشمند صاحب ملطية بالفرنج الذين بالشام فقتل كثيرا منهم ﴿ وفيها ﴾ اصطلح الخليفة المسترشد وعماد الدين زنكى ﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة ﴾ فيها مات السلطان طغريل ابن السلطان محمد وكان بعد هزيمته من أخيه مسعود قد استولى على بلاد الجبل فمات في هذه السنة في المحرم وقيل ان وفاته كانت في أول سنة ثمان وعشرين وهو الاصح في ظنى وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرم أيضاً وكان خيرا عاقلا ولما بلغ أخاه مسعودا خبر وفاته سار نحو همدان وأقبلت العساكر جميعا اليه واستولى على همدان واطاعته البلاد جميعها

ذكر قتل اسماعيل صاحب دمشق

﴿ في هذه السنة ﴾ في رابع عشر ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسماعيل بن توري ابن طغتكين وكان مولده في سابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة قتله على غفلة جماعة باتفاق من والدته وقد اختلف في سببه فقيل ان الناس لفرط جور اسماعيل المذكور وظلمه ومصادرته كرهوه وشكوه لامه فاتفقت مع من قتله وقيل بل ان أمه اتهمت بشخص من أصحاب والده يقال له يوسف بن فيروز فأراد قتل أمه فاتفقت مع من قتله وسر الناس بقتله ولما قتل ملك بعده أخوه شهاب الدين محمود بن توري وحلف له الناس (وفيها) بعد قتل شمس الملوك وصل عماد الدين زنكى الى دمشق وحصرها وضيق عليها وقام في حفظ البلد معين الدين أنز مملوك طغتكين القيام التام الذى تقدم به واستولى على الامر بسببه فلما لم ير زنكى في أخذ دمشق مطمعا اصطلح مع أهلها ورحل عنها عائدا الى بلاده

ذكر قتل حسن بن الحافظ لدين الله العلوى

قد تقدم في سنة ست وعشرين وخمسمائة ان أباه استوزره فتغلب حسن المذكور على الامر واستبد به وأساء السيرة وأكثر من قتل الامراء وغيرهم ظلما وعدوانا وأكثر من مصادرات الناس فأراد العسكر الايقاع به وبأبيه فعلم أبوه الحافظ ذلك فسقاه سما فمات ولما مات حسن استوزر الحافظ تاج الدولة بهرام وكان نصرانيا فتحكم واستعمل الارمن على الناس فكان ماسنذكره

﴿ ذكر الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود وأسر الخليفة وقتله ﴾

(في هذه السنة) كانت الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود وسببه ان جماعة من عسكر مسعود فارقوه مغاضبين واتصلوا بالخليفة المسترشد وهونوا عليه قتال السلطان مسعود فاغتر بكلامهم وصار من بغداد الى قتال السلطان مسعود وسار مسعود اليه واتفقوا عاشر رمضان من هذه السنة فصار غالب عسكر الخليفة مع مسعود وانهزم الباقون وأخذ الخليفة المسترشد أسيرا ونهب عسكره وأسروا وبقى المسترشد مع مسعود أسيرا ثم سار به مسعود من همدان الى مراغة في شوال لقتال ابن أخيه داود بن محمود فنزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه في خيمة منفردة وكان قد اتفق مسعود مع الخليفة على مال يحمله الخليفة اليه وأن لا يعود يخرج من بغداد واتفق وصول رسول السلطان سنجر الى مسعود فركب مسعود والعساكر للملتقاة فوثبت الباطنية على المسترشد وهو في تلك الخيمة فقتلوه ومثلوا به فجدعوا أنفه وأذنيه وقتل معه نفر من أصحابه وكان قتل

المسترشد يوم الاحد سابع عشر ذى القعـدة بظاهر مراغة وكان عمره لما قتل ثلاث وأربعين سنة وثلاثة أشهر وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما وأمه أم ولد وكان فصيحا حسن الخط شهما

(ذكر خلافة الراشد وهو الثلاثون من خلفاء بنى العباس)

لما قتل المسترشد بالله بويع ابنه الراشد بالله أبو جعفر المنصور بن المسترشد فضل ابن المستظهر أحمد وكان أبوه قد بايع له بولاية العهد في حياته ثم بعد قتله جددت له بيعة في يوم الاثنين السابع والعشرين من ذى القعدة من هذه السنة وكتب مسعود الى بغداد بذلك فحضر بيعته احد وعشرون رجلا من أولاد الخلفاء

ذكر قتل دبيس

(في هذه السنة) قتل السلطان مسعود دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى أمر غلاما أرمنيا بقتله فوقف على رأس دبيس وهو ينكث في الارض باصبعه فضرب رقبته وهو لا يشعر وكان ابنه صدقة بن دبيس بالحيلة فلما بلغه الخبر اجتمع عليه عسكر أبيه وكثر جمعه وما أكثر مايتفق قرب موت المتعاديين فان دبيسا كان يعادى المسترشد بالله فاتفق قتل أحدهما عقيب قتل الآخر

(ذكر غير ذلك)

﴿ في هذه السنة ﴾ استولى الفرنج على جزيرة جربة من أعمال أفريقية وهرب وأسر من كان بها من المسلمين ﴿ وفيها ﴾ صالح المستنصر بن هود الفرنج على تسليم حصن زوطة من بلاد الاندلس وسلمه الى صاحب طليطله الفرنجى ﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة ﴾

ذكر ملك شهاب الدين حمص

﴿ في هذه السنة ﴾ في الثانى والعشرين من ربيع الاول تسلم شهاب الدين محمود بن تورى صاحب دمشق مدينة حمص وقلعتها وسبب ذلك ان أصحابها أولاد الامير قيرخان ابن قراجا والوالى بها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عماد الدين زنكى اليها والى أعمالها فراسلوا شهاب الدين في أن يسلموها اليه ويعطيهم عوضها تدمر فأجابهم الى ذلك وتسلم حمص وأقطعها المملوك جده معين الدين انز وسلم اليهم تدمر فلما رأى عسكر زنكى بحلب وحماة خروج حمص الى صاحب دمشق تابعوا الغارات على بلدها فأرسل شهاب الدين محمود الى عماد الدين زنكى في الصلح فاستقر بينهما وكف عسكر عماد الدين عن حمص

ذكر غير ذلك

﴿ فيها ﴾ سارت عساكر عماد الدين زنكى الذين بحلب وحماة ومقدمهم أسوار نائب زنكى بحلب الى بلاد الفرنج بنواحى اللاذقية وأوقعوا بمن هناك من الفرنج وكسبوا من الجوار والمماليك والاسرى والدواب ماملأ الشام من الغنائم وعادوا سالمين

(ذكر خلع الراشد وخلافة المقتفى وهو حادى ثلاثينهم)

كان الراشد قد اتفق مع بعض ملوك الاطراف مثل عمادالدين زنكى وغيره على خلاف السلطان مسعود وطاعة داود ابن السلطان محمود فلما بلغ مسعودا ذلك جمع العساكر وسار الى بغداد ونزل عليها وحصرها ووقع في بغداد النهب من العيارين والمفسدين ودام مسعود محاصرها نيفا وخمسين يوما فلم يظفر بهم فارتحل الى النهروان ثم وصل طرنطى صاحب واسط بسفن كثيرة فعاد مسعود الى بغداد وعبر الى غربى دجلة واختلفت كلمة عساكر بغداد فعاد الملك داود الى بلاده أذربيجان في ذى القعدة وسار الخليفة الراشد من بغداد مع عماد الدين زنكى الى الموصل ولما سمع مسعود بمسير الخليفة وزنكى سار الى بغداد واستقر بها في منتصف ذى القعدة وجمع مسعود القضاة وكبراء بغداد وأجمعوا على خلع الراشد بسبب انه كان قد عاهد مسعودا على انه لا يقاتله ومتى خالف ذلك فقد خلع نفسه وبسبب أمور ارتكبها تخلع وحكم بفسقه وخلعه وكانت مدة خلافة الراشد احدعشر شهرا واحد عشر يوما ثم استشار السلطان مسعود فيمن يقيمه في الخلافة فوقع الاتفاق على بن محمد المستظهر فأحضر وأجلس في الميمنة ودخل اليه السلطان مسعود وتحالفا ثم خرج السلطان وأحضر الامراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوه ولقبوه المقتفى لامر الله والمقتفى عم الراشد المذكور هو والمسترشد ابناء المستظهر وليا الخلافة وكذلك السفاح والمنصور اخوان وكذلك المهدى والرشيد اخوان وكذلك الواثق والمتوكل وأما ثلاثة اخوة ولوا الخلافة فالامين والمأمون والمعتصم أولاد الرشيد وكذلك المكتفى والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضى والمتقى والمطيع بنو المقتدر وأما أربعة اخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان لايعرف غيرهم وعمل محضر بخلع الراشد وأرسل الى الموصل وزاد المقتفى في اقطاع عماد الدين زنكى والقابه وأرسل المحضر فحكم به قاضى القضاة الزينبى بالموصل وخطب للمقتفى في الموصل في رجب سنة احدى وثلاثين (ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وخمسمائة) فيها عزل الحافظ وزيره بهرام النصرانى الارمنى بسبب ما اعتمده من تولية الارمن على المسلمين واهانتهم لهم فانف من ذلك شخص يسمى رضوان بن الوكحشى وجمع جما وقصد بهرام فهرب بهرام الى الصعيد ثم عاد وامسكه الحافظ وحبسه في القصر ثم ان بهرام المذكور ترهب وأطلقه الحافظ ولما هرب بهرام استوزر الحافظ

رضوان المذكور ولقبه الملك الافضل وهو أول وزير للمصريين لقب بالملك ثم انه فسد مابين رضوان والحافظ فهرب رضوان وجرى له أمور يطول شرحها آخرها ان الحافظ قتل رضوان المذكور ولم يستوزر بعده أحدا وباشر الامور بنفسه الى ان مات

(ذكر حصر زنكى حمص ورحيله الى بارين وفتحها)

(في هذه السنة) نازل عماد الدين زنكى حمص وبها صاحبها معين الدين انز فلم يظفر بها فرحل عنها في العشرين من شوال الى بعرين وحصر قلعتها وهى للفرنج وضيق عليها فجمع الفرنج ملوكهم ورجالهم وساروا الى زنكى ليرحلوه عن بعرين فلما وصلوا اليه لقيهم وجرى بينهم قتال شديد فانهزمت الفرنج ودخل كثير من ملوكهم لما هربوا الى حصن بعرين وعاود عماد الدين زنكى حصار الحصن وضيق عليه وطلب الفرنج الامان فقرر عليهم تسليم حصن بعرين وخمسين ألف دينار يحملونها اليه فأجابوا الى ذلك فأطلقهم وتسلم الحصن وخمسين ألف دينار وكان زنكى في مدة مقامه على حصار بعرين قد فتح المعرة وكفرطاب وأخذهما من الفرنج وحضر أهل المعرة وطلبوا تسليم أملاكهم التى كان قد أخذها الفرنج فطلب زنكى منهم كتب أملاكهم فذكروا انها عدمت فكشف من ديوان حلب عن الخراج وافرج عن كل ملك كان عليه الخراج لاصحابه (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة)

ذكر ملك عماد الدين زنكى حمص وغيرها

في هذه السنة في المحرم وصل زنكى الى حماة وسار منها الى بقاع بعلبك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس وأطاعه وسار الى حمص وحصرها ثم رحل عنها الى سلمية بسبب نزول الروم على حلب على ماذكره ثم عاد الى منازلة حمص فسلمت اليه المدينة والقلعة أرسل عماد الدين زنكى وخطب أم شهاب الدين محمود صاحب دمشق وتزوجها واسمها مرد خاتون بنت جاولى وهى التى قتلت ابنها شمس الملوك اسمعيل بن تورى وهى التى بنت المدرسة المطلة على وادى الشقرا بظاهر دمشق وحملت الخاتون الى عماد الدين في رمضان وانما تزوجها طمعا في الاستيلاء على دمشق لما رأى من تحكمها فلما خاب ماأمله ولم يحصل على شئ أعرض عنها

ذكر وصول ملك الروم الى الشام وما فعله

كان قد خرج ملك الروم متجهزا من بلاده في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فاشتغل بقتال الارمن وصاحب انطاكية وغيره من الفرنج فلما دخلت هذه السنة وصل الى الشام وسار الى بزاعة وهى على ستة فراسخ من حلب وحاصرها وملكها بالامان في الخامس

والعشرين من رجب ثم غدر بأهلها وقتل فيهم وأسر وسبى وتنصر قاضيها وقدر أربعمائة نفس من أهلها وأقام على بزاعة بعد أخذها عشرة أيام ثم رحل عنها بمن معه من الفرنج الى حلب ونزل على قويق وزحف على حلب وجرى بين أهلها وبينهم قتال كثير فقتل من الروم بطريق عظيم القدر عندهم فعادوا خاسرين وأقاموا ثلاثة أيام ورحلوا الى الاثارب وملكوها وتركوا فيها سبايا بزاعة وتركوا عندهم من الروم من يحفظهم وسار ملك الروم بجموعه من الاثارب نحو شيزر فخرج الامير أسوار نائب زنكى بحلب بمن عنده وأوقع بمن في الاثارب من الروم فقتلهم واستفكت اسرى بزاعة وسباياها وسار ملك الروم بجموعه الى شيزر وحصرها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا وأرسل صاحب شيزر أبو العساكر سلطان بن على بن مقلد بن نصر بن منقد الكنانى الى زنكى يستنجده فسار زنكى ونزل على العاصى بين حماة وشيزر وكان يركب عماد الدين زنكى وعسكره كل يوم ويشرفون على الروم وهم محاصرون لشيزر بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فيأخذون كل مايظفرون به منهم واقام ملك الروم محاصرا شيزر أربعة وعشرين يوما ثم رحل عنها من غير أن ينال منها غرضا وسار زنكى في أثر الروم فظفر بكثير ممن تخلف منهم ومدح الشعراء زنكى بسبب ذلك فأكثروا فمن ذلك ماقاله مسلم بن خضر بن قسيم الحموى من أبيات

لعزمك أيها الملك العظيم ... تذل لك الصعاب وتستقيم
ألم تر ان كلب الروم لما ... تبين انه الملك الرحيم
وقد نزل الزمان على رضاه ... ودان لخطبه الخطب العظيم
فحين رميته بك عن خميس ... تيقن فوت ماأمسى يروم
كانك في العجاج شهاب نور ... توقد وهو شيطان رجيم
أراد بقاء مهجته فولى ... وليس سوى الحمام له حميم

ذكر مقتل الراشد

كان الراشد قد سار من بغداد الى الموصل مع عماد الدين زنكى وخلع كما تقدم ذكره ثم فارق الراشد زنكى وسار من الموصل الى مراغة واتفق الملك داود ابن السلطان محمود وملوك تلك الاطراف على خلاف السلطان مسعود وقتاله واعادة الراشد الى الخلافة فسار السلطان مسعود اليهم واقتتلوا فانهزم داود وغيره واشتغل أصحاب السلطان مسعود بالكسب وبقى وحده فحمل عليه أميران يقال لهما بوزابه وعبد الرحمن طغايرك فانهزم مسعود من بين أيديهما وقبض بوزابه على جماعة من أمرائه وعلى صدقة بن دبيس صاحب الحلة ثم قتلهم أجمعين وكان الراشد اذ ذاك بهمدان فلما كان من الوقعة ما كان سار الملك داود الى فارس وتفرقت تلك الجموع وبقى الراشد وحده فسار الى أصفهان فلما

كان الخامس والعشرين من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان من اعقاب مرض قد برئ منه ودفن بظاهر أصفهان بشهرستان ولما وصل خبر قتل الراشد الى بغداد جلسوا لعزائه يوما واحدا

ذكر غير ذلك

(في هذه السنة) ملك حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين قلعة الهناخ من ديار بكر أخذها من بعض بنى مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها وهو آخر من بقى منهم (وفيها) قتل السلطان مسعود البقش شحنة بغداد (وفيها) جاءت زلزلة عظيمة بالشام والعراق وغيرهما من البلاد فخربت كثيرا وهلك تحت الهدم عالم كثير (ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة)

ذكر الحرب بين السلطان سنجر وخوارزم شاه

(في هذه السنة) في المحرم سار سنجر بجموعه الى خوارزم شاه اطسز بن محمد بن أنوش تكين وقد تقدم ذكر ابتداء أمر محمد بن أنوش تكين في سنة تسعين وأربعمائة ووصل سنجر الى خوارزم وخرج خوارزم شاه لقتاله واقتتلوا فانهزم اطسز خوارزم شاه واستولى سنجر على خوارزم وأقام بها من يحفظها وعاد الى مرو في جمادى الآخرة من هذه السنة وبعد ان عاد سنجر الى بلاده عاد اطسز الى خوارزم واستولى عليها

ذكر قتل محمود صاحب دمشق

في هذه السنة في شوال قتل شهاب الدين محمود بن تورى بن طغتكين صاحب دمشق قتله غيلة على فراشه ثلاثة من خواص غلمانه وأقرب الناس منه وكانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا فنجا أحدهم وأخذ الاثنان وصلبا واستدعى معين الدين اتزاخاه جمال الدين محمد بن تورى وكان صاحب بعلبك فحضر الى دمشق وملكها

ذكر ملك زنكى بعلبك

في هذه السنة في ذى القعدة سار عماد الدين زنكى الى بعلبك ووصل اليها في العشرين من ذى الحجة وحصرها ونصب عليها أربعة عشر منجنيقاً فطلب أهلها الامان فأمنهم وسلموا اليه المدينة واستمر الحصار على القلعة حتى طلبوا الامان أيضاً فأمنهم وسلموا اليه القلعة فلما نزلوا منها وملكها غدر بهم وأمر فصلبوا عن آخرهم فاستقبح الناس ذلك واستعظموه وحذره الناس وكانت بعلبك لمعين الدين اتز أعطاه اياها جمال الدين محمد لما ملك دمشق وكان اتز قد تزوج بأم جمال الدين محمد صاحب دمشق وكان له جارية يحبها فاخرجها اتز الى بعلبك فلما ملك زنكى بعلبك أخذ الجارية المذكورة

وتزوجها في حلب وبقيت مع زنكي حتى قتل على قلعة جعبر فأرسلها ابنه نور الدين محمود بن زنكى الى اتز وهى كانت أعظم الاسباب في المودة بين نور الدين واتز

(ذكر غير ذلك)

في هذه السنة توالت الزلازل بالشام وخربت كثيرا من البلاد لاسيما حلب فان أهلها فارقوا بيوتهم وخرجوا الى الصحراء ودامت من رابع صفر الى تاسع عشره (ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة) في هذه السنة سار عماد الدين زنكى الى دمشق وحصرها وزحف عليها وبذل لصاحبها جمال الدين محمد بعلبك وحمص فلم يأمنوا اليه بسبب غدره باهل بعلبك وكان نزوله على داريا في ثالث عشر ربيع الاول واستمر منازلا لدمشق فمرض في تلك المدة جمال الدين محمد بن تورى صاحب دمشق ومات في ثامن شعبان فطمع زنكى حينئذ في ملك دمشق وزحف اليها واشتد القتال فلم ينل غرضا ولما مات جمال الدين محمد أقام معين الدين اتز في الملك ولده مجير الدين ارتق بن محمد بن تورى بن طغتكين واستمر اتز يدبر الدولة فلم يظهر لموت جمال الدين محمد أثر ثم رحل زنكى ونزل بعذرا من المرج في سادس شوال وأحرق عدة من قرى المرج ورحل عائدا الى بلاده (وفي هذه السنة) ملك زنكى شهرزور وأخذها من صاحبها قبجق بن الب ارسلان شاه التركمانى وبقى قبجق في طاعة زنكى ومن جملة عسكره (وفيها) قتل المقرب جوهر من كبراء عسكر سنجر وكان قد عظم في الدولة وكان من جملة اقطاع المقرب المذكور الرى قتله الباطنية ووقفوا له في زى النساء واستغاث به فوقف يسمع كلامهم فقتلوه (وفيها) توفي هبة الله بن الحسين بن يوسف المعروف بالبديع الاسطرلابى وكانت له اليد الطولى في عمل الاسطرلاب والآلات الفلكية وله شعر جيد وأكثره في الهزل (ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة) في هذه السنة وصل رسول السلطان سنجر ومعه بردة النبى صلى الله عليه وسلم والقضيب وكانا أخذا من المسترشد فاعادهما الآن الى المقتفى (وفي هذه السنة) ملك الاسماعيلية حصن مصياف بالشام وكان واليه مملوكا لبنى منقد صاحب شيزر فاحتال عليه الاسماعيلية ومكروا به حتى صعدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن (وفيها) توفي الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان قتيلا في فندق بمراكش وكان فاضلا في الادب الف عدة كتب منها قلائد العقيان ذكر فيه عدة من الفضلاء وأشعارهم ولقد أجاد فيه (ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة) في هذه السنة في المحرم وقيل في صفر كان المصاف العظيم بين الترك الكفار من الخطا وبين السلطان سنجر فان خوارزم شاه اطسز ابن محمد لما هزمه سنجر وقتل ولد اطسز عظم ذلك عليه وكاتب الخطا وأطمعهم

في ملك ماوراء النهر فساروا في جمع عظيم وسار اليهم السلطان سنجر في جمع عظيم
والتقوا بما وراء النهر فانهزم عسكر سنجر وقتل منهم خلق عظيم وأسرت امرأة سنجر
ولما تمت الهزيمة على المسلمين سار خوارزم شاه اطسز الى خراسان ونهب من أموال
سنجر ومن بلادها شيئاً كثيرا واستقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر
(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة) في هذه السنة بعث عماد الدين زنكى
جيشاً ففتحوا قلعة أشب وكانت من أعظم حصون الاكراد الهكارية وأمنعها ولما
ملكها زنكى أمر باخرابها وبناء القلعة المعروفة بالعمادية عوضا عنها وكانت العمادية
حصنا عظيما خرابا فلما عمره عماد الدين زنكى سمى العمادية نسبة اليه (وفيها)
سارت الفرنج في البحر من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها ثم عادوا عنها (وفيها)
توفى محمد بن الدانشمند صاحب ملطية والثغر واستولى على بلاده الملك مسعود بن
قليج ارسلان السلجوقى صاحب قونية (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة) فى
هذه السنة كان الصلح بين السلطان مسعود وبين عماد الدين زنكى (وفيها) سار
زنكى بعساكره الى ديار بكر ففتح منها طنزة واستعرد وحيزان وحصن الروق وحصن
قطليس وحصن باتاسا وحصن ذى القرنين وأخذ من بلد ماردين ما هو بيد الفرنج
جمايين والموزر وتل موزر من حصون شختان (وفيها) سار السلطان سنجر بعساكره
الى خوارزم وحصر اطسز بها فبذل خوارزم شاه اطسز الطاعة فأجابه سنجر الى ذلك
واصطلحا وعاد سنجر الى مرو (وفيها) ملك زنكى عانة من أعمال الفرات (وفيها)
قتل داود ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه قتله جماعة اغتالوه ولم يعرفوا
(وفيها) توفى أبو القاسم محمود بن عمر النحوى الزمخشرى ولد فى رجب سنة سبع
وستين وأربعمائة وهو من زمخشر قرية من قرى خوارزم كان اماما فى العلوم صنف
المفصل فى النحو والكشاف فى التفسير وجهر القول فيه بالاعتزال وافتتحه بقوله الحمد
لله الذى خلق القرآن منجما ثم أصلحه أصحابه فكتبوا الحمد لله الذى أنزل القرآن وله
غير ذلك من المصنفات فمنها كتاب الفائق فى غريب الحديث وقدم الزمخشرى بغداد
وناظر بها ثم حج وجاور بمكة سنين كثيرة فسمى لذلك جار الله وكان حنفى الفروع معتزلى
الاصول وللزمخشرى نظم حسن فمنه من جملة أبيات

فانا اقتصرنا بالذين تضايقت عيونهم والله يجزى من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة ولم أر فى الدنيا صفاء بلا كدر

ومن شعره يرثى شيخه أبا مضر منصورا

وقائلة ماهذه الدرر التى تساقط من عينيك سمطين سمطين

فقلت لها الدر الذى كان قد حشا أبو مضر اذنى تساقط من عينى

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة) فى هذه السنة فتح عماد الدين زنكى الرها
من الفرنج بالسيف بعد حصار ثمانية وعشرين يوما ثم تسلم مدينة سروج وسائر الاماكن
التى كانت بيد الفرنج شرقى الفرات وأما البيرة فنزل عليها وحاصرها ثم رحل عنها بسبب
قتل نائبه بالموصل وهو نصير الدين جقر وسبب قتله انه كان عند زنكى الب ارسلان
ابن السلطان محمود بن محمد السلجوقى وكان زنكى يقول ان البلاد التى بيدى انما
هى لهذا الملك الب ارسلان المذكور وانا اتابكه * ولهذا سمى اتابك زنكى وكان
الب ارسلان المذكور بالموصل وجقر يقوم بوظائف خدمته فحسن بعض المتاحيس
لالب ارسلان المذكور قتل جقر وأخذ البلاد من عماد الدين زنكى * فلما دخل جقر الى
الب ارسلان على عادته وثب عليه من عند الب ارسلان فقتلوه فاجتمعت كبراء دولة
زنكى وأمسكوا الب ارسلان ولم يطعه أحد ولما بلغ زنكى ذلك وهو محاصر للبيرة عظم
عليه قتل جقر وخشى من الفتن فرحل عن البيرة لذلك وخشى الفرنج الذين بها من
معاودة الحصار وعلموا بضعفهم عن عماد الدين فراسلوا نجم الدين صاحب ماردين
وسلموا البيرة اليه وصارت للمسلمين (وفيها) خرج اسطول الفرنج من صقلية الى
ساحل افريقية وملكوا مدينة برسك وقتلوا أهلها وسبوا الحريم (وفيها) توفي تاشفين
ابن على بن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب وولى بعده أخوه اسحق بن على وضعف
أمر الملثمين وقوى عبد المؤمن وقد تقدم ذكر ذلك في سنة أربع عشرة وخمسمائة
(ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة) فيها هرب على بن دبيس بن صدقة من السلطان مسعود
وكان قد أراد حبسه في قلعة تكريت فهرب الى الحلة واستولى عليها وكثر جمعه وقويت
شوكته (وفيها) اعتقل الخليفة المقتفى أخاه أبا طالب وضيق عليه وكذلك احتاط على
غيره من أقاربه (وفيها) ملك الفرنج شنترين وتاجر وماردة واشبونة وسائر المعاقل
المجاورة لها من بلاد الاندلس (وفيها) توفي مجاهد الدين بهروز وحكم في العراق
نيفاً وثلاثين سنة وكان بهروز خصيا أبيض (وفيها) توفي الشيخ أبو منصور موهوب
ابن أحمد الجواليقى اللغوى ومولده في ذى الحجة سنة خمس وستين وأربعمائة أخذ اللغة
عن أبى زكريا التبريزى وكان يؤم بالخليفة المقتفى وكان طويل الصمت كثير التحقيق
لايقول الشئ الا بعد فكر كثير وكان يقول كثيرا اذا سئل لاأدرى وأخذ العلم عنه
جماعة منهم تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى ومحب الدين أبو البقاء وعبد
الوهاب بن سكينة (وفيها) توفي أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن تقى الاندلسى القرطبى
الشاعر المشهور صاحب الموشحات البديعة ومن شعره ماأورده في قلائد العقيان

يا افتك الناس الحاظا وأطيبهم ريقا متى كان فيك الصاب والعسل
في صحن خدك وهو الشمس طالعة ورد يزيدك فيه الراح والخجل
ايمان حبك في قلبي مجدده من خدك الكتب او من لحظك الرسل
ان كنت تجهل اني عبد مملكة مرني بما شئت آتيه وأمتثل
لو اطلعت على قلبي وجدت به من فعل عينيك جر حاليس يندمل

(ثم دخلت سنة احدى وأربعين وخمسمائة)

ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب

وسبب ملكها انهم نزلوا عليها وحصروها فلما كان اليوم الثالث من نزولهم سمع الفرنج في المدينة ضجة عظيمة وخلت الاسوار من المقاتلة وكان سببه ان أهل طرابلس اختلفوا فاراد طائفة منهم تقديم رجل من الملتمين ليكون أميرهم وأرادت طائفة أخرى تقديم بني مطروح فوقعت الحرب بين الطائفتين وخلت الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة وصعدوا بالسلالم وملكوها بالسيف في المحرم من هذه السنة وسفكوا دماء أهلها وبعد ان استقر الفرنج في ملك طرابلس بذلوا الامان لمن بقي من أهل طرابلس وتراجعت اليها الناس وحسن حالها

ذكر حصار عماد الدين زنكي حصني جعبر وفنك ومقتله

(في هذه السنة) سار زنكي ونزل على قلعة جعبر وحصرها وصاحبها علي بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي وأرسل عسكرا الى قلعة فنك وهي تجاور جزيرة ابن عمر فحصرها أيضاً وصاحبها حسام الدولة الكردي البشنوي * ولما طال على زنكي منازلة قلعة جعبر أرسل مع حسان البعلبكي الذي كان صاحب منبج يقول لصاحب قلعة جعبر قل لي من يخلصك مني فقال صاحب قلعة جعبر لحسان يخلصني منك الذي خلصك من بلك بن بهرام بن ارتق وكان بلك محاصرا المنبج فجاءه سهم قتله فرجع حسان الى زنكي ولم يخبره بذلك فاستمر زنكي منازلا قلعة جعبر فوثب عليه جماعة من مماليكه وقتلوه في خامس ربيع الآخر من هذه السنة بالليل وهربوا الى قلعة جعبر فصاح من بها على العسكر وأعلموهم بقتل زنكي فدخل أصحابه اليه وبه رمق وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة أسمر اللون مليح العينين قد وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة ودفن بالرقة وكان شديد الهيبة على عسكره عظيمها وكان له الموصل وما معها من البلاد وملك الشام خلا دمشق وكان شجاعاً وكانت الاعداء محيطة بمملكته من كل جهة وهو ينتصف منهم ويستولي على بلادهم * ولما قتل زنكي كان ولده نور الدين محمود حاضرا عنده فأخذ خاتم والده وهو ميت من أصبعه وسار الى حلب فملكها وكان صحبة زنكي أيضا الملك

الب ارسلان بن محمود ابن السلطان محمد السلجوقي فركب في يوم قتل زنكي واجتمعت عليه العساكر فحسن له بعض أصحاب زنكي الاكل والشرب وسماع المغاني فسار الب ارسلان الى الرقة وأقام بها منعكفا على ذلك وأرسل كبراء دولة زنكي الى ولده سيف الدين غازي بن زنكي يعلمونه بالحال وهو بشهرزور فسار الى الموصل واستقر في ملكها وأما الب ارسلان فتفرقت عنه العساكر وسار الى الموصل يريد ملكها فلما وصلها قبض عليه غازي بن زنكي وحبسه في قلعة الموصل واستقر ملك سيف الدين غازي للموصل وغيرها

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) أرسل عبد المؤمن بن علي جيشاً الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام واستولوا عليها (وفيها) بعد قتل عماد الدين زنكي قصد صاحب دمشق مجير الدين ابق حصن بعلبك وحصره وكان به نجم الدين أيوب بن شاذي مستحفظاً فخاف ان أولاد زنكي لا يمكنهم انجاده بالعاجل فصالحه وسلم القلعة اليه وأخذ منه اقطاعاً ومالا وملكه عدة قرى من بلاد دمشق وانتقل أيوب الى دمشق وسكنها وأقام بها

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة) في هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج ففتح منها مدينة ارتاح بالسيف وحصر مأمولة وبصرفوت وكفرلاثا (ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة)

ذكر ملك الفرنج المهدية بافريقية وحال مملكة بني باديس

كان قد حصل بافريقية غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضا ودام من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة الى هذه السنة ففارق الناس القرى ودخل أكثرهم الى جزيرة صقلية فاغتنم رجار الفرنجي صاحب صقلية هذه الفرصة وجهز اسطولا نحو مائتين وخمسين شينيا مملوءة رجالا وسلاحا واسم مقدمهم جرج وساروا من صقلية الى جزيرة قوصرة وهي ما بين المهدية وصقلية وساروا منها وأشرفوا على المهدية ثاني صفر من هذه السنة وكان في المهدية الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب افريقية فجمع كبراء البلد واستشارهم فرأوا ضعف حالهم وقلة المؤنة عندهم فاتفق رأي الامير حسن بن علي على اخلاء المهدية فخرج منها وأخذ معه ما خف حمله وخرج أهل المهدية على وجوههم بأهليهم وأولادهم وبقي الاسطول في البحر تمنعه الريح من الوصول الى المهدية ثم دخلوا المهدية بعد مضي ثلثي النهار المذكور بغير ممانع ولا مدافع ولم يكن قد بقي من المسلمين بالمهدية ممن عزم على الخروج أحد ودخل جرج مقدم الفرنج الى قصر الامير حسن بن علي فوجده على حاله لم يعدم منه الا ما خف حمله ووجد فيه جماعة من حظايا الحسن بن علي ووجد الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة من كل شيء

غريب يقل وجود مثله وسار الامير حسن بأهله وأولاده الى بعض أمراء العرب ممن كان يحسن اليه وأقام عنده وأراد الحسن المسير الى الخليفة العلوى الحافظ صاحب مصر فلم يقدر على المسير لخوف الطرق فسار الى ملك بجاية يحيى بن العزيز من بنى حماد فوكل يحيى المذكور على الحسن وعلى أولاده من يمنعهم من التصرف ولم يجتمع يحيى بهم وأنزلهم في جزائر بنى مزغنان وبقى الحسن كذلك حتى ملك عبد المؤمن بن على بجاية في سنة سبع وأربعين وخمسمائة وأخذها هى وجميع ممالك بنى حماد فحضر الامير الحسن عنده فأحسن اليه عبد المؤمن وأكرمه واستمر على ذلك في خدمة عبد المؤمن الى ان فتح المهدية فاقام فيها واليا من جهته وأمره أن يقتدى برأى الامير حسن ويرجع الى قوله وكان عدة من ملك من بنى باديس بن زيرى بن مناذ الى الحسن تسعة ملوك وكانت ولايتهم في سنة احدى وستين وثلاثمائة وانقضت في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ثم ان جرج بذل الامان لاهل المهدية وأرسل وراءهم بذلك وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع فتراجعوا الى المهدية

ذكر حصر الفرنج دمشق

﴿ في هذه السنة ﴾ سار ملك الالمان والالمان بلادهم وراء القسطنطينية حتى وصل الى الشام في جمع عظيم ونزل على دمشق وحصرها وصاحبها مجير الدين اتق بن محمد ابن تورى بن طغتكين والحكم وتدبير المملكة انما هو لمعين الدين انز مملوك جده طغتكين * وفي سادس ربيع الاول زحفوا على مدينة دمشق ونزل ملك الالمان بالميدان الاخضر وأرسل انز الى سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده فسار بعسكره من الموصل الى الشام وسار معه أخوه نور الدين محمود بعسكره ونزلوا على حمص ففت ذلك في اعضاد الفرنج وأرسل انز الى فرنج الشام يبذل لهم تسليم قلعة بانياس فتخلوا عن ملك الالمان وأشاروا عليه بالرحيل وخوفوه من امداد المسلمين فرحل عن دمشق وعاد الى بلاده وسلم انز قلعة بانياس الى الفرنج حسبما شرطه لهم

ذكر غير ذلك من الحوادث

﴿ في هذه السنة ﴾ كان بين نور الدين محمود وبين الفرنج مصاف بارض يغرى من العمق فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة وأرسل من الاسرى والغنيمة الى أخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل (وفيها) ملك الفرنج من الاندلس مدينة طرطوشة وجميع قلاعها وحصون لارده (وفيها) كان الغلاء العام من خراسان الى العراق الى الشام الى بلاد المغرب وفي ربيع الاول من هذه السنة أعنى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة قتل نور الدولة شاهنشاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين قتله الفرنج

لما كانوا منازلين دمشق فجرى بينهم وبين المسلمين مصاف قتل فيه شاهنشاه المذكور وهو أبو الملك المظفر عمر صاحب حماة وأبو فرخشاه صاحب بعلبك وكان شاهنشاه أكبر من صلاح الدين وكانا شقيقين (ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة)

ذكر وفاة غازى بن زنكى

(في هذه السنة) توفي سيف الدين غازى بن عماد الدين اتابك زنكى صاحب الموصل بمرض حاد في أواخر جمادى الآخرة وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرا وعشرين يوما وكان حسن الصورة ومولده سنة خمسمائة وخلف ولدا ذكرا فرباه عمه نور الدين وأحسن تربيته وتوفي المذكور شابا وانقرض بموته عقب سيف الدين غازى وكان سيف الدين المذكور كريما يصنع لعسكره كل يوم طعاما كثيرا بكرة وعشية وهو أول من حمل على رأسه السنجق في ركوبه وأمر الاجناد ان لا يركبوا الا بالسيوف في أوساطهم والدبوس تحت ركبهم فلما فعل ذلك اقتدى به أصحاب الاطراف ولما توفي سيف الدين غازى كان أخوه قطب الدين مودود بن زنكى مقيما بالموصل فاتفق جمال الدين الوزير وزين الدين على أمير الجيش على تمليكه فحلفاه وحلفا له وكذلك باقى العسكر وأطاعه جميع بلاد أخيه سيف الدين * ولما تملك تزوج الخاتون ابنة تمرتاش صاحب ماردين وكان أخو سيف الدين قد تزوجها ومات قبل الدخول بها وهى أم أولاد قطب الدين

ذكر وفاة الحافظ لدين الله العلوي وولاية الظافر

(في هذه السنة) في جمادى الآخرة توفي الحافظ لدين الله عبد المجيد ابن الامير أبى القاسم بن المستنصر العلوى صاحب مصر وكانت خلافته عشرين سنة الا خمسة أشهر وكان عمره نحو سبع وسبعين سنة ولم يل الخلافة من العلويين المصريين من أبوه غير خليفة غير الحافظ والعاضد على ما سنذكره ولما توفي الحافظ بويع بعده ابنه الظافر بامر الله أبو منصور اسمعيل بن الحافظ عبد المجيد واستوزر ابن مصال فبقى أربعين يوما وحضر من الاسكندرية العادل بن السلار وكان قد خرج ابن مصال من القاهرة في طلب بعض المفسدين فارسل العادل بن السلار ربيبه عباس بن أبى الفتوح ابن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى وكان أبوه أبو الفتوح قد فارق أخاه على ابن يحيى صاحب افريقية وقدم الى الديار المصرية وتوفي بها فتزوج العادل بن السلار بزوجة أبى الفتوح المذكور ومعها ولدها عباس بن أبى الفتوح فرباه العادل وأحسن تربيته ولما قدم العادل الى مصر يريد الاستيلاء على الوزارة أرسل ربيبه عباسا في عسكر الى ابن مصال فظفر به عباس وقتله وعاد الى العادل بالقاهرة فاستقر العادل في الوزارة

وتمكن ولم يكن للخليفة الظافر معه حكم وبقى العادل كذلك الى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فقتله ربيبه عباس المذكور وتولى الوزارة على ماسنذكره

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) حصر نور الدين محمود بن زنكى حصن حارم فجمع البرنس صاحب انطاكية الفرنج وسار الى نور الدين واقتتلوا فانتصر نور الدين وقتل البرنس وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم ولما قتل البرنس ملك بعده ابنه بيمند وهو طفل وتزوجت أمه برجل آخر وتسمى بالبرنس ثم ان نور الدين غزاهم غزوة أخرى فهزمهم وقتل فيهم وأسر وكان فيمن أسر البرنس الثانى زوج أم بيمند فتمكن حينئذ بيمند في ملك انطاكية (وفيها) زلزلت الارض زلزلة شديدة (وفيها) توفي معين الدين انز صاحب دمشق وهو الذى كان اليه الحكم فيها واليه ينسب قصير معين الدين الذى في الغور (وفيها) تولى أبو المظفر يحيى بن هبيرة وزارة الخليفة المقتفى يوم الاربعاء رابع ربيع الآخر وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام (وفيها) توفي القاضى ناصح الدين الارجانى وارجان من أعمال تستر وتولى المذكور قضاء تستر واسمه أحمد بن محمد بن الحسين وله الشعر الفائق فمن ذلك قوله

ولما بلوت الناس اطلب عندهم ... أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطلعت في حالي رخاء وشدة ... وناديت في الاحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءنى غير شامت ... ولم أر فيما سرنى غير حاسد
تمتعتما ياناظرى بنظرة ... وأوردتما قلبى أمر الموارد
أعينىّ كفا عن فؤادى فانه ... من البغى سعى اثنين في قتل واحد

(وفيها) توفي بمراكش القاضى عياض بن موسى بن عياض السبتى ومولده بها في سنة ست وسبعين وأربعمائة أحد الائمة الحفاظ الفقهاء المحدثين الادباء وتآليفه وأشعاره شاهدة بذلك ومن تصانيفه الاجمال في شرح كتاب مسلم ومشارق الانوار في تفسير غريب الحديث (ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة) في هذه السنة رابع عشر المحرم أخذت العرب جميع الحجاج بين مكة والمدينة ذكر ان اسم ذلك المكان الغرابى فهلك أكثرهم ولم يصل منهم الى البلاد الا القليل (وفيها) سار نور الدين محمود بن زنكى الى قامية وحصر قلعتها وتسلمها من الفرنج وحصنها بالرجال والذخائر وكان قد اجتمع الفرنج وساروا ليرحلوه عنها فملكها قبل وصولهم فلما بلغهم فتحها تفرقوا (وفيها) سار الادفونش صاحب طيطلة بجموع الفرنج الى قرطبة وحصرها ثلاثة أشهر ثم رحل عنها ولم يملكها (وفيها) مات الامير على بن دبيس بن صدقة صاحب الحلة (ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة)

ذكر هزيمة نور الدين من جوسلين ثم اسر جوسلين

كان جوسلين من أعظم فرسان الفرنج قد جمع بين الشجاعة وجودة الرأى وكان نور الدين قد عزم على قصد بلاده فجمع جوسلين الفرنج فاكثر وسار نحو نور الدين والتقوا فانهزم المسلمون وقتل وأسر منهم جمع كثير وكان من جملة من أسر السلاحدار ومعه سلاح نور الدين فارسله جوسلين الى مسعود بن قليج ارسلان صاحب قونيه وأقسرا وقال هذا سلاح زوج ابنتك وسآتيك بعده بما هو أعظم منه فعظم ذلك على نور الدين وهجر الملاذ وافتكر في أمر جوسلين وجمع التركمان وبذل لهم الوعود ان ظفروا به أما بامساك أو بقتل فاتفق ان جوسلين طلع الى الصيد فكبسه التركمان وأمسكوه فبذل لهم مالا فأجابوه الى اطلاقه فسار بعض التركمان وأعلم أبا بكر بن الداية نائب نور الدين بحلب فارسل عسكرا كبسوا التركمان الذين عندهم جوسلين وأحضروه الى نور الدين أسيرا وكان أسر جوسلين من أعظم الفتوح وأصيبت النصرانية كافة باسره ولما أسر سار نور الدين الى بلاد جوسلين وقلاعه فملكها وهى تل باشر وعين تاب وذلوك وعزاز وتل خالد وقورس والرواندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفرسود وكفرلاثا ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك في مدة يسيرة وكان نور الدين كلما فتح منها موضعا حصنه بما يحتاج اليه من الرجال والذخائر (ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة) من الكامل في هذه السنة سار عبد المؤمن بن على الى بجاية وملكها وملك جميع ممالك بنى حماد وأخذها من صاحبها يحيى بن العزيز بن حماد آخر ملوك بنى حماد وكان يحيى المذكور مولعا بالصيد واللهو لاينظر في شئ من أمور مملكته ولما هزم عبد المؤمن عسكر يحيى هرب يحيى وتحصن بقلعة قسطنطينية من بلاد بجاية ثم نزل يحيى الى عبد المؤمن بالامان فامنه وأرسله الى بلاد المغرب وأقام بها وأجرى عبد المؤمن عليه شيئاً كثيرا وقد ذكر في تاريخ القيروان ان مسير عبد المؤمن وملكه تونس وافريقية انما كان في سنة أربع وخمسين وخمسمائة

﴿ ذكر وفاة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه وملك ملكشاه ومحمد ابنى محمود ﴾

(في هذه السنة) وقيل في أواخر سنة ست وأربعين في أول رجب توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمدان ومولده سنة اثنتين وخمسمائة في ذى القعدة ومات معه سعادة البيت السلجوقى فلم يقم لهم بعده راية يعتد بها وكان حسن الاخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس كريما عفيفا عن أموال الرعايا * ولما مات عهد بالملك

الى ابن أخيه ملكشاه بن محمود فقعد في السلطنة وخطب له وكان المتغلب على المملكة أميرا يقال له خاص بك وأصله صبي تركماني اتصل بخدمة السلطان مسعود فتقدم على سائر أمرائه ثم ان خاص بك المذكور قبض على السلطان ملكشاه بن محمود وسجنه وأرسل الى أخيه محمد بن محمود وهو بخورستان فاحضره وتولى السلطنة وجلس على السرير وكان قصد خاص بك أن يمسكه ويخطب لنفسه بالسلطنة فبدره السلطان محمد في ثاني يوم وصوله فقتل خاص بك وقتل معه زنكي الجاندار وألقى برأسيهما فتفرق أصحابهما

ذكر فتح دلوك

(في هذه السنة) جمعت الفرنج وساروا الى نور الدين وهو محاصر دلوك فرحل عنها وقاتلهم أشد قتال رآه الناس وانهزمت الفرنج وقتل وأسر كثير منهم ثم عاد نور الدين الى دلوك فملكها ومما مدح به في ذلك

أعدت بعصرك هذا الجديـ ـد فتوح النبي واعصارها
وفي تل باشر باشرتهم بزحف تسور أسوارها
وان دالكتهم دلوك فقد أسرت فصدقت أخبارها

﴿ ذكر ابتداء ظهور الملوك الغورية وانقراض دولة آل سبكتكين ﴾

أول من اشتهر من الملوك الغورية أولاد الحسين وأولهم محمد بن الحسين وكان قد صاهر بهرام شاه بن مسعود صاحب غزنة من آل سبكتكين وسار محمد بن الحسين المذكور الى غزنة يظهر الطاعة لبهرام شاه ويبطن الغدر فأمسكه بهرام شاه وقتله فتولى بعده في ملك الغورية أخوه سودى بن الحسين وسار الى غزنة طالبا بثار أخيه وجرى القتال بينه وبين بهرام شاه فظفر بهرام شاه بسودى وقتله أيضاً وانهزم عسكره ثم ملك بعدهما أخوهما علاء الدين الحسين بن الحسين وسار الى غزنة فانهزم عنها صاحبها بهرام شاه واستولى علاء الدين الحسين على غزنة وأقام فيها أخاه سيف الدين سام بن الحسين وعاد علاء الدين الحسين بن الحسين الى الغور فكاتب أهل غزنة بهرام شاه فسار اليهم واقتتل مع سيف الدين الغورى فانتصر بهرام شاه وظفر بسيف الدين سام فقتله واستقر بهرام شاه في ملك غزنة ثم توفي بهرام شاه وملك بعده ابنه خسرو شاه وتجهز علاء الدين الحسين ملك الغورية وسار الى غزنة في سنة خمسين وخمسمائة فلما قرب منها فارقها صاحبها خسرو شاه بن بهرام شاه وسار الى لهاوور وملك علاء الدين الحسين بن الحسين غزنة ونهبها ثلاثة أيام وتلقب علاء الدين بالسلطان المعظم وحمل الجتر على عادة السلاطين السلجوقية وأقام الحسين على ذلك مدة واستعمل على غزنة ابنى أخيه وهما غياث الدين محمد بن سام وأخوه شهاب الدين محمد بن سام ثم جرى بينهما وبين عميهما علاء

الدين الحسين حرب انتصرا فيه على عمهما وأسراه ولما أسراه اطلقاه وأجلساه على التخت ووقفا في خدمته واستمر عمهما في السلطنة وزوج غياث الدين بابنته وجعله ولى عهده وبقى كذلك الى ان مات علاء الدين الحسين بن الحسين فى سنة ست وخمسين وخمسمائة على ماذكره وملك بعده غياث الدين محمد بن سام بن الحسين وخطب لنفسه في الغور وغزنة بالملك ثم استولى الغز على غزنة وملكوها منه مدة خمس عشرة سنة ثم أرسل غياث الدين أخاه شهاب الدين الى غزنة فسار اليها وهزم الغز وقتل منهم خلقا كثيرا واستولى على غزنة وماجاورها من البلاد مثل كرمان وشنوران وماه السند وقصد لهاوور وبها يومئذ خسروشاه بن بهرام شاه السبكتكينى فملكها شهاب الدين في سنة تسع وسبعين وخمسمائة بعد حصار وأعطى خسروشاه الامان وحلف له فحضر خسروشاه عند شهاب الدين بن سام المذكور فاكرمه شهاب الدين وأقام خسروشاه على ذلك شهرين ولما بلغ غياث الدين بن سام ذلك أرسل الى أخيه شهاب الدين يطلب منه خسروشاه فأمره شهاب الدين بالتوجه فقال خسروشاه أنا ماأعرف أخاك ولا سلمت نفسى الا اليك فطيب شهاب الدين خاطره وأرسله وأرسل أيضاً ابن خسروشاه مع أبيه الى غياث الدين وأرسل معهما عسكرا يحفظونهما فلما وصلوا الى الغور لم يجتمع بهما غياث الدين بل أمر بهما فرفعا الى بعض القلاع وكان آخر العهد بهما وخسروشاه المذكور هو ابن بهرام شاه ابن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وهو آخر ملوك آل سبكتكين وكان ابتداء دولتهم سنة ست وستين وثلثمائة وملكوا مائتى سنة وثلاث عشرة سنة تقريباً فيكون انقراض دولتهم في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وقدمنا ذلك لتتصل أخبارهم وكان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة وقيل ان خسروشاه توفي في الملك وملك بعده ابنه ملكشاه على مانشير اليه في مواضعه ان شاء الله تعالى ولما استقر ملك الغورية بلهاوور واتسعت مملكتهم وكثرت عساكرهم كتب غياث الدين الى أخيه شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة وتلقب بالقاب منها معين الاسلام قسيم أمير المؤمنين ولما استقر ذلك سار شهاب الدين الى أخيه غياث الدين واجتمعا وسارا الى خراسان وقصدا مدينة هراة وحصراها وتسلمها غياث الدين بالامان ثم سار ومعه شهاب الدين في عساكرهما الى بوشنج فملكها ثم عاد الى باذغيس وكالين وبيوار فملكها ثم رجع غياث الدين الى بلده فيروز كوه ورجع أخوه شهاب الدين الى غزنة ولما استقر شهاب الدين بغزنة قصد بلاد الهند وفتح مدينة أجر ثم عاد الى غزنة ثم قصد الهند فذلل صعابها وتيسر له فتح الكثير من بلادهم ودوخ ملوكهم وبلغ منهم مالم يبلغ أحد من ملوك المسلمين ولما كثر فتوحه في الهند اجتمعت الهنود مع ملوكهم في خلق كثير والتقوا مع شهاب الدين وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم المسلمون وجرح

شهاب الدين وبقى بين القتلى ثم اجتمعت عليه أصحابه وحملوه الى مدينة أجر واجتمعت عليه عساكره واقام شهاب الدين في أجر حتى أتاه المدد من أخيه غياث الدين ثم اجتمعت الهنود وتنازل الجمعان وبينهما نهر فكبس عساكر المسلمين الهنود وتمت الهزيمة عليهم وقتل المسلمون من الهنود مايفوق الحصر وقتلت ملكتهم وتمكن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند واقطع مملوكه قطب الدين أيبك مدينة دهلى وهى من كراسى ممالك الهند فأرسل أيبك عسكرا مع مقدم يقال له محمد بن بختيار فملكوا من الهند مواضع ما وصلها مسلم قبله حتى قاربوا جهة الصين

ذكر وفاة صاحب ماردين

(في هذه السنة) توفي حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين وميا فارقين وكانت ولايته نيفا وثلاثين سنة لانه ولى بعد موت أبيه في سنة ست عشرة وخمسمائة حسبما تقدم ذكره وتولى بعده ابنه نجم الدين البلى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق (ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة)

(ذكر أخبار الغز وهزيمة السلطان سنجر منهم وأسره)

(في هذه السنة) في المحرم انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغز وهم طائفة من الترك وكانوا بما وراء النهر فلما ملكه الخطا أخرجوهم منه فقصدوا خراسان وكانوا كفارا وكان من أسلم منهم وخالط المسلمين يصير ترجمانا بين الفريقين حتى صار من أسلم منهم قيل عنه انه صار ترجمانا ثم قيل تركمانا بالكاف العجمية وجمع على تراكمين ثم أسلم الغز جميعهم فقيل لهم تراكمين ولما قدموا الى خراسان أقاموا بنواحى بلخ مدة طويلة ثم عن للامير قماج مقطع بلخ أن يخرجهم من بلاده فامتنعوا فسار قماج اليهم في عشرة آلاف فارس فحضر اليه كبراء الغز وسألوه أن يكف عنهم ويتركهم في مراعيهم ويعطوه عن كل بيت مائتى درهم فلم يجبهم الى ذلك واسر على اخراجهم أو قتالهم فاجتمعوا واقتتلوا فانهزم قماج وتبعه الغز يقتلون ويأسرون ثم عاثوا في البلاد فاسترقوا النساء والاطفال وخربوا المدارس وقتلوا الفقهاء وعملوا كل عظيمة ووصل قماج الى السلطان سنجر منهزما واعلمه بالحال فجمع سنجر عساكره وسار اليهم في مائة ألف فارس فأرسل الغز يعتذرون اليه مما وقع منهم وبذلوا له بذلا كثيرا ليكف عنهم فلم يجبهم وقصدهم ووقعت بينهم حرب شديدة فانهزمت عساكر سنجر وتبعهم الغز يقتلون فيهم ويأسرون فقتل علاء الدين قماج وأسر السلطان سنجر وأسر معه جماعة من الامراء فضربوا أعناقهم وأما سنجر فلما أسروه اجتمع أمراء الغز وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له نحن عبيدك لا نخرج عن طاعتك وبقى معهم كذلك شهرين

أو ثلاثة ودخلوا معه الى مرو وهى كرسى ملك خراسان فطلبها منه بختيار اقطاعا وهو من أكبر أمراء الغز فقال سنجر هذه دار الملك ولا يجوز أن يكون اقطاعا لاحد فضحكوا منه وحبق له بختيار بفمه فلما رأى سنجر ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانقاه مرو وتاب من الملك واستولى الغز على البلاد فنهبوا نيسابور وقتلوا الكبار والصغار وقتلوا القضاة والعلماء والصلحاء الذين بتلك البلاد فقتل الحسين بن محمد الارسانيدى والقاضى على بن مسعود والشيخ محى الدين محمد بن يحيى الفقيه الشافعى الذى لم يكن في زمانه مثله وكان رحلة الناس من الشرق والغرب وغيرهم من الائمة والفضلاء ولم يسلم شئ من خراسان من النهب غير هراة ودهستان لحصانتهما ولما كان من هزيمة سنجر وأسره ما كان اجتمع عسكره على مملوك لسنجر يقال له (أى به) ولقبه المؤيد واستولى المؤيد على نيسابور وطوس ونسا وأبيورد وشهرستان والدامغان وازاح الغز عنها وأحسن السيرة في الناس وكذلك استولى في السنة المذكورة على الرى مملوك لسنجر يقال له اينانج وهادى الملوك واستقر قدمه وعظم شأنه

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنه) قتل العادل بن السلار وزير الظافر العلوى قتله ربيبه عباس بن أبى الفتوح الصنهاجى باشارة اسامة بن منقذ وكان العادل قد تزوج بأم عباس المذكور وأحسن تربية عباس فجازاه بأن قتله وولى مكانه وكانت الوزارة في مصر لمن غلب (وفيها) كان بين عبد المؤمن ملك الغرب وبين العرب حرب شديد انتصر فيها عبد المؤمن (وفيها) مات رجار الفرنجى ملك صقلية بالخوانيق وكان عمره قريب ثمانين سنة وملكه نحو عشرين سنة وملك بعده ابنه غليالم (وفيها) في رجب توفي بغزنة بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم السبكتكينى صاحب غزنة وقام بالملك بعده ولده نظام الدين خسروشاه وكانت مدة ملك بهرام شاه نحو ست وثلاثين سنة وذلك من حين قتل أخاه أرسلان شاه بن مسعود في سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وكان ابتداء ولايته من حين انهزم أخوه قبل ذلك في سنة ثمان وخمسمائة حسبما تقدم ذكره في السنة المذكورة وكان بهرام شاه حسن السيرة (وفيها) ملك الفرنج مدينة عسقلان وكانت لخلفاء مصر والوزراء يجهزون اليها المؤن والسلاح فلما كانت هذه السنة قتل العادل بن السلار واختلفت الاهواء في مصر فتمكن الفرنج من عسقلان وحاصروها وملكوها (وفيها) وصلت مراكب من صقلية فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصرية (وفيها) توفي أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستانى المتكلم على مذهب الاشعرى وكان اماما في علم الكلام والفقه وله عدة مصنفات منها نهاية الاقدام في علم الكلام والملل والنحل والمناهج وتلخيص الاقسام لمذاهب الانام

ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة وكانت ولادته سنة سبع وستين وأربعمائة بشهرستان وتوفي بها وشهرستان اسم لثلاث مدن الاولى شهرستان خراسان بين نيسابور وخوارزم عند أول الرمل المتصل بناحية خوارزم وهى التى منها محمد الشهرستانى المذكور وبناها عبد الله بن طاهر أمير خراسان والثانية شهرستان بأرض فارس والثالثة مدينة حى بأصفهان يقال لها شهرستان وبينها وبين اليهودية مدينة أصفهان نحو ميل ومعنى هذه الكلمة مدينة الناحية بالعجمى لان شهر اسم المدينة وأستان الناحية (ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة)

﴿ ذكر قتل الظافر وولاية ابنه الفائز ﴾

(في هذه السنة) في المحرم قتل الظافر بالله أبو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى قتله وزيره عباس الصنهاجى وسببه انه كان لعباس ولد حسن الصورة يقال له نصر فاحبه الظافر وما بقى يفارقه وكان قد قدم من الشام مؤيد الدولة اسامة ابن منقذ الكنانى في وزارة العادل فحسن لعباس قتل العادل فقتله وتولى مكانه ثم حسن لعباس أيضاً قتل الظافر فانه قال له كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول فقال له عباس ماهو فقال ان الناس يقولون ان الظافر يفعل بابنك نصر فاتف عباس وأمر ابنه نصرا فدعا الظافر الى بيته وقتلاه وقتلا كل من معه وسلم خادم صغير فحضر الى القصر وأعلمهم بقتل الظافر ثم حضر عباس الى القصر وطلب الاجتماع بالظافر وطلبه من أهل القصر فلم يجدوه فقال أنتم قد قتلتموه فاحضر أخوين للظافر يقال لهما يوسف وجبريل وقتلهما عباس المذكور أيضاً ثم أحضر الفائز بنصر الله أبا القاسم عيسى بن الظافر اسماعيل ثانى يوم قتل أبوه وله من العمر ثلاث سنين فحمله عباس على كتفه وأجلسه على سرير الملك وبايع له الناس وأخذ عباس من القصر من الاموال والجواهر النفيسة شيئاً كثيرا ولما فعل عباس ذلك اختلفت عليه الكلمة وثارت الجند والسودان وكان طلائع بن رزيك في منية ابن خصيب والياً عليها فأرسل اليه أهل القصر من النساء والخدام يستغيثون به وكان فيه شهامة فجمع جمعه وقصد عباسا فهرب عباس الى نحو الشام بما معه من الاموال والتحف التى لا يوجد مثلها ولما كان في أثناء الطريق خرجت الفرنج على عباس المذكور فقتلوه وأخذوا ما كان معه وأسروا ابنه نصرا وكان قد استقر طلائع بن رزيك بعد هرب عباس في الوزارة ولقب الملك الصالح فأرسل الصالح بن رزيك الى الفرنج وبذل لهم مالا وأخذ منهم نصر بن عباس وأحضره الى مصر وأدخل القصر فقتل وصلب على باب زويلة وأما اسامة بن منقذ فانه كان مع عباس فلما قتل عباس هرب أسامة ونجا الى الشام ولما استقر أمر الصالح بن رزيك وقع في الاعيان بالديار المصرية فأبادهم بالقتل والهروب الى البلاد البعيدة

﴿ ذكر حصر تكريت ﴾

(في هذه السنة) سار المقتفى لامر الله الخليفة بعساكر بغداد وحصر تكريت وأقام عليها عدة مجانيق ثم رحل عنها ولم يظفر بها

(ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكى دمشق)

وأخذها من صاحبها مجير الدين أبق بن محمد بن تورى بن طغتكين * كان الفرنج قد تغلبوا بتلك الناحية بعد ملكهم مدينة عسقلان حتى انهم استعرضوا كل مملوك وجارية بدمشق من النصارى واطلقوا قهرا كل من أراد منهم الخروج من دمشق واللحوق بوطنه شاء صاحبه أو أبى فخشى نور الدين أن يملكوا دمشق فكاتب أهل دمشق واستمالهم في الباطن ثم سار اليها وحصرها ففتح له باب الشرقى فدخل منه وملك المدينة وحصر مجير الدين في القلعة وبذل له اقطاعا من جملته مدينة حمص فسلم مجير الدين القلعة الى نور الدين وسار الى حمص فلم يعطه اياها نور الدين وأعطاه عوضها بالس فلم يرضها مجير الدين وسار عنها الى العراق وأقام ببغداد وابتنى دارا بقرب النظامية وسكنها حتى مات بها (وفي هذه السنة) والتى بعدها ملك نور الدين قلعة تل باشر وأخذها من الفرنج (ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة) في هذه السنة سار الخليفة المقتفى الى دقوقا فحصرها وبلغه حركة عسكر الموصل اليه فرحل عنها ولم يبلغ غرضا (وفيها) هجم الغز نيسابور بالسيف وقيل كان معهم السلطان سنجر معتقلا وله اسم السلطنة ولكن لا يلتفت اليه وكان اذا قدم اليه الطعام يدخر منه ما يأكله وقتا آخر خوفا من انقطاعه عنه لتقصيرهم في حقه (ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة) في هذه السنة ثارت أهل بلاد أفريقية على من بها من الفرنج فقتلوهم وسار عسكر عبد المؤمن فملك بونة وخرجت جميع أفريقية عن حكم الفرنج ماعدا المهدية وسوسة (وفيها) قبض زين الدين على كوجك نائب قطب الدين مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى وكان سليمان المذكور قد قدم الى بغداد وخطب له بالسلطنة في هذه السنة وخلع عليه الخليفة المقتفى وقلده السلطنة على عادتهم وخرج من بغداد بعسكر الخليفة ليملك به بلاد الجبل فاقتتل هو وابن عمه السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه فانهزم سليمان شاه وسار يريد بغداد على شهرزور فخرج اليه على كوجك بعسكر الموصل فأسره وحبسه بقلعة الموصل مكرما الى ان كان منه ما نذكره في سنة خمس وخمسين وخمسمائة

(ذكر وفاة خوارزم شاه)

(في هذه السنة) تاسع جمادى الآخرة توفي خوارزمشاه اطسز بن محمد بن أنوش تكين وكان قد أصابه فالج فاستعمل أدوية شديدة الحرارة فاشتد مرضه وتوفي وكانت ولادته في رجب سنة تسعين وأربعمائة وكان حسن السيرة ولما توفي ملك بعده ابنه أرسلان بن اطسز

ذكر وفاة ملك الروم

(وفي هذه السنة) توفي الملك مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق صاحب قونية وغيرها من بلاد الروم ولما توفي ملك بعده ابنه قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان المذكور

(ذكر هرب السلطان سنجر من اسر الغز)

(في هذه السنة) في رمضان هرب السلطان سنجر بن ملكشاه من أسر الغز وسار الى قلعة ترمذ ثم سار من ترمذ الى جيحون ووصل الى دار ملكه بمرو في رمضان من هذه السنة فكانت مدة أسره من سادس جمادى الاولى سنة ثمان وأربعين الى رمضان سنة احدى وخمسين وخمسمائة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) بايع عبد المؤمن لولده محمد بولاية العهد بعده وكانت ولاية العهد لابى حفص عمر وكان من أصحاب ابن تومرت وهو من أكبر الموحدين فأجاب الى خلع نفسه والبيعة لابن عبد المؤمن (وفيها) استعمل عبد المؤمن أولاده على البلاد فاستعمل ابنه عبدالله على بجاية وأعمالها وابنه عمر على تلمسان وأعمالها وابنه علياً على فاس وأعمالها وابنه أبا سعيد على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة وكذلك غيرهم (وفي هذه السنة) سار الملك محمد ابن السلطان محمود السلجوقى من همدان بعساكر كثيرة الى بغداد وحصرها وجرى بينهم قتال وحصن الخليفة المقتفى دار الخلافة واعتد للحصار واشتد الامر على أهل بغداد وبينا الملك محمد على ذلك اذ وصل اليه الخبران أخاه ملكشاه ابن السلطان محمود والدكز صاحب بلاد اران ومعه الملك أرسلان ابن الملك طغريل بن محمد وكان الدكز مزوجا بأم أرسلان المذكور قد دخلوا الى همدان فرحل الملك محمد عن بغداد وسار نحوهم في الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة (وفيها) احترقت بغداد فاحترق درب فراشا ودرب الدهاب ودرب اللبان وخرابة ابن جردة والظفرية والخاتونية ودار الخلافة وباب الازج وسوق

السلطان وغير ذلك (وفيها) توفي أبو الحسن بن الحل شيخ الشافعية في بغداد وهو من أصحاب الشاشى وجمع بين العلم والعمل وتوفي ابن الآمدى الشاعر وهو من أهل النيل في طبقة العزى والارجانى وكان عمره قد زاد على تسعين سنة (وفيها) قتل مظفر ابن حماد صاحب البطيحة قتل في الحمام وتولى بعده ابنه (وفيها) توفي الواوا الحلبى الشاعر المشهور (وفيها) توفي الحكيم أبو جعفر بن محمد البخارى باسفرائن وكان عالما بعلوم الفلسفة (ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الزلازل بالشام واخبار بنى منقذ اصحاب شيزر الى ان ملك نور الدين شيزر)

(في هذه السنة) في رجب كان بالشام زلازل قوية تخربت بها حماة وشيزر وحمص وحصن الاكراد وطرابلس وانطاكية وغيرها من البلاد المجاورة لها حتى وقعت الاسوار والقلاع فقام نور الدين محمود بن زنكى في ذلك الوقت المقام المرضى من تداركها بالعمارة واغارته على الفرنج ليشغلهم عن قصد البلاد وهلك تحت الهدم مالايحصى ويكفى ان معلم كتاب كان بمدينة حماة فارق المكتب وجاءت الزلزلة فسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يحضر أحد يسأل عن صبى كان له هناك ولما خربت قلعة شيزر بهذه الزلزلة ومات بنو منقذ تحت الردم سار الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكى الى شيزر وملكها يوم الثلاث ثالث جمادى الاولى من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة واستولى على كل من فيها لبنى منقذ وسلمها الى مجد الدين أبى بكر بن الداية وقد ذكر ابن الاثير ان شيزر لم تزل لبنى منقذ يتوارثونها من أيام صالح بن مرداس صاحب حلب وليس الامر كذلك فان صالح المذكور كانت وفاته في سنة عشرين وأربعمائة وملك بنى منقذ لشيزر كان في سنة أربع وسبعين وأربعمائة فيكون ملكهم لشيزر بعد وفاة صالح بن مرداس باربع وخمسين سنة ونحن نورد أخبار بنى منقذ محققة حسبما نقلناها من تاريخ مؤيد الدولة أسامة بن مرشد وكان المذكور أفضل بنى منقذ قال وفي سنة ثمان وستين وأربعمائة بدأ جدى سديد الملك أبو الحسن على بن مقلد بن نصر ابن منقذ الكنانى بعمارة حصن الجسر وحصر به حصن شيزر (أقول) ويعرف الجسر المذكور في زماننا بجسر ابن منقذ وموضع الحصن اليوم تل خال من العمارة وهو غربى شيزر على مسافة قريبة منها * رجعنا الى كلام ابن منقذ قال وكان في شيزر وال للروم اسمه دمترى فلما طالت المضايقة لدمترى المذكور راسل جدى هو ومن عنده من الروم في تسليم حصن شيزر اليه باقتراحات اقترحوها عليه منها مال يدفعه الى دمترى المذكور ومنها ابقاء املاك الاسقف الذى بها عليه فانه استمر مقيما تحت يد جدى

حتى مات بشيزر ومنها ان القنطارية وهم رجالة الروم يسلفهم ديوانهم لثلاث سنين فسلم اليهم جدى ماالتمسوه وتسلم حصن شيزر يوم الاحد في رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة واستمر سديد الملك على بن مقلد المذكور مالكها الى ان توفي فيها في سادس المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة وتولى بعده ولده أبو المرهف نصر بن على الى ان توفي سنة احدى وتسعين وأربعمائة وتولي بعده أخوه أبو العساكر سلطان بن على الى ان توفي فيها وتولى ولده محمد بن سلطان الى ان مات تحت الردم هو وثلاثة أولاده بالزلزلة في هذه السنة المذكورة أعنى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في يوم الاثنين ثالث رجب انتهى مانقلناه من تاريخ ابن منقذ * ولنرجع الى كلام ابن الاثير قال فلما انتهى ملك شيزر الى نصر بن على بن نصر بن منقذ استمر فيها الى ان مات سنة احدى وتسعين وأربعمائة * فلما حضره الموت استخلف أخاه مرشد بن على على حصن شيزر فقال مرشد والله لاوليته ولاخرجن من الدنيا كما دخلتها ومرشد هو والد مؤيد الدولة أسامة بن منقذ فلما امتنع مرشد من الولاية ولاها نصر أخاه الصغير سلطان بن على واستمر مرشد مع أخيه سلطان على أجمل صحبة مدة من الزمان وكان لمرشد عدة أولاد نجباء ولم يكن لسلطان ولد ثم جاء لسلطان الاولاد فخشى على أولاده من أولاد أخيه مرشد وسعى المفسدون بين مرشد وسلطان فتغير كل منهما على صاحبه فكتب سلطان الى أخيه مرشد أبياتاً يعاتبه وكان مرشد عالماً بالادب والشعر فأجابه مرشد بقصيدة طويلة منها

شكت هجرنا والذنب في ذاك ذنبها ... فياعجبا من ظالم جاء شاكيا
وطاوعت الواشين فيّ وطال ما ... عصيت عذولا في هواها وواشيا
ومال بها تيه الجمال الى القلى ... وهيهات ان أمسى لها الدهر قاليا

(ومنها)

ولما أتانى من قريظك جوهر ... جمعت المعالى فيه لى والمعانيا
وكنت هجرت الشعر حينا لانه ... تولى برغمى حين ولى شبابيا

(ومنها)

وقلت أخى يرعى بنى واسرتى ... ويحفظ عهدى فيهم وذماميا
فمالك لما ان حنى الدهر صعدتى ... وثلم منى صار ماكان ماضيا
تنكرت حتى صار برك قسوة ... وقربك منهم جفوة وتنائيا
على انى ماحلت عما عهدته ... ولا غيرت هذى السنون وداديا

وكان الامر بين مرشد وأخيه سلطان فيه تماسك الى أن توفي مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فأظهر سلطان التغير على أولاد أخيه مرشد المذكور وجاهرهم بالعداوة

ففارقوا شيزر وقصد أكثرهم نور الدين محمود بن زنكى وشكوا اليه من عمهم سلطان فغاظه ذلك ولم يمكنه قصده لاشتغاله بجهاد الفرنج وبقى سلطان كذلك الى أن توفي وولى بعده أولاده فلما خربت القلعة في هذه السنة بالزلزلة لم ينج من بنى منقذ الذين كانوا بها أحد فان صاحبها منهم كان قد ختن ولده وعمل دعوة للناس وأحضر جميع بنى منقذ في داره فجاءت الزلزلة فسقطت الدار والقلعة عليهم فهلكوا عن آخرهم وكان لصاحب شيزر بن منقذ المذكور حصان يحبه ولا يزال على باب داره فلما جاءت الزلزلة وهلك بنو منقذ تحت الهدم سلم منهم واحد وهرب يطلب باب الدار فلما خرج من الباب رفسه الحصان المذكور فقتله وتسلم نور الدين القلعة والمدينة

ذكر وفاة السلطان سنجر

﴿في هذه السنة﴾ في ربيع الاول توفي السلطان سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق أصابه قولنج ثم اسهال فمات منه ومولده بسنجار في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة واستوطن مدينة مرو من خراسان وقدم الى بغداد مع أخيه السلطان محمد واجتمع معه بالخليفة المستظهر فلما مات محمد خوطب سنجر بالسلطان واستقام أمره واطاعته السلاطين وخطب له على أكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك نحو عشرين سنة ولم يزل أمره عاليا الى ان أسره الغز ولما خلص من أسرهم وكاد أن يعود اليه ملكه أدركه أجله وكان مهيباً كريماً وكانت البلاد في زمانه آمنة * ولما وصل خبر موته الى بغداد قطعت خطبته ولما حضر سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخت سنجر فاقام خائفا من الغز

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) استولى أبو سعيد بن عبد المؤمن على غرناطة من الاندلس وأخذها من الملثمين وانقرضت دولة الملثمين ولم يبق لهم غير جزيرة ميورقة ثم سار أبو سعيد في جزيرة الاندلس وفتح المرية وكانت بأيدى الفرنج مدة عشر سنين (وفيها) ملك نور الدين بعلبك وأخذها من انسان كان قد استولى عليها من أهل البقاع يقال له ضحاك البقاعى كان قد ولاه صاحب دمشق عليها فلما ملك نور الدين دمشق استولى ضحاك المذكور على بعلبك (وفيها) قلع المقتفى الخليفة باب الكعبة وعمل عوضه بابا مصفحاً بالفضة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الاول تابوتا يدفن فيه (وفيها) مات محمد بن عبد اللطيف بن محمد الخجندى رئيس أصحاب الشافعى باصفهان وكان صدرا مقدما عند السلاطين (ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة) فيها قصد

ملكشاه ابن السلطان محمود السلجوقى قم وقاشان ونهبهما وكان أخوه السلطان محمد ابن محمود بعد رحيله عن حصار بغداد قد مرض فطال مرضه فارسل الى أخيه ملكشاه أن يكف عن النهب ويجعله ولى عهده فلم يقبل ملكشاه ذلك ثم سار ملكشاه الى خورستان واستولى عليها وأخذها من صاحبها شملة التركمانى (وفي هذه السنة) توفي يحيى بن سلامة بن الحسن بميافارقين الحصكفى الشاعر وكان يتشيع ومن شعره

وخليع بت أعذله ... ويرى عذلى من العبث
قلت ان الخمر مخبثة ... قال حاشاها من الخبث
قلت فالارفاث تتبعها ... قال طيب العيش في الرفث
قلت منها التقى قال أجل ... شرفت عن مخرج الخبث
وسألوها فقلت متى ... قال عند الكون في الحدث

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة ﴾

ذكر فتح المهدية

في أواخر هذه السنة نزل عبد المؤمن على مدينة المهدية وأخذها من الفرنج يوم عاشوراء سنة خمس وخمسين وخمسمائة وملك جميع افريقية وكان قد ملك الفرنج المهدية في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وأخذوها من صاحبها الحسن بن على بن يحيى بن تميم الصنهاجى وبقيت في أيديهم الى هذه السنة ففتحها عبد المؤمن فكان ملك الفرنج المهدية اثنتى عشرة سنة تقريبا ولما ملكها عبد المؤمن أصلح أحوالها واستعمل عليها بعض أصحابه وجعل معه الحسن بن على الصنهاجى الذى كان صاحبها وكان قد سار الى بنى حماد ملوك بجاية ثم اتصل بعبد المؤمن حسبما تقدم ذكر ذلك فأقام عنده مكرما الى هذه السنة فاعاده عبد المؤمن الى المهدية وأعطاه بها دورا نفيسة واقطاعاً ثم رحل عبد المؤمن عنها الى الغرب

ذكر وفاة السلطان محمد

﴿ وفي هذه السنة ﴾ وقيل في سنة خمس وخمسين توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد ابن ملكشاه السلجوقى في ذى الحجة وهو الذى حاصر بغداد * ولما عاد عنها لحقه سل وطال به فمات بباب همدان وكان مولده في ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وخمسمائة وكان كريما عاقلا وخلف ولدا صغيرا ولما حضره الموت سلم ولده الى اقسنقر الاحمديلى وقال أنا أعلم ان العساكر لاتطيع مثل هذا الطفل فهو وديعة عندك فارحل به الي بلادك فرحل به اقسنقر الى بلدة مراغا ولما مات السلطان محمد اختلفت الامراء فطائفة طلبوا ملكشاه أخاه وطائفة طلبوا سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه

ابن الب أرسلان الذى كان قد اعتقل في الموصل وهم الاكثر ومنهم من طلب ارسلان بن طغريل الذى كان مع الدكز وبعد موت محمد سار أخوه ملكشاه الى اصفهان فملكها

(ذكر مرض نور الدين)

﴿ وفي هذه السنة ﴾ مرض نور الدين بن زنكى مرضاً شديداً أرجف بموته بقلعة حلب فجمع أخوه أمير ميران ابن زنكى جمعا وحصر قلعة حلب وكان شيركوه بحمص وهو من أكبر أمراء نور الدين فسار الى دمشق ليستولى عليها وبها أخوه نجم الدين أيوب فانكر عليه أيوب ذلك وقال أهلكتنا والمصلحة أن تعود الى حلب فان كان نور الدين حيا خدمته في هذا الوقت وان كان قد مات فانا في دمشق نفعل ماتريد من ملكها فعاد شيركوه الى حلب مجدا وجلس نور الدين في شباك يراه الناس فلما رأوه حيا تفرقوا عن أخيه أمير ميران واستقامت الاحوال

﴿ ذكر اخبار اليمن من تاريخ اليمن لعمارة ﴾

﴿ وفي هذه السنة ﴾ استقر في ملك اليمن على بن مهدى وأزال ملك بنى نجاح على ماقدمنا ذكره في سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وعلى بن مهدى المذكور من حمير من أهل قرية يقال لها العنبرة من سواحل زبيد كان أبوه مهدى المذكور رجلا صالحا ونشأ ابنه على طريقة أبيه في العزلة والتمسك بالصلاح ثم حج واجتمع بالعراقيين وتضلع من معارفهم ثم صار على بن مهدى المذكور واعظا وكان فصيحاً صبيحا حسن الصوت عالماً بالتفسير غزير المحفوظات وكان يتحدث في شئ من أحواله المستقبلات فيصدق فمالت اليه القلوب واستفحل أمره وصار له جموع فقصد الجبال وأقام بها الى سنة احدى وأربعين وخمسمائة ثم عاد الى املاكه وكان يقول في وعظه أيها الناس دنا الوقت أزف الامر كانكم بما أقول لكم وقد رأيتموه عياناً ثم عاد الى الجبال الى حصن يقال له الشرف وهو لبطن من خولان فاطاعوه وسماهم الانصار وسمى كل من صعد معه من تهامة المهاجرين وأقام على خولان رجلا اسمه سبا وعلى المهاجرين رجلا اسمه التويتى وسمى كلا من الرجلين شيخ الاسلام وجعلهما نقيبين على الطائفتين فلا يخاطبه أحد غيرهما وهما يوصلان كلامه الى الطائفتين وكلام الطائفتين وحوائجهما اليه وأخذ يغادى الغارات ويراوحها على التهائم حتى أخلى البوادى وقطع الحرث والقوافل ثم انه حاصر زبيد واستمر مقيما عليها حتى قتل فاتك بن محمد آخر ملوك بنى نجاح قتله عبيده وجرى بين ابن مهدى وعبيد فاتك حروب كثيرة وآخرها ان ابن مهدى انتصر عليهم وملك زبيد واستقر في دار الملك يوم الجمعة رابع عشر رجب من هذه السنة

أعنى سنة أربع وخمسين وخمسمائة وبقى ابن مهدى في الملك شهرين واحد وعشرين يوما ثم مات على بن مهدى المذكور في السنة التى ملك فيها في شوال ثم ملك اليمن بعده ولده مهدى بن على بن مهدى ولم يقع تاريخ وفاته ثم ملك اليمن بعده ولده عبد النبى بن مهدى ثم خرجت المملكة عن عبد النبى المذكور الى أخيه عبد الله ثم عادت الى عبد النبى واستقر فيها حتى سار اليه توران‌شاه بن أيوب من مصر في سنة تسع وستين وخمسمائة وفتح اليمن واستقر في ملكه وأسر عبد النبى المذكور وهو عبد النبى ابن مهدى بن على بن مهدى الحميرى وهو من ملك اليمن من بنى حمير وكان مذهب على بن مهدى التكفير بالمعاصى وقتل من خالف اعتقاده من أهل القبلة واستباحة وطء سباياهم واسترقاق ذراريهم وكان حنفى الفروع وكان أصحابه يعتقدون فيه فوق مايعتقده الناس في الانبياء صلوات الله عليهم ومن سيرته قتل من شرب ومن سمع الغناء (ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة)

(ذكر مسير سليمان‌شاه الى همدان وما كان منه الى ان قتل)

مات محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان أرسلت الامراء وطلبوا عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ليولوه السلطنة وكان قد اعتقل في الموصل مكرما فجهزه قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل بشئ كثير وجهاز يليق بالسلطنة وسار معه زين الدين على كجك بعسكر الموصل الى همدان وأقبلت العساكر اليهم كل يوم تلقاه طائفة وأمير ثم تسلطت العساكر عليه ولم يبق له حكم وكان سليمان فيه تهور وخرق وكان يدمن شرب الخمر حتى انه شرب في رمضان نهارا وكان يجمع عنده المساخر ولا يلتفت الى الامراء فاهمل العسكر أمره وصاروا لايحضرون بابه وكان قد رد جميع الامور الى شرف الدين كردباز والخادم وهو من مشايخ الخدم السلجوقية يرجع الى دين وحسن تدبير فاتفق يوما ان سليمان شرب بظاهر همدان بالكشك فحضر اليه كردبازو ولامه فامر سليمان من عنده من المساخر فعبثوا بكردبازو حتى ان بعضهم كشف له سوءته فاتفق كردبازو مع الامراء على قبضه وعمل كردبازو دعوة عظيمة فلما حضرها الملك سليمان في داره قبض عليه كردبازو وحبسه وبقى في الحبس مدة ثم أرسل اليه كردبازو من خنقه وقيل سقاه سما فمات في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وخمسمائة ولما مات سار الدكز في عساكر تزيد على عشرين ألفا ومعه ارسلان‌شاه ابن طغريل بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان ووصل الى همدان فلقيه كردبازو وأنزله في دار المملكة وخطب لارسلان‌شاه بالسلطنة * وكان الدكز مزوجا بأم ارسلان شاه فولدت للدكز أولادا منهم البهلوان محمد وقزل ارسلان عثمان ابناء الدكز

وبقى الدكز اتابك ارسلان وابنه البهلوان وهو أخو ارسلان لامه حاجبه وكان هذا الدكز أحد مماليك السلطان مسعود اشتراه في أول أمره ثم أقطعه اران وبعض بلاد اذربيجان فعظم شأنه وقوى أمره * ولما خطب لارسلان شاه بالسلطنة في تلك البلاد أرسل الدكز الى بغداد يطلب الخطبة لارسلان شاه بالسلطنة على عادة الملوك السلجوقية فلم يجب الى ذلك ونحن قد قدمنا ذكر موت سليمان وولاية أرسلان ليتصل ذكر الحادثة وهى في الكامل مذكورة في موضعين في سنة خمس وسنة ست وخمسمائة

ذكر وفاة الفائز وولاية العاضد العلويين

﴿ في هذه السنة ﴾ توفي الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى بن اسماعيل الظافر خليفة مصر وكانت خلافته ست سنين ونحو شهرين وكان عمره لما ولى ثلاث سنين وقيل خمس سنين ولما مات دخل الصالح بن رزيك القصر وسأل عمن يصلح فاحضر له منهم انسان كبير السن * فقال بعض أصحاب الصالح له سرا لايكون عباس أحزم منك حيث اختار الصغير فأعاد الصالح الرجل الى موضعه وأمر باحضار العاضد لدين الله أبى محمد عبد الله ابن الامير يوسف بن الحافظ ولم يكن أبوه خليفة وكان العاضد ذلك الوقت مراهقا فبايع له بالخلافة وزوجه الصالح بابنته ونقل معها من الجهاز مالا يسمع بمثله

ذكر وفاة المقتفى لامر الله

﴿ في هذه السنة ﴾ ثانى ربيع الاول توفي الخليفة المقتفى لامر الله أبو عبد الله محمد ابن المستظهر أبى العباس أحمد بعلة التراقى وكان مولده ثانى ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأمه أم ولد وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوما وكان حسن السيرة وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه وكان يبذل الاموال العظيمة لاصحاب الاخبار في جميع البلاد حتى كان لايفوته منها شئ

ذكر خلافة المستنجد

وهو ثانى ثلاثينهم * ولما توفي المقتفى لامر الله محمد بويع ابنه يوسف ولقب المستنجد بالله وأم المستنجد أم ولد تدعى طاووس ولما بويع المستنجد بالخلافة بايعه أهله وأقاربه فمنهم عمه أبو طالب ثم أخوه أبو جعفر بن المقتفى وكان أكبر من المستنجد ثم بايعه الوزير ابن هبيرة وقاضى القضاة وغيرهم

(ذكر وفاة صاحب غزنة)

﴿ في هذه السنة ﴾ في رجب توفي السلطان خسروشاه بن بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمد بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا حسن السيرة وكانت ولايته في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ولما مات ملك بعده ابنه ملكشاه ابن خسروشاه وقيل والده خسروشاه المذكور توفي في حبس غياث الدين الغورى وانه آخر ملوك بنى سبكتكين حسبما تقدم ذكره في سنة سبع وأربعين وخمسمائة والله أعلم بالصواب

ذكر وفاة ملكشاه السلجوقى

(في هذه السنة) توفي السلطان ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان باصفهان مسموما

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

﴿ في هذه السنة ﴾ حج أسد الدين شيركوه بن شاذى مقدم جيش نور الدين محمود ابن زنكى (ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة) في هذه السنة في ربيع الآخر توفي الملك علاء الدين الحسين بن الحسين الغورى ملك الغور وكان عادلا حسن السيرة ولما مات ملك بعده ابن أخيه غياث الدين محمد وقد تقدم ذكر ذلك في سنة سبع وأربعين وخمسمائة

ذكر نهب نيسابور وتخريبها وعمارة الشاذياخ

﴿ في هذه السنة ﴾ تقدم المؤيد (أى به) بامساك أعيان نيسابور لانهم كانوا رؤساء للحرامية والمفسدين وأخذ المؤيد يقتل المفسدين فخربت نيسابور وكان من جملة ماخرب مسجد عقيل وكان مجمعا لاهل العلم وكان فيه خزائن الكتب الموقوفة وخرب من مدارس الحنفية سبع عشرة مدرسة وأحرق ونهب عدة من خزائن الكتب وأما الشاذياخ فان عبد الله بن طاهر بن الحسين بناها لما كان أميرا على خراسان للمأمون وسكنها هو والجند ثم خربت بعد ذلك ثم جددت في أيام السلطان الب ارسلان السلجوقى ثم تشعثت بعد ذلك فلما كان الآن وخربت نيسابور أمر المؤيد (أى به) باصلاح سور الشاذياخ وسكنها هو والناس فخربت نيسابور كل الخراب ولم يبق بها أحد

ذكر قتل الصالح بن رزيك

﴿ في هذه السنة ﴾ في رمضان قتل الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزيك الارمنى وزير العاضد العلوى جهزت عليه عمة العاضد من قتله وهو داخل في القصر بالسكاكين

ولم يمت في تلك الساعة بل حمل الى بيته وأرسل يعتب على العاضد فارسل العاضد الى طلائع المذكور يحلف له انه لم يرض ولا علم بذلك وأمسك العاضد عمته وأرسلها الى طلائع فقتلها وسأل العاضد أن يولي ابنه رزيك الوزارة ولقب العادل ومات طلائع واستقر ابنه العادل رزيك في الوزارة وكان للصالح طلائع شعر حسن فمنه في الفخر

أبى الله الا أن يدين لنا الدهر ... ويخدمنا في ملكنا العز والنصر
علمنا بأن المال تفنى ألوفه ... ويبقى لنا من بعده الاجر والذكر
خلطنا الندى بالبأس حتى كأننا ... سحاب لديه البرق والرعد والقطر

ذكر ملك عيسى مكة حرسها الله تعالى

كان أمير مكة قاسم بن أبى فليتة بن قاسم بن أبى هاشم العلوى الحسينى فلما سمع بقرب الحاج من مكة صادر المجاورين وأعيان مكة وأخذ أموالهم وهرب الى البرية فلما وصل الحاج الى مكة رتب أمير الحاج مكان قاسم عمه عيسى بن قاسم بن أبى هاشم فبقى كذلك الى شهر رمضان ثم ان قاسم بن أبى فليتة جمع العرب وقصد عمه عيسى فلما قارب مكة رحل عنها عيسى فعاد قاسم فملكها ولم يكن معه مايرضى به العرب فكاتبوا عمه عيسى وصاروا معه فقدم عيسى اليهم فهرب قاسم وصعد الى جبل أبى قبيس فسقط عن فرسه فاخذه أصحاب عمه عيسى وقتلوه فغسله عمه عيسى ودفنه بالمعلى عند ابنه أبى فليتة واستقرت مكة لعيسى

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) عبر عبد المؤمن بن على المجاز الى الاندلس وبنى على جبل طارق من الاندلس مدينة حصينة وأقام بها عدة أشهر ثم عاد الى مراكش (وفيها) ملك قرار أرسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتان وكانت لطائفة من الاكراد ولما ملكها خربها واضاف أعمالها الى حصن طالب (ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة) في هذه السنة نازل نور الدين محمود بن زنكى قلعة حارم وهى للفرنج مدة ثم رحل عنها ولم يملكها (وفيها) سارت الكرج في جمع عظيم ودخلوا بلاد الاسلام وملكوا مدينة دوين من أعمال أذربيجان ونهبوها ثم جمع الدكز صاحب أذربيجان جمعا عظيما وغزا الكرج وانتصر عليهم ﴿ وفيها ﴾ حج الناس فوقعت فتنة وقتال بين صاحب مكة وأمير الحاج فرحل الحجاج ولم يقدر بعضهم على الطواف بعد الوقفة قال ابن الاثير وكان ممن حج ولم يطف جدته أم أبيه فوصلت الى بلادها وهى على احرامها واستفتت الشيخ أبا القاسم بن البرزى فافتى انها اذا دامت على مابقى من احرامها الى قابل وطافت كمل حجها الاول ثم تفدى وتحل ثم تحرم احراما ثانياً وتقف بعرفات وتكمل مناسك الحج فيصير لها حجة ثانية فبقيت

على احرامها الى قابل وفعلت كما قال فتم حجها الاول والثانى ﴿ وفيها ﴾ مات الكيا الصنهاجى صاحب الالموت مقدم الاسماعيلية وقام ابنه مقامه فاظهر التوبة ﴿ وفيها ﴾ في المحرم توفي الشيخ عدى بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الكهارية من أعمال الموصل واصل الشيخ عدى من الشام من بلد بعلبك فانتقل الى الموصل وتبعه أهل السواد والجبال بتلك النواحى وأطاعوه وأحسنوا الظن به ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ﴾

ذكر وزارة شاور ثم الضرغام

﴿ في هذه السنة ﴾ في صفر وزر شاور للعاضد لدين الله العلوى وكان شاور يخدم الصالح طلائع بن رزيك فولاه الصعيد وكانت ولاية الصعيد أكبر المناصب بعد الوزارة ولما خرج الصالح أوصى ابنه العادل ان لا يغير على شاور شيئاً لعلمه بقوة شاور فلما تولى العادل ابن الصالح الوزارة كتب الى شاور بالعزل فجمع شاور جموعه وسار نحو العادل الى القاهرة فهرب العادل وطرد وراءه شاور وأمسكه وقتله وهو العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك وانقرضت بمقتله دولة بنى رزيك وفيهم يقول عمارة التميمى من أبيات طويلة

ولت ليالى بنى رزيك وانصرمت ... والمدح والشكر فيهم غير منصرم
كأن صالحهم يوما وعادلهم ... في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم

واستقر شاور في الوزارة وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بنى رزيك وودائعهم ثم الضرغام جمع جمعا ونازع شاور في الوزارة في شهر رمضان وقوى على شاور فانهزم شاور الى الشام مستنجدا بنور الدين ولما تمكن ضرغام في الوزارة قتل كثيرا من الامراء المصريين لتخلوله البلاد فضعفت الدولة لهذا السبب حتى خرجت البلاد من أيديهم

﴿ ذكر وفاة عبد المؤمن ﴾

في هذه السنة في العشرين من جمادى الآخرة توفي عبد المؤمن بن على صاحب بلاد المغرب وأفريقية والاندلس وكان قد سار من مراكش الى سلا فمرض بها ومات ولما حضره الموت جمع شيوخ الموحدين وقال لهم قد جربت ابنى محمدا فلم أره يصلح لهذا الامر وانما يصلح له ابنى يوسف فقدموه فبايعوه ودعى بأمير المؤمنين واستقرت قواعد ملكه وكانت مدة ولاية عبد المؤمن ثلاث وثلاثين سنة وشهورا وكان حازما سديد الرأى حسن السياسة للامور كثير سفك الدم على الذنب الصغير وكان يعظم أمر الدين ويقويه ويلزم الناس بالصلاة بحيث انه من رؤى وقت الصلاة غير مصل قتل وجمع الناس في المغرب على مذهب مالك في الفروع وعلى مذهب أبى الحسن الاشعرى في الاصول

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) ملك المؤيد (اى به) قومس ولما ملكها أرسل اليه السلطان أرسلان بن طغريل بن ملكشاه خلعة وألوية وهدية جليلة فلبس المؤيد اى به الخلع وخطب له في بلاده (وفي هذه السنة) كبس الفرنج نور الدين محمود وهو نازل بعسكره في البقيعة تحت حصن الاكراد فلم يشعر نور الدين وعسكره الا وقد أطلت عليهم صلبان الفرنج وقصدوا خيمة نور الدين فلسرعة ذلك ركب نور الدين فرسه وفي رجله السنجة فنزل انسان كردى فقطعها فنجا نور الدين وقتل الكردى فأحسن نور الدين الى مخلفيه ووقف عليهم الوقوف وسار نور الدين الى بحيرة حمص فنزل عليها وتلاحق به من سلم من المسلمين (وفيها) أمر الخليفة المستنجد باجلاء بنى أسد وهم أهل الحلة المزيدية فقتل منهم جماعة وهرب الباقون وتشتتوا في البلاد وذلك لفسادهم فى البلاد وسلمت بطائحهم وبلادهم الى رجل يقال له ابن معروف (وفيها) توفي سديد الدولة محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم المعروف بابن الانبارى كاتب الانشاء بدار الخلافة وكان فاضلا أديبا وكان عمره قريب تسعين سنة (ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة) في هذه السنة سير نور الدين محمود بن زنكى عسكرا مقدمهم أسد الدين شيركوه بن شاذى الى الديار المصرية ومعهم شاور وكان قد سار من مصر هاربا من ضرغام الوزير فلحق شاور بنو الدين واستنجده وبذل له ثلث أموال مصر بعد رزق جندها ان أعاده الى الوزارة فأرسل نور الدين شيركوه الى مصر فوصل اليها وهزم عسكر ضرغام وقتل ضرغام عند قبر السيدة نفيسة وأعاد شاور الى وزارة العاضد العلوى وكان مسير أسد الدين في جمادى الاولى من هذه السنة واستقر شاور في الوزارة وخرجت اليه الخلع في مستهل رجب من هذه السنة ثم غدر شاور بنور الدين ولم يف له بشئ مما شرط فسار أسد الدين واستولى على بلبيس والشرقية فأرسل شاور واستنجد بالفرنج على اخراج أسد الدين شيركوه من البلاد فسار الفرنج واجتمع معهم شاور بعسكر مصر وحصروا شيركوه ببلبيس ودام الحصار مدة ثلاثة أشهر وبلغ الفرنج حركة نور الدين وأخذه حارم فراسلوا شيركوه في الصلح وفتحوا له فخرج من بلبيس بمن معه من العسكر وسار بهم ووصلوا الى الشام سالمين (وفي هذه السنة) في رمضان فتح نور الدين محمود قلعة حارم وأخذها من الفرنج بعد مصاف جرى بين نور الدين والفرنج انتصر فيه نور الدين وقتل وأسر من الفرنج عالما كثيرا وكان في جملة الاسرى البرنس صاحب انطاكية والقومص صاحب طرابلس وغنم منهم المسلمون شيأ كثيرا (وفي هذه السنة) أيضا في ذى الحجة سار نور الدين الى بانياس وفتحها وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث واربعين وخمسمائة الى هذه السنة (وفي هذه السنة) توفي جمال الدين ابو جعفر محمد بن على بن ابى

منصور الاصفهانى وزير قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل في شعبان مقبوضا عليه وكان قد قبض عليه قطب الدين في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكان قد تعاهد جمال الدين المذكور واسد الدين شيركوه انهما من مات منهما قبل الآخر ينقله الآخر الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فيدفنه فيها فنقله شيركوه واكترى له من يقرأ القرآن عند شيله وحطه وكان ينادى في كل بلد ينزلونه بها بالصلاة عليه ولما ارادوا الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على موضع مرتفع وانشد

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادى فتبكى رماله عليه وبالنادى فتثنى ارامله

وطيف به حول الكعبة ودفن في رباط بالمدينة بناه لنفسه وبينه وبين قبر النبى صلى الله عليه وسلم نحو خمسة عشر ذراعا وهذا جمال الدين هو الذى جدد مسجد الخيف بمنى وبنى الحجر بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وغرم جملة طائلة لصاحب مكة وللمقتفى حتى مكنه من ذلك وهو الذى بنى المسجد الذى على جبل عرفات وعمل الدرج اليه وعمل بعرفات مصانع الماء وبنى سورا على مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وبنى على دجلة جسرا عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس فقبض قبل ان يفرغ وبنى الربط وغيرها (وفي هذه السنة) توفي نصر بن خلف ملك سجستان وعمره اكثر من مائة سنة ومدة ملكه ثمانون سنة وملك بعده ابنه ابو الفتح احمد بن نصر (وفيها) توفي الامام عمر الخوارزمى خطيب بلخ ومفتيها والقاضى ابو بكر المحمودى صاحب التصانيف والاشعار وله مقامات بالفارسية على نمط مقامات الحريرى (ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة) في هذه السنة في ربيع الاول توفي شاه مازندران رستم بن على بن شهريار بن قارن وملك بعده ابنه علاء الدين الحسن (وفيها) ملك المؤيد اى به مدينة هراة (وفيها) كان بين قليج ارسلان صاحب قونية وما جاورها من بلاد الروم وبين باغى ارسلان ابن الدانشمند صاحب ملطية وما يجاورها من بلاد الروم حروب شديدة انهزم فيها قليج ارسلان واتفق موت باغى ارسلان صاحب ملطية في تلك المدة وملك بعده ملطية ابن اخيه ابراهيم بن محمد بن الدانشمند واستولى ذو النون ابن محمد بن الدانشمند على قيسارية وملك شاهان شاه بن مسعود اخو قليج ارسلان مدينة انكورية واصطلح المذكورون على ذلك واستقرت بينهم القواعد واتفقوا (وفيها) توفي عون الدين الوزير ابن هبيرة واسمه يحيى بن محمد بن المظفر وكان موته في جمادى الاولى ومولده سنة سبعين واربعمائة ودفن بالمدرسة التى بناها للحنابلة بباب البصرة وكان حنبلى المذهب واتفق على المقتفى اتفاقا عظيما حتى ان المقتفى كان يقول لم يتوزر لبنى العباس مثله ولما مات قبض على أولاده وأهله (وفيها) توفي الشيخ الامام ابو القاسم عمر بن عكرمة بن البرزى

الفقيه

الفقيه الشافعى تفقه على الكيا الهراسى وكان أوحد زمانه في الفقه وهو من جزيرة ابن عمر (وفيها) توفي ابو الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله المعروف بامين الدولة ابن التلميذ وقد ناهز المائة من عمره وكان طبيب دار الخلافة ببغداد وحظيا عند المقتفى وكان حاذقا فاضلا ظريف الشخص عالى الهمة مصيب الفكر شيخ النصارى وقسيسهم وكان له في الادب يد طولى وكان متفننا في العلوم وكان فضلاء عصره يتعجبون كيف حرم الاسلام مع كمال فهمه وغزارة علمه والله يهدى من يشاء بفضله ويضل من يريد بحكمه وكان أوحد الزمان ابو البركات هبة الله بن ملكان الحكيم المشهور صاحب كتاب المعتبر في الحكمة معاصرا لابن التلميذ المذكور وكان بينهما تنافس كما يقع كثيرا بين اهل كل فضيلة وصنعة وكان ابو البركات المذكور يهوديا ثم اسلم في آخر عمره واصابه الجذام وتداوى وبرئ منه وذهب بصره وبقى أعمى وكان متكبرا وكان ابن التلميذ متواضعا فعمل ابن التلميذ في ابى البركات المذكور

لنا صديق يهودى حماقته اذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه

ولابن التلميذ ايضا

يامن رمانى عن قوس فرقته بسهم هجر على تلافيه
ارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه

وله التصانيف الحسنة منها كتاب اقراباذين وله على كليات القانون حواشى وكتاب اقراباذين ابن التلميذ المذكور هو المعتمد عليه عند الاطباء وكان شيخه في الطب ابا الحسن هبة الله ابن سعيد صاحب المغنى في الطب ولابن سعيد المذكور ايضا الاقناع في الطب وهو كتاب جيد في اربعة اجزاء (ثم دخلت سنة احدى وستين وخمسمائة) في هذه السنة فتح نور الدين محمود حصن المنيطرة من الشام وكان بيد الفرنج (وفيها) في ربيع الآخر توفي الشيخ عبد القادر بن ابى صالح الجيلى وكنيته ابو محمد وكان مقيما ببغداد ومولده سنة سبعين واربعمائة قال ابن الاثير كان من الصلاح على حال عظيم وهو حنبلى المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد (ثم دخلت سنة اثنتين وستين وخمسمائة) في هذه السنة عاد أسد الدين شيركوه الى الديار المصرية وجهزه نور الدين بعسكر جيد عدتهم ألفا فارس فوصل الى ديار مصر واستولى على الجيزة وارسل شاور الى الفرنج واستنجدهم وجمعهم وساروا في اثر شيركوه الى جهة الصعيد والتقوا على بلد يقال له ابوان فانهزم الفرنج والمصريون واستولى شيركوه على بلاد الجيزة واستغلها ثم سار الى الاسكندرية وملكها وجعل فيها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب وعاد شيركوه الى جهة الصعيد فاجتمع عسكر مصر والفرنج وحصروا صلاح الدين بالاسكندرية مدة ثلاثة اشهر فسار شيركوه اليهم فاتفقوا

على الصلح على مال يحملونه الى شيركوه ويسلم اليهم الاسكندرية ويعود الى الشام فتسلم المصريون الاسكندرية في منتصف شوال من هذه السنة وسار شيركوه الى الشام فوصل الى دمشق في ثامن عشر ذى القعدة واستقر الصلح بين الفرنج والمصريين على ان يكون للفرنج بالقاهرة شحنة ويكون ابوابها بيد فرسانهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار (وفي هذه السنة) فتح نور الدين سافيثا والغربية (وفيها) عصا غازى بن حسان صاحب منبج على نور الدين بمنبج فسير اليه نور الدين عسكرا اخذوا منه منبج ثم اقطع نور الدين منبج قطب الدين ينال بن حسان اخا غازى المذكور فبقى فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف ابن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة (وفيها) توفي فخر الدين قرا ارسلان بن داود ابن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا وملك بعده ولده نور الدين محمود بن قرا ارسلان ابن داود (وفيها) توفي عبد الكريم ابو سعيد بن محمد بن منصور بن أبى بكر المظفر السمعانى المروزى الفقيه الشافعى وكان مكثرا من سماع الحديث سافر في طلبه الى ماوراء النهر وسمع منه مالم يسمعه غيره وله التصانيف المشهورة الحسنة منها ذيل تاريخ بغداد وتاريخ مدينة مرو وكتاب الانساب في ثمان مجلدات وقد اختصر كتاب الانساب المذكور الشيخ عز الدين على ابن الاثير في ثلاثة مجلدات والمختصر المذكور هو الموجود في ايدى الناس والاصل قليل الوجود وله غير ذلك وقد جمع مشيخته فزادت عدتهم على اربعة آلاف شيخ وقد ذكره ابو الفرج ابن الجوزى فاوقع فيه فمن جملة قوله فيه انه كان يأخذ الشيخ ببغداد ويعبر به الى فوق نهر عيسى ويقول حدثنى فلان بماوراء النهر وهذا بارد جدا لان السمعانى المذكور سافر الى ماوراء النهر حقا فاى حاجة به الى هذا التدليس وانما ذنبه عند ابن الجوزى انه شافعى وله اسوة بغيره فان ابن الجوزى لم يبق على احد غير الحنابلة وكانت ولادة ابى سعيد السمعانى المذكور في شعبان سنة ست وخمسمائة وكان ابوه وجده فاضلين والسمعانى منسوب الى سمعان وهو بطن من تميم (ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة) في هذه السنة فارق زين الدين على كجك بن بكتكين نائب قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل خدمة قطب الدين واستقر باربل وكانت في اقطاع زين الدين على المذكور وكانت له أربل مع غيرها فاقتصر على أربل وسكنها وسلم ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وكان زين الدين على المذكور قد عمى وطرش (ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة)

﴿ ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر ﴾

(في هذه السنة) ملك نور الدين محمود قلعة جعبر وأخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن على بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلى وكانت بأيديهم من أيام السلطان ملكشاه ولم يقدر نور الدين على أخذها الا بعد ان أسر صاحبها مالك

المذكور بنو كلاب وأحضروه الى نور الدين محمود واجتهد به على تسليمها فلم يفعل فأرسل عسكرا مقدمهم فخر الدين مسعود بن أبى على الزعفرانى وردفه بعسكر آخر مع مجد الدين أبى بكر المعروف بابن الداية وكان رضيع نور الدين وحصروا قلعة جعبر فلم يظفروا منها بشئ ومازالوا على صاحبها مالك حتى سلمها وأخذ عنها عوضا مدينة سروج بأعمالها والملوحة من بلد حلب وعشرين ألف دينار معجلة وباب بزاعة

(ذكر ملك أسد الدين شيركوه مصر وقتل شاور)

ثم ملك صلاح الدين وهو ابتداء الدولة الايوبية (في هذه السنة) أعنى سنة أربع وستين وخمسمائة في ربيع الاول سار أسد الدين شيركوه بن شاذى الى ديار مصر ومعه العساكر النورية وسبب ذلك تمكن الفرنج من البلاد المصرية وتحكمهم على المسلمين بها حتى ملكوا بلبيس قهرا في مستهل صفر من هذه السنة ونهبوها وقتلوا أهلها وأسروهم ثم ساروا من بلبيس ونزلوا على القاهرة عاشر صفر وحاصروها فاحرق شاور مدينة مصر خوفا من أن يملكها الفرنج وأمر أهلها بالانتقال الى القاهرة فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوما فأرسل العاضد الخليفة الى نور الدين يستغيث به وأرسل في الكتب شعور النساء وصانع شاور الفرنج على ألف ألف دينار يحملها اليهم فحمل اليهم مائة ألف دينار وسألهم أن يرحلوا على القاهرة ليقدر على جمع المال وحمله فرحلوا فجهز نور الدين العسكر مع شيركوه وأنفق فيهم المال وأعطى شيركوه مائتى ألف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وغير ذلك وأرسل معه عدة أمراء منهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على كره منه أحب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب الملك من بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) ولما قارب شيركوه مصر رحل الفرنج من ديار مصر على اعقابهم الى بلادهم فكان هذا لمصر فتحا جديدا ووصل أسد الدين شيركوه الى القاهرة في رابع ربيع الآخر واجتمع بالعاضد وخلع عليه وعاد الى خيامه بالحلمة العاضدية وأجرى عليه وعلى عسكره الاقامات الوافرة وشرع شاور يماطل شيركوه فيما بذله لنور الدين من تقرير المال وافراد ثلث البلاد له ومع ذلك فكان شاور يركب كل يوم الى أسد الدين شيركوه ويعده ويمنيه (ومايعدهم الشيطان الا غرورا) ثم ان شاور عزم على أن يعمل دعوة لشيركوه وأمرائه ويقبض عليهم فمنعه ابنه الكامل بن شاور من ذلك ولما رأى عسكر نور الدين من شاور ذلك عزموا على الفتك بشاور واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك وغيرهما وعرفوا شيركوه بذلك فنهاهم عنه واتفق ان شاور قصد شيركوه على عادته فلم يجده في المخيم وكان قد مضى لزيارة قبر الشافعى رضى الله عنه فلقى صلاح الدين وجرديك

شاور واعلماه برواح شيركوه الى زيارة الشافعى فساروا جميعا الى شيركوه فوثب صلاح الدين وجرديك ومن معهما على شاور وألقوه الى الارض عن فرسه وأمسكوه في سابع ربيع الآخر من هذه السنة أعنى سنة أربع وستين وخمسمائة فهرب أصحابه عنه وأرسلوا اعلموا شيركوه بما فعلوه فحضر ولم يمكنه الا اتمام ذلك وسمع العاضد الخبر فأرسل الى شيركوه يطلب منه انفاذ رأس شاور فقتله وأرسل رأسه الى العاضد ودخل بعد ذلك شيركوه الى القصر عند العاضد فخلع عليه العاضد خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش وسار بالخلع الى دار الوزارة وهى التى كان فيها شاور واستقر في الامر وكتب له منشور بالانشاء الفاضلى أوله بعد البسملة من عبد الله ووليه أبى محمد الامام العاضد لدين الله أمير المؤمنين الى السيد الاجل الملك المنصور سلطان الجيوش ولى الائمة مجير الامة أسد الدين أبى الحارث شيركوه العاضدى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ونسأله أن يصلى على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين والائمة المهديين وسلم تسليما ثم ذكر تفويض أمور الخلافة اليه ووصايا أضربنا عنها للاختصار وكتب العاضد بخطه على طرة المنشور هذا عهد لم يعهد لوزير بمثله فتقلد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلا لحملها فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بان اعتزت خدمتك الى بنوة البنوة ومدحت الشعراء أسد الدين ووصل اليه من الشام مديح لعماد الكاتب قصيدة أولها

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب ... كم راحة جنيت من دوحة التعب
ياشيركوه بن شاذى الملك دعوة من ... نادى فعرف خير ابن لخير أب
جرى الملوك وما حازوا بركضهم ... من المدى في العلى ما حزت بالخبب
تمل من ملك مصر رتبة قصرت ... عنها الملوك فطالت سائر الرتب
قد أمكنت أسد الدين الفريسة من ... فتح البلاد فبادر نحوها وثب

وفي شيركوه وقتل شاور يقول عرقلة الدمشقى

لقد فاز بالملك العقيم خليفة ... له شيركوه العاضدىّ وزير
هو الاسد الضارى الذى جل خطبه ... وشاور كلب للرجال عقور
بغى وطغى حتى لقد قال صحبه ... على مثلها كان اللعين يدور
فلا رحم الرحمن تربة قبره ... ولا زال فيها منكر ونكير

وأما الكامل بن شاور فلما قتل أبوه دخل القصر فكان آخر العهد به ولما لم يبق لاسد الدين شيركوه منازع أتاه أجله (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) وتوفي يوم

السبت الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة فكانت ولايته شهرين وخمسة أيام وكان شيركوه وأيوب ابنى شاذى من بلدوين قال ابن الاثير وأصلهما من الاكراد الروادية فقصدا العراق وخدما بهروز شحنة السلجوقية ببغداد وكان أيوب أكبر من شيركوه فجعله بهروز مستحفظا لقلعة تكريت ولما انكسر عماد الدين زنكى من عسكر الخليفة ومر على تكريت خدمه أيوب وشيركوه ثم ان شيركوه قتل انسانا بتكريت فأخرجهما بهروز من تكريت فلحقا بخدمة عماد الدين زنكى فأحسن اليهما وأعطاهما اقطاعات جليلة ولما ملك عماد الدين زنكى قلعة بعلبك جعل أيوب مستحفظا لها ولما حاصره عسكر دمشق بعد موت زنكى سلمها أيوب اليهم على اقطاع كبير شرطوه له وبقى أيوب من أكبر أمراء عسكر دمشق وبقى شيركوه مع نور الدين محمود بعد قتل أبيه زنكى وأقطعه نور الدين حمص والرحبة لما رأى من شجاعته وزاده عليهما وجعله مقدم عسكره فلما أراد نور الدين ملك دمشق أمر شيركوه فكاتب أخاه أيوب فساعد أيوب نور الدين على ملك دمشق وبقيا مع نور الدين الى أن أرسل شيركوه الى مصر مرة بعد أخرى حتى ملكها وتوفي فيها في هذه السنة على ماذكرناه ولما توفي شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن أخيه أيوب بن شاذى وكان قد سار معه على كره قال صلاح الدين أمرنى نور الدين بالمسير مع عمى شيركوه وكان قد قال شيركوه بحضرته لى تجهز يايوسف للمسير فقلت والله لو أعطيت ملك مصر ماسرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية مالا أنساه أبدا فقال لنور الدين لابد من مسيره معى فأمرنى نور الدين وأنا أستقيل فقال نور الدين لا بد من مسيرك مع عمك فشكوت الضائقة فأعطانى ماتجهزت به فكأنما انساق الى الموت فلما مات شيركوه طلب جماعة من الامراء النورية التقدم على العسكر وولاية الوزارة العاضدية منهم عين الدولة الياروقى وقطب الدين ينال المنبجى وسيف الدين على بن أحمد المشطوب الهكارى وشهاب الدين محمود الحارمى وهو خال صلاح الدين فأرسل العاضد أحضر صلاح الدين وولاه الوزارة ولقبه بالملك الناصر فلم تطعه الامراء المذكورون وكان مع صلاح الدين الفقيه عيسى الهكارى فسعى مع المشطوب حتى أماله الى صلاح الدين ثم قصد الحارمي وقال هذا ابن أختك وعزه وملكه لك فمال اليه أيضاً ثم فعل بالباقين كذلك فكلهم أطاع غير عين الدولة الياروقى فانه قال أنا لا أخدم يوسف وعاد الى نور الدين بالشام وثبت قدم صلاح الدين على انه نائب لنور الدين وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما عن أن يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل الى الامير صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا ثم أرسل صلاح الدين يطلب من نور

الدين أباه أيوب وأهله فأرسلهم اليه نور الدين فأعطاهم صلاح الدين الاقطاعات بمصر وتمكن من البلاد وضعف أمر العاضد ولما فوض الامر الى صلاح الدين تاب عن شرب الخمر واعرض عن أسباب اللهو وتقمص لباس الجد ودام على ذلك الى ان توفاه الله تعالى قال ابن الاثير مؤلف الكامل رأيت كثيرا من ابتدئ بالملك ينتقل الى غير عقبه فان معاوية تغلب وملك فانتقل الملك الى بنى مروان بعده ثم ملك السفاح من بنى العباس فانتقل الملك الى أخيه المنصور وعقبه ثم السامانية أول من ابتدئ بالملك منهم نصر بن أحمد فانتقل الملك الى أخيه اسمعيل وعقبه ثم عماد الدولة بن بوية ملك فانتقل الملك الى عقب أخيه ركن الدولة ثم ملك طغريل بك السلجوقى فانتقل الملك الى عقب أخيه داود ثم شيركوه ملك فانتقل الملك الى ابن أخيه ولما قام صلاح الدين بالملك لم يبق الملك في عقبه بل انتقل الى أخيه العادل وعقبه ولم يبق لاولاد صلاح الدين غير حلب وكان سبب ذلك كثرة قتل من يتولى ذلك أولا وأخذه الملك وعيون أهله وقلوبهم متعلقة به فيحرم عقبه ذلك ولما استقر قدم صلاح الدين في الوزارة قتل مؤتمن الخلافة وكان مقدم السودان فاجتمعت السودان وهم حفاظ القصر في عدد كثير وجرى بينهم وبين صلاح الدين وعسكره وقعة عظيمة بين القصرين انهزم فيها السودان وقتل منهم خلق كثير وتبعهم صلاح الدين فاجلاهم قتلا وتهجيجا وحكم صلاح الدين على القصر وأقام فيه بهاء الدين قراقوش الاسدى وكان خصيا أبيض وبقى لايجرى في القصر صغيرة ولا كبيرة الا بامر صلاح الدين

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة كان بين إينانج صاحب الرى وبين الدكز حرب انتصر فيها الدكز وملك الرى وهرب اينانج وانحصر في بعض القلاع فارسل الدكز ورغب غلمان اينانج في الاقطاعات ان قتلوا اينانج استاذهم فقتلوه ولحقوا بالدكز فلم يف لهم وقال مثل هؤلاء لاينبغى الابقاء عليهم فهربوا الى البلاد ولحق بعضهم وهو الذى قتل استاذه بخوارزم شاه فصلبه لخيانته استاذه (وفيها) توفي الشيخ ابو محمد الفارقى وكان أحد الزهاد وله كرامات كثيرة كان يتكلم على الخاطر وكلامه مجموع مشهور (وفيها) توفي ياروق ارسلان التركمانى وكان مقدما كبيرا واليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان وكان عظيم الخلقة يسكن بظاهر حلب وبنى على شاطئ قويق هو واتباعه عمائر كثيرة وتعرف الآن بالياروقية وهى مشهورة هناك (ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة) فيها سارت الفرنج الى دمياط وحصروها وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح والذخائر واخرج على ذلك اموالا عظيمة فحصروها خمسين يوما وخرج نور الدين فأغار على بلادهم بالشام فرحلوا عائدين على اعقابهم ولم يظفروا

بشئ منها قال صلاح الدين مارايت اكرم من العاضد ارسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها (وفيها) سار نور الدين وحاصر الكرك مدة ثم رحل عنه (وفيها) كانت زلزلة عظيمة خربت الشام فقام نور الدين في عمارة الاسوار وحفظ البلاد ثم قيام وكذلك خربت بلاد الفرنج فخافوا من نور الدين واشتغل كل منهم عن قصد الآخر بعمارة ماخرب من بلاده (وفيها) في ذى الحجة مات قطب الدين مودود ابن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه حمى حادة ولما مات صرف ارباب الدولة الملك عن ابنه الاكبر عماد الدين زنكى بن مودود الى أخيه الذى هو اصغر منه وهو سيف الدين غازى بن مودود فسار عماد الدين زنكى الى عمه نور الدين مستنصرا به وتوفي قطب الدين وعمره اربعون سنة تقريبا وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا وكان من احسن الملوك سيرة (وفي هذه السنة) توفي الملك طغريل بك بن قاورت بك صاحب كرمان واختلف اولاده بهرام شاه وارسلان شاه وهو الاكبر واستنجد كل منهما وطلب الملك فاتفق في تلك المدة ان ارسلان شاه الاكبر مات فاستقر بهرام شاه في ملك كرمان (وفيها) توفي مجد الدين أبو بكر ابن الداية رضيع نور الدين وكانت حلب وحارم وقلعة جعبر اقطاعه فأقر نور الدين أخاه عليا ابن الداية على اقطاعه (وفيها) توفي محمد بن محمد بن ظفر صاحب كتاب سلوان المطاع صنفه لبعض القواد بصقلية سنة اربع وخمسين وخمسمائة وله ايضا كتاب نجباء الابناء وشرح مقامات الحريرى ومولده بصقلية وتنقل بالبلاد وأقام بمكة شرفها الله تعالى وسكن آخر وقت مدينة حماة وتوفي بها ولم يزل يكابد الفقر حتى مات رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة المستنجد وخلافة المستضئ وهو ثالث ثلاثينهم)

في هذه السنة تاسع ربيع الآخر توفي المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفى لامر الله أبى عبد الله محمد بن المستظهر بالله ومولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة وكان اسمر تام القامة طويل اللحية وكان سبب موته انه مرض واشتد مرضه وكان قد خاف منه استاذداره عضد الدين ابو الفرج ابن رئيس الرؤساء وقطب الدين قيماز المقتفوى وهو حينئذ أكبر امراء بغداد فاتفقا ووضعا الطبيب على ان يصف له ما يهلكه فوصف له دخول الحمام فامتنع منه لضعفه ثم انه دخلها وغلق عليه الباب فمات ولما مات المستنجد احضر عضد الدين وقطب الدين المستضئ بأمر الله ابن المستنجد واشترطا عليه شروطا أن يكون عضد الدين وزيرا وابنه كمال الدين استاذداره وقطب الدين أمير العسكر فأجابهم الى ذلك واسم المستضئ الحسن وكنيته ابو محمد ولم يل الخلافة من اسمه حسن غير الحسن بن على المستضئ فبايعوه بالخلافة يوم مات ابوه بيعة خاصة وفي غده بيعة عامة وكان المستنجد حسن

السيرة أطلق كثيرا من المكوس وكان شديدا على اهل العبث والفساد

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكي الى الموصل وهي بيد ابن أخيه غازي بن مودود ابن عماد الدين زنكي بن اقسنقر فاستولى عليها نور الدين وملكها ولما ملك نور الدين الموصل قرر امرها وأطلق المكوس منها ثم وهبها لابن أخيه سيف الدين غازي المذكور واعطى سنجار لعماد الدين زنكي بن مودود وهو اكبر من أخيه سيف الدين غازي فقال كمال الدين الشهرزوري في هذا طريق الى اذى يحصل للبيت الاتابكي لان عماد الدين كبيرا لايرى طاعة أخيه سيف الدين وسيف الدين هو الملك لايرى الاغضاء لعماد الدين فيحصل الخلف وتطمع الاعداء (وفي هذه السنة) سار صلاح الدين عن مصر فغزا بلاد الفرنج قرب عسقلان والرملة وعاد الى مصر ثم خرج الي ايلة وحصرها وهي للفرنج على ساحل البحر الشرقي ونقل اليها المراكب وحصرها برا وبحرا وفتحها في العشر الاول من ربيع الآخر واستباح اهلها وما فيها وعاد الى مصر ولما استقر صلاح الدين بمصر كان بمصر دار للشحنة تسمى دار المعونة يجلس فيها فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية وكذلك بنى دار الغزل مدرسة للشافعية وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة ورتب قضاة شافعية وذلك في العشرين من جمادى الآخرة وكذلك اشترى تقي الدين عمر ابن أخيه صلاح الدين منازل الغز وبناها مدرسة للشافعية (وفي هذه السنة) توفي القاضي ابن الخلال من اعيان الكتاب المصريين وفضلائهم وكان صاحب ديوان الانشاء بها (ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة)

(ذكر اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العلوية)

في هذه السنة ثاني جمعة من المحرم قطعت خطبة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله ابن الامير يوسف ابن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد ابن أبي القاسم محمد ولم يل الخلافة ابن المستنصر بالله أبي تميم معد ابن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن علي ابن الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور ابن العزيز بالله أبي منصور ابن المعز لدين الله أبي تميم معد ابن المنصور بالله أبي الطاهر اسمعيل ابن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد ابن المهدي بالله أبي محمد عبيد الله أول الخلفاء العلويين من هذا البيت وقد مر ذكر نسبه في ابتداء دولتهم وكان سبب الخطبة العباسية بمصر انه لما تمكن صلاح الدين من مصر وحكم على القصر واقام فيه قراقوش الاسدي وكان خصيا أبيض وبلغ نور الدين ذلك ارسل الى صلاح الدين يأمره حتما جزما بقطع الخطبة العلوية واقامة الخطبة العباسية فراجعه صلاح الدين في ذلك خوف الفتنة فلم يلتفت نور الدين الى ذلك وأصر عليه وكان العاضد قد مرض فأمر صلاح الدين الخطباء أن يخطبوا للمستضيء

ويقطعوا خطبة العاضد فامتثلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أحد من أهله بقطع خطبته فتوفي العاضد يوم عاشوراء ولم يعلم بقطع خطبته ولما توفي العاضد جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصر الخلافة وعلى جميع مافيه وكان كثرته تخرج عن الاحصاء وكان فيه أشياء نفيسة من الاعلاق المثمنة والكتب والتحف فمن ذلك الجبل الياقوت وكان وزنه سبعة عشر درهما او سبعة عشر مثقالا * قال ابن الاثير مؤلف الكامل أنا رأيته ووزنته ومما حكي انه كان بالقصر طبل للقولنج اذا ضرب الانسان به ضرط فكسر ولم يعلموا به الا بعد ذلك ونقل صلاح الدين أهل العاضد الى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم وأخرج جميع من فيه من عبد وأمة فباع البعض وعتق البعض ووهب البعض وخلا القصر من سكانه كان لم يغن بالامس ولما اشتد مرض العاضد ارسل الى صلاح الدين يستدعيه فظن ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما توفي علم صدقه فندم لتخلفه عنه وجميع من خطب له منهم بالخلافة اربع عشرة خليفة المهدي والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد وجميع مدة خلافتهم من حين ظهر المهدي بسجلماسة في ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين الى ان توفي العاضد في هذه السنة اعني سنة سبع وستين وخمسمائة مائتان واثنتان وسبعون سنة تقريبا وهذا دأب الدنيا لم تعط الا واستردت ولم تحل الا وتمررت ولم تصف الا وتكدرت بل صفوها لايخلو من الكدر ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر الى بغداد ضربت لها البشائر عدة ايام وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدم المقتفوية الى نور الدين وصلاح الدين والخطباء وسيرت الاعلام السود وكان العاضد المذكور قد رأى في منامه ان عقربا خرجت من مسجد بمصر معروف ذلك المسجد للعاضد ولدغته فاستيقظ العاضد مرعوبا واستدعى من يعبر الرؤيا وقص ما رآه عليه فعبره له بوصول أذى اليه من شخص بذلك المسجد فتقدم العاضد الى والي مصر باحضار من بذلك المسجد فاحضر اليه شخصا صوفيا يقال له نجم الدين الخويشاني فاستخبره العاضد عن مقدمه وسبب مقامه بالمسجد المذكور فاخبره بالصحيح في ذلك فرآه العاضد اضعف من ان يناله بمكروه فوصله بمال وقال له ادع لنا ياشيخ وأمره بالانصراف فلما اراد السلطان صلاح الدين ازالة الدولة العلوية والقبض عليهم استفتى في ذلك فافتاه بذلك جماعة من الفقهاء وكان نجم الدين الخويشاني المذكور من جملتهم فبالغ في الفتيا وصرح في خطه بتعديد مساويهم وسلب عنهم الايمان واطال الكلام في ذلك فصح بذلك رؤيا العاضد

(ذكر غير ذلك)

وفي هذه السنة جرى بين نور الدين وصلاح الدين الوحشة في الباطن فان صلاح الدين

سار ونازل الشوبك وهي للفرنج ثم رحل عنه خوفا ان يأخذه فلم يبق مايعوق نور الدين عن قصد مصر فتركه ولم يفتحه لذلك وبلغ نور الدين ذلك فكتمه وتوحش باطنه لصلاح الدين ولما استقر صلاح الدين بمصر جمع اقاربه وكبراء دولته وقال بلغني ان نور الدين يقصدنا فما الرأى فقال تقي الدين عمر ابن أخيه نقاتله ونصده وكان ذلك بحضرة أبيهم نجم الدين أيوب فانكر على تقي الدين ذلك وقال أنا والدكم لو رأيت نور الدين نزلت وقبلت الارض بين يديه بل اكتب وقل لنور الدين انه لو جاءني من عندك انسان واحد وربط المنديل في عنقي وجرني اليك سارعت الى ذلك واتفقوا على ذلك ثم اجتمع ايوب بابنه صلاح الدين خلوة وقال له لو قصدنا نور الدين أنا كنت أول من يمنعه ويقاتله ولكن اذا أظهرنا ذلك يترك نور الدين جميع ماهو فيه ويقصدنا ولاندرى مايكون من ذلك واذا اظهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل به الكفاية من عند الله فكان كما قال (وفي هذه السنة) توفي الامير محمد بن مرنيش صاحب شرقي بلاد الاندلس وهي مرسية وبلنسية وغيرهما فقصد أولاده أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب وسلموا اليه بلادهم فسر يوسف بذلك وتسلمها منهم وتزوج باختهم واكرمهم ووصلهم بالاموال الجزيلة وكان قد قصدهم يوسف المذكور في مائة الف مقاتل فأجابوا بدون قتال كما ذكرنا (وفي هذه السنة) عبر الخطا نهر جيحون لجمع خوارزم شاه ارسلان بن اطسز بن محمد بن أنوش تكين عساكره وسار الى لقائهم فمرض خوارزم شاه ورجع مريضا وارسل عسكرا مع بعض المقدمين فاقتتلوا مع الخطا وانهزم عسكر خوارزم شاه واسر مقدمهم ورجع الخطا الى بلادهم بعد ذلك (وفي هذه السنة) اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادى وتسمى المناسيب لنقل البطايق والاخبار (وفيها) عزل المستضئ وزيره عضد الدين بن رئيس الرؤساء مكرها لان قطب الدين قيماز ألزمه بعزله فلم يمكنه مخالفته (وفيها) مات يحيي بن سعدون بن تمام الازدى الاندلسى القرطبي وكان اماما في القراءة والنحو وغيره من العلوم توفي بالموصل (وفيها) توفي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادى العالم المشهور في الادب والنحو والتفسير والحديث وكان متضلعا من العلوم وكان قليل الاكتراث بالمأكل والملبس (وفيها) توفي نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن على بن عبد النور ابن قلاقس الشاعر المشهور الاسكندرى مدح القاضى الفاضل وكان كثير الاسفار سار الى صقلية في سنة ثلاث وخمسين ثم عاد وسار الى اليمن في سنة خمس وستين وخمسمائة وفي كثرة أسفاره يقول

الناس كثر ولكن لايقدلى الامرافقة الملاح والحادى

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة) في هذه السنة توفي خوارزم شاه أرسلان بن

اطسز بن محمد بن أنوش تكين وكان قد عاد من قتال الخطا مريضا ولما مات ملك بعده ابنه الصغير سلطان شاه محمود وبرت والدته المملكة وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكين مقيما في جند قد أقطعه أبوه اياها فلما بلغه موت أبيه وولاية أخيه الصغير أنف من ذلك واستنجد بالخطا وسار الى أخيه سلطان شاه وطرده ثم ان سلطان شاه قصد ملوك الاطراف واستنجدهم على أخيه تكش وطرده وكانت الحرب بينهم سجالا حتى مات سلطان شاه في سنة تسع وثمانين وخمسمائة واستقر في ملك خوارزم أخوه تكش بن أرسلان وفي تلك الحروب بين الاخوين قتل المؤيد (أى به) قتله تكش صبرا وملك بعده ابنه طغانشاه ابن المؤيد اى به (وفي هذه السنة) سار شمس الدولة توران شاه ابن أيوب أخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى النوبة للتغلب عليها فلم تعجبه تلك البلاد فغنم وعاد الى مصر (وفي هذه السنة) توفي شمس الدين الدكز بهمدان وملك بعده ابنه محمد البهلوان ولم يختلف عليه أحد وكان الدكز هذا مملوكا للكمال السميرى وزير السلطان محمود ثم صار للسلطان محمود فلما ولى السلطان مسعود ولاه وكبره حتى صار ملك أذربيجان وغيرها من بلاد الجبل وأصفهان والرى وكان عسكره خمسين ألف فارس وكان يخطب في بلاده بالسلطنة للسلطان أرسلان بن طغريل ولم يكن لارسلان معه حكم وكان الدكز حسن السيرة (وفي هذه السنة) سار طائفة من الترك من ديار مصر مع مملوك لتقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب اسمه قراقوش الى أفريقية ونزلوا على طرابلس الغرب فحاصرها مدة ثم فتحها واستولى عليها قراقوش المذكور وملك كثيرا من بلاد أفريقية (وفيها) غزا أبو يعقوب بن عبد المؤمن بلاد الفرنج بالاندلس (وفيها) سار نور الدين محمود بن زنكى الى بلاد قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان واستولى على مرعش وبهنسا ومرزبان وسيواس فأرسل اليه قليج أرسلان يستعطفه ويطلب الصلح فقال نور الدين لا أرضى الابان ترد ملطية على ذى النون ابن الدانشمند وكان قليج أرسلان قد أخذها منه فنزل له سيواس واصطلح معه نور الدين فلما مات نور الدين عاد قليج أرسلان واستولى على سيواس وطرد ابن الدانشمند (وفيها) سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين أن يجتمعا على الكرك وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك فخاف صلاح الدين من الاجتماع بنور الدين فرحل صلاح الدين عن الكرك عائدا الى مصر وأرسل تحفا الى نور الدين واعتذر ان أباه أيوب مريض ويخشى أن يموت فتذهب مصر فقبل نور الدين عذره في الظاهر وعلم المقصود ولما وصل صلاح الدين الى مصر وجد أباه أيوب قد مات وكان سبب موت نجم الدين أيوب بن شاذى المذكور انه ركب بمصر فنفرت

به فرسه فوقع وحمل الى قصره وبقى أياما ومات في السابع والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة وكان أيوب خيرا عاقلا حسن السيرة كريما كثير الاحسان (وفيها) توفي أبو نزار حسن بن أبى الحسن صافي بن عبد الله بن نزار النحوى وقد ناهز الثمانين وهو المعروف بملك النحاة وبرع في النحو حتى فاق فيه أهل طبقته وكان معجبا بنفسه ولقب نفسه بملك النحاة وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك وقرأ الفقه على مذهب الشافعى وكذلك قرأ الاصولين والخلاف وسافر الى خراسان وكرمان وغزنة ثم رحل الى الشام واستوطن دمشق (ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الدولة توران شاه بن أيوب اليمن)

كان صلاح الدين وأهله خائفين من نور الدين فاتفق رأيهم على تحصيل مملكة غير مصر بحيث ان قصدهم نور الدين قاتلوه فان هزمهم التجؤا الى تلك المملكة فجهز صلاح الدين أخاه توران شاه الى النوبة فلم تعجبهم بلادها ثم سيره في هذه السنة بعسكر الى اليمن وكان صاحب اليمن حينئذ انسانا يسمى عبد النبى المقدم الذكر في سنة أربع وخمسين وخمسمائة فتجهز توران شاه ووصل الى اليمن وجرى بينه وبين عبد النبى قتال فانتصر توران شاه وهزم عبد النبى وهجم زبيد وملكها وأسر عبد النبى ثم قصد عدن وكان صاحبها انسانا اسمه ياسر فخرج لقتال توران شاه فهزمه توران شاه وهجم عدن وملكها وأسر ياسر أيضا واستولى توران شاه على بلاد اليمن واستقرت في ملك صلاح الدين واستولى على أموال عظيمة لعبد النبى وكذلك من عدن

(ذكر قتل جماعة من المصريين وعمارة اليمنى)

(في هذه السنة) في رمضان صلب صلاح الدين جماعة من أعيان المصريين فانهم قصدوا الوثوب عليه واعادة الدولة العلوية فعلم بهم وصلبهم عن آخرهم فمنهم عبد الصمد الكاتب والقاضى العويرس وداعى الدعاة وعمارة بن على اليمنى الشاعر الفقيه وله أشعار حسنة فمنها مايتعلق بأحوال العلويين وانقراض دولتهم فوله قصيدة منها

رميت يادهر كف المجد بالشلل ... وجيده بعد حسن الحلى بالعطل
جدعت مارنك الاقنى فانفك لا ... ينفك مابين أمر الشين والخجل
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة ... على فجيعتها في أكرم الدول
ياعاذلى في هوى أبناء فاطمة ... لك الملامة ان أقصرت في عذل
بالله زر ساحة القصرين وابك معى ... عليهما لاعلى صفين والجمل
وقل لاهلهما والله لا التحمت ... فيكم جروحى ولا قرحى بمندمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة ... في نسل آل أمير المؤمنين على

ومنها
وقد حصلتم عليها واسم جدكم ... محمد وأبوكم خير منتعل
مررت بالقصر والاركان خالية ... من الوفود وكانت قبلة القبل

ومنها
والله لافاز يوم الحشر مبغضكم ... ولانجا من عذاب الله غير ولى
أمتى وهداتى والذخيرة لى ... اذا ارتهنت بما قدمت من عملى
والله لاحلت عن حبى لهم أبدا ... ماأخر الله لى في مدة الاجل

وأيضا له فيهم

غصبت أمية ارث آل محمد ... سفها وشنت غارة الشنآن
وغدت تخالف في الخلافة أهلها ... وتقابل البرهان بالبهتان
لم تقتنع حكامهم بركوبهم ... ظهر النفاق وغارب العدوان
وقعودهم في رتبة نبوية ... لم يبنها لهم أبو سفيان
حتى أضافوا بعد ذلك انهم ... أخذوا بثار الكفر في الايمان
فأتى زياد في القبيح زيادة ... تركت يزيد يزيد في النقصان

(ذكر وفاة نور الدين محمود)

(في هذه السنة) توفي الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة وغير ذلك يوم الاربعاء حادى عشر شوال بعلة الخوانيق بقلعة دمشق المحروسة وكان نور الدين قد شرع يتجهز للدخول الى مصر لاخذها من صلاح الدين وكان يريد أن يخلى ابن أخيه سيف الدين غازى بن مودود في الشام قبالة الفرنج ويسير هو بنفسه الى مصر فأتاه أمر الله الذى لا مرد له وكان نور الدين أسمر طويل القامة ليس له لحية الا في حنكه حسن الصورة وكان قد اتسع ملكه جدا وخطب له بالحرمين واليمن لما ملكها توران شاه بن أيوب وكذلك كان يخطب له بمصر وكان مولد نور الدين سنة احدى عشرة وخمسمائة وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وكان من الزهد والعبادة على قدم عظيم وكان يصلى كثيرا من الليل فكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه ... ماأحسن المحراب في المحراب

وكان عارفا بالفقه على مذهب أبى حنيفة وليس عنده فيه تعصب وهو الذى بنى أسوار مدن الشام مثل دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها لما تهدمت بالزلازل وبنى المدارس الكثيرة الحنفية والشافعية ولا يحتمل هذا المختصر ذكر فضائله ولما توفي نور الدين قام ابنه الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين محمود بالملك بعده وعمره احدى عشرة سنة وحلف له العسكر بدمشق وأقام بها وأطاعه صلاح الدين بمصر وخطب له بها وضربت السكة باسمه وكان المتولى لتدبير الملك الصالح وتدبير دولته الامير شمس

الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم ولما مات نور الدين وتملك ابنه الملك الصالح سار من الموصل سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى وملك جميع البلاد الجزرية (ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة)

(ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر)

في أول هذه السنة اجتمع على رجل من أهل الصعيد يقال له الكنز جمع كثير واظهر الخلاف على صلاح الدين فأرسل صلاح الدين اليه عسكرا فاقتتلوا وقتل الكنز وجماعة معه وانهزم الباقون

(ذكر ملك صلاح الدين دمشق وغيرها)

(في هذه السنة) سلخ ربيع الاول ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب مدينة دمشق وحمص وحماة وسببه ان شمس الدين ابن الداية المقيم بحلب أرسل سعد الدين كمشتكين يستدعى الملك الصالح بن نور الدين من دمشق الى حلب ليكون مقامه بها فسار الملك الصالح الى حلب مع سعد الدين كمشتكين ولما استقر بحلب وتمكن كمشتكين قبض على شمس الدين ابن الداية واخوته وقبض على الرئيس ابن الخشاب واخوته وهو رئيس حلب واستبد سعد الدين بتدبير الملك الصالح فخافه ابن المقدم وغيره من الامراء الذين بدمشق وكاتبوا صلاح الدين بن أيوب صاحب مصر واستدعوه ليملكوه عليهم فسار صلاح الدين جريدة في سبعمائة فارس ولم يلبث ووصل الى دمشق فخرج كل من كان بها من العسكر والتقوه وخدموه ونزل بدار والده أيوب المعروفة بدار العقيقى وعصت عليه القلعة وكان فيها من جهة الملك الصالح خادم اسمه ريحان فراسله صلاح الدين واستمالة فسلم القلعة اليه فصعد اليها صلاح الدين وأخذ ما فيها من الاموال ولما ثبت قدمه وقرر أمر دمشق استخلف بها أخاه سيف الاسلام طغتكين بن أيوب وسار الى حمص مستهل جمادى الاولى وكانت حمص وحماة وقلعة بارين وسلمية وتل خالد والرها من بلد الجزيرة في اقطاع فخر الدين مسعود بن الزعفرانى فلما مات نور الدين لم يمكن فخر الدين مسعود المقام بحمص وحماة لسوء سيرته مع الناس وكانت هذه البلاد له بغير قلاعها فان قلاعها كان فيها ولاة لنور الدين وليس لفخر الدين معهم في القلاع حكم الا بارين فان قلعتها كانت له أيضاً ونزل صلاح الدين على حمص في حادى عشر جمادى الاولى وملك المدينة وعصت عليه القلعة فترك عليها من يضيق عليها ورحل الى حماة فملك مدينتها مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة وكان بقلعتها الامير عز الدين جرديك أحد المماليك النورية فامتنع في القلعة فذكر له صلاح الدين انه ليس له غرض سوى حفظ البلاد للملك الصالح اسمعيل وانما هو نائبه وقصده من جرديك المسير الى حلب في رسالة فاستحلفه جرديك على ذلك

وسار جرديك الى حلب برسالة صلاح الدين واستخلف في قلعة حماة أخاه فلما وصل جرديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه فلما علم أخوه بذلك سلم قلعة حماة الى صلاح الدين فملكها ثم سار صلاح الدين الى حلب وحصرها وبها الملك الصالح اسمعيل ابن نور الدين فجمع أهل حلب وقاتلوا صلاح الدين وصدوه عن حلب وأرسل سعد الدين كمشتكين الى سنان مقدم الاسماعيلية أموالا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فأرسل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا دونه واستمر صلاح الدين محاصرا لحلب الى مستهل رجب ورحل عنها بسبب نزول الفرنج على حمص ووصل صلاح الدين الى حماة ثامن رجب وسار الى حمص فرحل الفرنج عنها ووصل صلاح الدين الى حمص وحصر قلعتها وملكها في الحادى والعشرين من شعبان من هذه السنة ثم سار الى بعلبك فملكها ولما استقر ملك صلاح الدين لهذه البلاد أرسل الملك الصالح الى ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين فجهز جيشه صحبة أخيه عز الدين مسعود ابن مودود ابن زنكى وجعل مقدم الجيش أكبر أمرائه وهو عز الدين محمود ولقبه سلقندار وطلب أخاه الاكبر عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار ليسير في النجدة أيضاً فامتنع مصانعة لصلاح الدين فسار سيف الدين غازى وحصره بسنجار ووصل عسكر الموصل صحبة مسعود بن مودود وسلقندار الى حلب وانضم اليهم عسكر حلب وساروا الى صلاح الدين فأرسل صلاح الدين يبذل حمص وحماة وان تقر بيده دمشق وأن يكون فيها نائبا للملك الصالح فلم يجيبوا الى ذلك وساروا الى قتاله واقتتلوا عند قرون حماة فانهزم عسكر الموصل وحلب وغنم صلاح الدين وعسكره أموالهم وتبعهم صلاح الدين حتى حصرهم في حلب وقطع صلاح الدين حينئذ خطبة الملك الصالح ابن نور الدين وازال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة فراسلوا صلاح الدين في الصلح على أن يكون له ما بيده من الشام وللملك الصالح ما بقى بيده منه فصالحهم على ذلك ورحل عن حلب في العشر الاول من شوال من هذه السنة أعنى سنة سبعين وخمسمائة (وفي العشر الاخير) من شوال من هذه السنة ملك السلطان صلاح الدين قلعة بارين وأخذها من صاحبها فخر الدين مسعود بن الزعفرانى وكان فخر الدين المذكور من أكابر الامراء النورية

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) ملك البهلوان بن الدكز مدينة تبريز وأخذها من ابن افسنقر الاحمديلى (وفيها) مات شملة التركمانى صاحب خوزستان وملك ابنه بعده (وفيها) وقع بين الخليفة وبين قطب الدين قيماز مقدم عسكر بغداد فتنة فنهبت دار قيماز وهرب الى الحلة ثم الى

الموصل فلحق قيماز في الطريق عطش شديد فهلك أكثر أصحابه ومات قطب الدين قيماز قبل أن يصل الى الموصل فحمل ودفن بظاهر باب العمادى ولما هرب قيماز خلع الخليفة على عضد الدولة الوزير وأعاده الى الوزارة (ثم دخلت سنة احدى وسبعين وخمسمائة)

ذكر انهزام سيف الدين غازى صاحب الموصل من السلطان صلاح الدين

(في هذه السنة) عاشر شوال كان المصاف بين السلطان صلاح الدين وبين سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى بتل السلطان فهرب سيف الدين غازى والعساكر التى كانت معه فانه كان قد استنجد بصاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما وتمت على سيف الدين غازى الهزيمة حتى وصل الموصل مرعوبا وقصد الهروب منها الى بعض القلاع فثبته وزيره واقام بالموصل واستولى السلطان صلاح الدين على اثقال عسكر الموصل وغيرهم وغنم مافيها ثم سار السلطان صلاح الدين الى بزاعة فحصرها وتسلمها ثم سار الى منبج فحصرها في آخر شوال وصاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى وكان شديد البغض لصلاح الدين وفتحها عنوة وأسر ينال وأخذ جميع موجوده ثم أطلقه فسار ينال الى الموصل فأقطعه سيف الدين غازى مدينة الرقة ثم سار السلطان صلاح الدين الى اعزاز ونازلها ثالث ذى القعدة وتسلمها حادى عشر ذى الحجة فوثب اسماعيلى على صلاح الدين في حصاره اعزاز فضربه بسكين في رأسه فجرحه فأمسك صلاح الدين يدى الاسماعيلى وبقى يضرب بالسكين فلا يؤثر حتى قتل الاسماعيلى على تلك الحال ووثب آخر عليه فقتل أيضاً وجاء السلطان الى خيمته مذعورا واعرض جنده وابعد من أنكره منهم ولما ملك السلطان اعزاز رحل عنها ونازل حلب في منتصف ذى الحجة وحصرها وبها الملك الصالح بن نور الدين وانقضت هذه السنة وهو محاصر لحلب فسألوا صلاح الدين في الصلح فأجابهم اليه وأخرجوا اليه بنتا صغيرة لنور الدين محمود فأكرمها السلطان صلاح الدين وأعطاها شيئاً كثيرا وقال لها ماتريدين فقالت أريد قلعة اعزاز وكانوا قد علموها ذلك فسلمها اليهم واستقر الصلح ورحل السلطان صلاح الدين عن حلب في العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) سار أمير الحاج العراقى طاشتكين وأمره الخليفة بعزل صاحب مكة مكثر بن عيسى فجرى بين الحجاج وبينه قتال فانهزم مكثر في البرية وأقام أخاه داود

مكانه بمكة (وفيها) في رمضان قدم شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن الى الشام وأرسل الى أخيه صلاح الدين يعلمه بوصوله وكتب اليه أبياتا من شعر ابن المنجم المصرى

والى صلاح الدين أشكو اننى ... من بعده مضنى الجوانح مولع
جزعا لبعد الدار عنه ولم أكن ... لولا هواه لبعد دار أجزع
ولأركبن اليه متن عزائمى ... ويخب بى ركب الغرام ويوسع
ولأسرين الليل لا يسرى به ... طيف الخيال ولا البروق اللمع
وأقدمن اليه قلبى مخبرا ... انى بجسمى عن قريب اتبع
حتى أشاهد منه أسعد طلعة ... من أفقها صبح السعادة يطلع

(وفيها) توفي الحافظ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقى الملقب نور الدين كان اماما في الحديث ومن أعيان الفقهاء الشافعية صنف تاريخ دمشق في ثمانين مجلدة على وضع تاريخ بغداد أتى فيه بالغرائب ومولد المذكور في أول سنة تسع وتسعين وأربعمائة (ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة) فيها قصد السلطان صلاح الدين بلد الاسماعيلية في المحرم فنهب بلدهم وخربه واحرقه وحصر قلعة مصياف فأرسل سنان مقدم الاسماعيلية الى خال صلاح الدين وهو شهاب الدين الحارمى صاحب حماة يسأله أن يسعى في الصلح فسأل الحارمى الصفح عنهم فأجابه صلاح الدين الى ذلك وصالحهم ورحل عنهم وأتم السلطان صلاح الدين مسيره ووصل الى مصر فانه كان قد بعد عهده بها بعد ان استقر له ملك الشام ولما وصل الى مصر في هذه السنة أمر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة التى على جبل المقطم ودور ذلك تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع بالذراع الهاشمى ولم يزل العمل فيه الى ان مات صلاح الدين (وفي هذه السنة) أمر صلاح الدين ببناء المدرسة التى على الشافعى بالقرافة بمصر وعمل بالقاهرة مارستان (وفيها) تولى القاضى جمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى قاضى دمشق وجميع الشام (ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة) في هذه السنة في جمادى الاولى سار السلطان صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فوصل الى عسقلان في الرابع والعشرين من الشهر فنهب وتفرق عسكره في الاغارات وبقى السلطان في بعض العسكر فلم يشعر الا بالفرنج قد طلعت عليه فقاتلهم أشد قتال وكان لتقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولد اسمه أحمد وهو من أحسن الشباب أول مافد تكاملت لحيته فامره أبوه تقى الدين بالحملة على الفرنج فحمل عليهم وقاتلهم فأثر فيهم أثرا كثيرا وعاد سالماً فأمره أبوه بالعود

اليهم ثانية فحمل عليهم فقتل شهيدا وتمت الهزيمة على المسلمين وقاربت حملات الفرنج السلطان فمضى منهزما الى مصر على البرية ومعه من سلم فلقوا في طريقهم مشقة وعطشا شديدا وهلك كثير من الدواب وأخذت الفرنج العسكر الذين كانوا يتفرقون في الاغارات اسرى وأسر الفقيه عيسى وكان من أكبر أصحاب السلطان صلاح الدين فافتداه السلطان من الاسر بعد سنتين بستين ألف دينار ووصل السلطان الى القاهرة نصف جمادى الآخرة * قال الشيخ عز الدين على بن الاثير مؤلف الكامل ورأيت كتاباً بخط يد صلاح الدين الى أخيه توران شاه نائبه بدمشق يذكر له الوقعة وفي أوله

ذكرتك والخطى تخطر بيننا ... وقد نهلت منا المثقفة السمر

ويقول فيه لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله منه الا لامر يريده سبحانه وتعالى

* وما ثبتت الا وفي نفسها أمر *

﴿ وفي هذه السنة ﴾ سار الفرنج وحصروا مدينة حماة في جمادى الاولى وطمع الفرنج بسبب بعد السلطان بمصر وهزيمته من الفرنج ولم يكن غير توران شاه بدمشق ينوب عن أخيه صلاح الدين وليس عنده كثير من العسكر وكان توران شاه أيضا كثير الانهماك في اللذات مائلا الى الراحات ولما حصروا حماة كان بها صاحبها شهاب الدين الحارمى خال صلاح الدين وهو مريض واشتد حصار الفرنج لحماة وطال زحفهم عليها حتى انهم هجموا بعض أطراف المدينة وكادوا يملكون البلد قهرا ثم جد المسلمون في القتال وأخرجوا الفرنج الى ظاهر السور وأقام الفرنج كذلك على حماة أربعة أيام ثم رحلوا عنها الى حارم وعقيب رحيلهم عنها مات صاحبها شهاب الدين الحارمى وكان له ابن من أسن الناس شبابا مات قبله بثلاثة أيام (وفي هذه السنة) قبض الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين صاحب حلب على سعد الدين كمشتكين وكان قد تغلب على الامر وكانت حارم لكمشتكين فارسل الملك الصالح اليهم فلم يسلموها اليه فأمر كمشتكين أن يسلمها فأمرهم بذلك فلم يقبلوا منه فأمر بتعذيب كمشتكين ليسلموا القلعة فعذب وأصحابه يرونه ولا يرحمونه فمات في العذاب وأصر أصحابه على الامتناع ووصل الفرنج الى حارم بعد رحيلهم عن حماة وحصروا حارم مدة أربعة أشهر فأرسل الملك الصالح مالا للفرنج وصالحهم فرحلوا عن حارم وقد بلغ بأهلها الجهد وبعد ان رحل الفرنج عنها أرسل اليها الملك الصالح عسكرا وحصروها فلم يبق باهلها ممانعة فسلموها الى الملك الصالح فاستناب بقلعة حارم مملوكا كان لابيه اسمه سرخك (وفي هذه السنة) في المحرم خطب للسلطان طغريل بن ارسلان بن طغرايل ابن السلطان محمد ابن السلطان ملكشاه المقيم ببلاد الدكز وكان أبوه ارسلان الذى تقدم خبره قد توفي ولم

يذكر ابن الاثير وفاة ارسلان ابن طغريل الا في هذا الموضع وكان ينبغى أن يذكره قبل هذه السنة (وفيها) في ذى الحجة قتل عضد الدين محمد بن عبد الله بن هبة الله وزير الخليفة وكان قد عبر دجلة عازما على الحج فقتله الاسماعيلية وحمل مجروحاً الى منزله فمات به وكان مولده في جمادى الاولى سنة أربع عشرة وخمسمائة (وفيها) توفي صدقة بن الحسين الحداد الذى ذيل تاريخ ابن الزعفرانى ببغداد (ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة) في هذه السنة طلب توران شاه من أخيه السلطان صلاح الدين بعلبك وكان السلطان أعطاها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم لما سلم دمشق الى صلاح الدين فلم يمكن صلاح الدين منع أخيه عن ذلك فأرسل الى ابن المقدم ليسلم بعلبك فعصى بها ولم يسلمها فارسل السلطان وحصره ببعلبك وطال حصارها فأجاب ابن المقدم الى تسليمها على عوض فعوض عنها وتسلمها السلطان وأقطعها أخاه توران شاه (وفيها) كان بالبلاد غلاء عام وتبعه وباء شديد (وفيها) سير السلطان صلاح الدين ابن أخيه تقى الدين عمر الى حماة وابن عمه محمد بن شيركوه الى حمص وأمرهما بحفظ بلادهما فاستقر كل منهما ببلده (وفيها) توفي الحصيص الشاعر واسمه سعد بن محمد بن سعد وشعره مشهور فمنه

لاتلمنى في شقائى بالعلى ... رغد العيش لربات الحجال

سيف عز زانه رونقه ... فهو بالطبع غنى عن صقال

(وفيها) ماتت شهدة بنت أحمد بن عمر الابرى سمعت الحديث من السراج وطراد وغيرهما وعمرت حتى قاربت مائة سنة وسمع عليها خلق كثير لعلو اسنادها (ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة) فيها سار السلطان صلاح الدين وفتح حصنا كان بناه الفرنج عند مخاضة الاحران بالقرب من بانياس عند بيت يعقوب وفي ذلك يقول على بن محمد الساعاتى الدمشقى

أتسكن أوطان النبيين عصبة ... تمين لدى ايمانها وهى تحلف

نصحتكم والنصح للدين واجب ... ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

وفيها كان حرب بين عسكر السلطان صلاح الدين ومقدمهم ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وبين عسكر قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وسببها ان حصن رعبان كان بيد شمس الدين ابن المقدم فطمع فيه قليج ارسلان وأرسل اليه عسكرا كثيرا ليحصروه وكانوا قريب عشرين ألفا فسار اليهم تقى الدين في ألف فارس فهزمهم وكان تقى الدين يفتخر ويقول هزمت بالف عشرين ألفا

ذكر وفاة المستضيء وخلافة الامام الناصر وهو رابع ثلاثينهم

﴿ في هذه السنة ﴾ ثانى القعدة توفي المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد وأمه أم ولد أرمنية وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكان عادلا حسن السيرة وكان قد حكم في دولة ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار بعد قتل عضد الدين الوزير فلما مات المستضيء قام ظهير الدين بن العطار وأخذ البيعة لولده الامام الناصر لدين الله ولما استقرت البيعة للامام الناصر حكم أستاذ الدار مجدالدين أبوالفضل فقبض في سابع القعدة على ظهير الدين ابن العطار ونقل الى التاج وأخرج ظهير الدين المذكور ميتا على رأس حمال ليلة الاربعاء ثانى عشر ذى القعدة فثارت به العامة والقوه عن رأس الحمال وشدوا في ذكره حبلا وسحبوه في البلد وكانوا يضعون في يده مغرفة يعنى انها قلم وقد غمس تلك المغرفة في العذرة ويقولون وقع لنا يامولانا هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفه عن أموالهم ثم خلص منهم ودفن (وفي هذه السنة) في ذى القعدة نزل توران شاه أخو السلطان عن بعلبك وطلب عوضها الاسكندرية فأجابه السلطان صلاح الدين الى ذلك واقطع بعلبك لعز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب فسار اليها فرخشاه وسار شمس الدولة توران شاه الى الاسكندرية وأقام بها الى ان مات بها (ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة)

﴿ ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل ﴾

(في هذه السنة) ثالث صفر توفي سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل والديار الجزرية وكان مرضه السل وطال وكان عمره نحو ثلاثين سنة وكانت ولايته عشر سنين ونحو ثلاثة أشهر وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة أبيض اللون عاقلا عادلا عفيفا شديد الغيرة لا يدخل بيته غير الخدم اذا كانوا صغارا فاذا كبر أحدهم منعه وكان عفيفا عن أموال الرعية مع شح كان فيه وحين حضره الموت أوصى بالمملكة بعده الى أخيه عز الدين مسعود بن مودود وأعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجر شاه بن غازى فاستقر ذلك بعد موته حسبما قرره وكان مدبر الدولة والحاكم فيها مجاهد الدين قيماز (وفي هذه السنة) سار السلطان صلاح الدين الى جهة قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم ووصل الى رعبان ثم اصطلحوا فقصد صلاح الدين بلاد ابن ليون الارمنى وشن فيها الغارات فصالحه ابن ليون على مال حمله وأسرى أطلقهم (وفيها) توفي شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو

صلاح الدين الاكبر بالاسكندرية وكان له معها أكثر بلاد اليمن ونوابه هناك يحملون اليه الاموال من زبيد وعدن وغيرهما وكان أجود الناس واسخاهم كفا يخرج كل مايحمل اليه من أموال اليمن ودخل الاسكندرية ومع هذا فلما مات كان عليه نحو مائتى ألف دينار مصرية دينا عليه فوفاها أخوه صلاح الدين عنه لما وصل الى مصر ووصل السلطان صلاح الدين الى مصر في هذه السنة في شعبان واستخلف بالشام ابن أخيه عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك (ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة) في هذه السنة عزم البرنس صاحب الكرك على المسير الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم للاستيلاء على تلك النواحى الشريفة وسمع ذلك عز الدين فرخشاه نائب عمه السلطان صلاح الدين بدمشق فجمع وقصد بلاد الكرك وأغار عليها وأقام في مقابلة البرنس ففرق البرنس جموعه وانقطع عزمه عن الحركة (وفيها) وقع بين نواب توران شاه باليمن بعد موته اختلاف فخشى السلطان صلاح الدين على اليمن فجهز اليه عسكرا مع جماعة من أمرائه فوصلوا الى اليمن واستولوا عليه وكان نواب توران شاه على عدن عز الدين عثمان ابن الزنجيلى وعلى زبيد حطان بن كامل بن منقذ الكنانى من بيت صاحب شيزر

﴿ ذكر وفاة الملك الصالح صاحب حلب ﴾

(في هذه السنة) في رجب توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بن زنكى بن اقسنقر صاحب حلب وعمره نحو تسع عشرة سنة ولما اشتد به مرض القولنج وصف له الاطبا الخمر فمات ولم يستعمله وكان حليما عفيف اليد والفرج واللسان ملازما لامور الدين لا يعرف له شئ مما يتعاطاه الشباب وأوصى بملك حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل فلما مات سار مسعود ومجاهد الدين قيماز من الموصل الى حلب واستقر في ملكها ولما استقر مسعود بن مودود في ملك حلب كاتبه أخوه عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار في أن يعطيه حلب ويأخذ منه سنجار فأشار قيماز بذلك فلم يمكن مسعود الا موافقته فأجاب الى ذلك فسار عماد الدين الى حلب وتسلمها وسلم سنجار الى أخيه مسعود وعاد مسعود الى الموصل (وفي هذه السنة) في شعبان توفي أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد النحوى المعروف بابن الانبارى ببغداد وله تصانيف حسنة في النحو وكان فقيها (ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة)

(ذكر مسير السلطان صلاح الدين الى الشام)

(في هذه السنة) خامس المحرم سار السلطان صلاح الدين عن مصر الى الشام ومن عجيب الاتفاق انه لما برز من القاهرة وخرجت أعيان الناس لوداعه أخذ كل منهم يقول شيئا

في الوداع وفراقه وفي الحاضرين معلم لبعض أولاد السلطان فأخرج رأسه من بين الحاضرين وأنشد

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

فتطير صلاح الدين وانقبض بعد انبساطه وتنكد المجلس على الحاضرين فلم يعد صلاح الدين بعدها الى مصر مع طول المدة وسار السلطان صلاح الدين وأغار في طريقه على بلاد الفرنج وغنم ووصل الى دمشق في حادى عشر صفر من السنة ولما سار السلطان الى الشام اجتمعت الفرنج قرب الكرك ليكونوا على طريقه فانتهز فرخشاه ابن أخى السلطان صلاح الدين ونائبه بدمشق الفرصة وسار الى الشقيف بعساكر الشام وفتحه واغار على مايجاوره من بلاد الفرنج وأرسل الى السلطان وبشره بذلك

(ذكر ارسال سيف الاسلام الى اليمن)

(في هذه السنة) سير السلطان أخاه سيف الاسلام طغتكين الى بلاد اليمن ليملكها ويقطع الفتن منها وكان بها حطان بن منقذ الكنانى وعز الدين عثمان الزنجيلى وقد عادا الى ولايتهما فان الامير الذى كان سيره السلطان نائبا الى اليمن تولى وعزلهما ثم توفي فعاد بين حطان وعثمان الفتن قائمة فوصل سيف الاسلام الى زبيد فتحصن حطان في بعض القلاع فلم يزل سيف الاسلام يتلطف به حتى نزل اليه فأحسن صحبته ثم ان حطان طلب دستورا ليسير الى الشام فلم يجبه الا بعد جهد فجهز حطان اثقاله قدامه ودخل حطان ليودع سيف الاسلام فقبض عليه وأرسل استرجع اثقاله وأخذ جميع أمواله وكان في جملة ماأخذه سيف الاسلام من حطان سبعين غلاف زردية مملوءة ذهبا عينا ثم سجن حطان في بعض قلاع اليمن فكان آخر العهد به وأما عثمان الزنجيلى فانه لما جرى لحطان ذلك خاف وسار نحو الشام وسير أمواله في البحر فصادفهم مراكب فيها أصحاب سيف الاسلام فأخذوا كل مالعثمان الزنجيلى وصفت بلاد اليمن لسيف الاسلام

(ذكر غارات السلطان الملك صلاح الدين وما استولى عليه من البلاد)

(في هذه السنة) سار السلطان صلاح الدين من دمشق في ربيع الاول ونزل قرب طبرية وشن الاغارة على بلاد الفرنج مثل بانياس وجينين والغور فغنم وقتل وعاد الى دمشق ثم سار عنها الى بيروت وحصرها وأغار على بلادها ثم عاد الى دمشق ثم سار من دمشق الى البلاد الجزرية وعبر الفرات من البيرة فصار معه مظفر الدين كوكبورى ابن زين الدين على بن بكتكين وكان حينئذ صاحب حران وكاتب السلطان صلاح الدين ملوك تلك الاطراف واستمالهم فاجابه نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا وصار معه ونازل السلطان الرها وحاصرها وملكها وسلمها الى مظفر الدين

كوكبورى صاحب حران ثم سار السلطان الى الرقة وأخذها من صاحبها قطب الدين ينال ابن حسان المنبجى فسار ينال الى عز الدين مسعود صاحب الموصل ثم سار صلاح الدين الى الخابور وملك قرقيسيا وماكسين وعربان والخابور واستولى على الخابور جميعه ثم سار الى نصيبين وحاصرها وملك المدينة ثم ملك القلعة ثم أقطع نصيبين أميرا كان معه يقال له أبو الهيجا السمين ثم سار عن نصيبين وقصد الموصل وقد استعد صاحبها عز الدين مسعود ومجاهد الدين قيماز للحصار وشحنوها بالرجال والسلاح فحصر الموصل وأقام عليها منجنيقا فأقاموا عليه من داخل المدينة تسعة مناجنيق وضايق الموصل فنزل السلطان صلاح الدين محاذاة باب كندة ونزل صاحب حصن كيفا على باب الجسر ونزل تاج الملوك بورى أخو صلاح الدين على باب العمادى وجرى القتال بينهم وكان ذلك في شهر رجب من هذه السنة فلما رأى ان حصارها يطول رحل عن الموصل الى سنجار وحاصرها وملكها واستناب بها سعد الدين بن معين الدين انز وكان من أكابر الامراء وأحسنهم صورة ومعنى ثم سار السلطان صلاح الدين الى حران وعزل في طريقه عن نصيبين أبا الهيجا السمين

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) عمل البرنس صاحب الكرك أسطولا في بحر ايلة وساروا في البحر فرقتين فرقة أقامت على حصن ايلة يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب يفسدون في السواحل ويغتنموا المسلمين في تلك النواحى فانهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجا قط وكان بمصر الملك العادل أبو بكر نائباً عن أخيه السلطان صلاح الدين فعمر أسطولا في بحر عيذاب وأرسله مع حسام الدين الحاجب لولو وهو متولى الاسطول بديار مصر وكان مظفرا فيه شجاعا فسار لولو مجدا في طلبهم وأوقع باللذين يحاصرون ايلة فقتلهم وأسرهم ثم سار في طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول الى الحجاز ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وسار لولو يقفو أثرهم فبلغ رابغ فأدركهم بساحل الحورا وتقاتلوا أشد قتال فظفر الله تعالى بهم وقتل لولو أكثرهم وأخذ الباقين أسرى وأرسل بعضهم الي منى لينحروا بها وعاد بالباقين الى مصر فقتلوا عن آخرهم (وفي هذه السنة) توفي عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك وكان ينوب عن صلاح الدين بدمشق وهو ثقته من بين أهله وكان فرخشاه شجاعا كريما فاضلا وله شعر جيد ووصل خبر موته الى صلاح الدين وهو في البلاد الجزرية فأرسل الى دمشق شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم ليكون بها واقر بعلبك على بهرام شاه بن فرخشاه المذكور (وفيها) توفي أبو العباس أحمد بن على بن الرفاعى من سواد واسط وكان صالحا ذا قبول عظيم عند الناس وله من

التلامذة مالايحصى (وفيها) توفي بقرطبة خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الانصاري وكان من علماء الاندلس وله التصانيف المفيدة ومولده في سنة أربع وتسعين وأربعمائة (وفيها) توفى بدمشق مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري الفقيه الشافعي ولد سنة خمس وخمسمائة وهو الملقب قطب الدين وكان اماما فاضلا في العلوم الدينية قدم الى دمشق وصنف عقيدة للسلطان صلاح الدين وكان السلطان يقرئها أولاده الصغار (ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر ماملكه السلطان صلاح الدين من البلاد)

(في هذه السنة) ملك السلطان صلاح الدين حصن آمد بعد حصار وقتال في العشر الاول من المحرم وسلمها الى نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا ثم سار الى الشام وقصد تل خالد من أعمال حلب وملكها ثم سار الى عينتاب وحصرها وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل الذى كان خازن نور الدين محمود بن زنكى وكان قد سلم نور الدين عينتاب الى اسمعيل المذكور فبقيت معه الى الآن فحاصرها السلطان وملكها بتسليم صاحبها اليه فأقره السلطان عليها وبقى في خدمة السلطان ومن جملة أمرائه ثم سار السلطان الى حلب وحصرها وبها صاحبها عماد الدين زنكى ابن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر وطال الحصار عليه وكان قد كثر اقتراحات أمراء حلب وعسكرها عليه وقد ضجر من ذلك وكره حلب لذلك فأجاب السلطان صلاح الدين الى تسليم حلب على أن يعوض عنها بسنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج واتفقوا على ذلك وسلم حلب الى السلطان في صفر من هذه السنة فكان ينادون أهل حلب على عماد الدين المذكور ياحمار بعت حلب بسنجار وشرط السلطان على عماد الدين المذكور الحضور الى خدمته بنفسه وعسكره اذا استدعاه ولا يحتج بحجة عن ذلك ومن الاتفاقات العجيبة ان محى الدين بن الزكى قاضى دمشق مدح السلطان بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكان في جملة من قتل على حلب تاج الملوك توري بن أيوب أخو السلطان الاصغر وكان كريما شجاعا طعن في ركبته فانفكت فمات منها ولما استقر الصلح عمل عماد الدين زنكى المذكور دعوة للسلطان واحتفل لها فيناهم في سرورهم اذ جاء انسان فاسر الى السلطان بموت أخيه توري فوجد عليه في قلبه وجدا عظيما وأمر بتجهيزه سرا ولم يعلم السلطان في ذلك الوقت أحدا ممن كان في الدعوة بذلك لئلا يتنكد عليهم ماهم فيه وكان يقول السلطان ماوقعت حلب علينا رخيصة بموت توري وكان هذا من السلطان من الصبر العظيم ولما ملك السلطان حلب ارسل الى حارم وبها

سرخك الذى ولاه الملك الصالح ابن نور الدين في تسليم حارم وجرت بينهما مراسلات فلم ينتظم بينهما حال وكاتب سرخك الفرنج فوثب عليه أهل القلعة وقبضوا عليه وسلموا حارم الى السلطان فتسلمها وقرر امر حلب وبلادها واقطع اعزاز أميرا يقال له سليمان بن جندر

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة قبض عز الدين مسعود صاحب الموصل على نائبه مجاهد الدين قيماز (وفيها) لما فرغ السلطان من تقرير امر حلب جعل فيها ولده الملك الظاهر غازى وسار الى دمشق وتجهز منها للغزو فعبر نهر الاردن تاسع جمادى الآخرة من هذه السنة فاغار على بيسان وحرقها وشن الغارات على تلك النواحى ثم تجهز السلطان الى الكرك وأرسل الى نائبه بمصر وهو أخوه الملك العادل ان يلاقيه الى الكرك فسارا واجتمعا عليها وحصر الكرك وضيق عليها ثم رحل عنها في منتصف شعبان وسار معه أخوه العادل وأرسل السلطان ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر الى مصر نائبا عنه موضع الملك العادل ووصل السلطان الى دمشق واعطى أخاه أبابكر العادل مدينة حلب وقلعتها وأعمالها وسيره اليها في شهر رمضان من هذه السنة وأحضر ولده الظاهر منها الى دمشق (وفي هذه السنة) في جمادى الآخرة توفي محمد بن بختيار بن عبد الله الشاعر المعروف بالابله (وفي هذه السنة) أعنى سنة تسع وسبعين وخمسمائة في أواخرها توفي شاهرمن سكمان بن ظهير الدين ابراهيم بن سكمان القطبي صاحب خلاط وقد تقدم ذكر ملك شاهرمن المذكور في سنة احدى وعشرين وخمسمائة وكان عمر سكمان لما توفى اربعا وستين سنة ولما مات سكمان كان بكتمر مملوكه بميافارقين فلما سمع بكتمر بموته سار من ميافارقين ووصل الى خلاط وكان أكثر أهلها يريدونه وكان مماليك شاهرمن متفقين معه فأول وصوله استولى على خلاط وتملكها وجلس على كرسى شاهرمن واستقر في مملكة خلاط حتى قتل في سنة تسع وثمانين وخمسمائة حسبما نذكره ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة)

(ذكر وفاة يوسف بن عبد المؤمن)

في هذه السنة سار أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب الى بلاد الاندلس وعبر البحر في جمع عظيم من عساكره وقصد بلاد الفرنج فحصر شنترين من غرب الاندلس وأصابه مرض فمات منه في ربيع الاول وحمل في تابوت الى مدينة اشبيلية وكانت مدة مملكته اثنتين وعشرين سنة وشهورا وكان حسن السيرة واستقامت له المملكة لحسن تدبيره ولما مات بايع الناس ولده يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكنيته أبو يوسف وملكوه عليهم في الوقت الذى مات فيه أبوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من العدو فقام يعقوب بالملك أحسن قيام وأقام راية الجهاد وأحسن السيرة

(ذكر غزو السلطان الكرك)

في هذه السنة في ربيع الآخر سار السلطان صلاح الدين من دمشق للغزوة وكتب الى مصر فسارت عساكرها اليه ونازل الكرك وحصره وضيق على من به وملك ربض الكرك وبقيت القلعة وليس بينها وبين الربض غير خندق خشب وقصد السلطان صلاح الدين طمه فلم يقدر لكثرة المقاتلة فجمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه فلم يمكن السلطان الا الرحيل فرحل عن الكرك وسار اليهم فاقاموا في اماكن وعرة وأقام السلطان قبالتهم وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك فعلم بامتناعه عليه فسار الى نابلس وأحرقها ونهب ما بتلك النواحي وقتل وأسر وسبى فاكثر ثم سار الى صبصطية وبها مشهد زكريا فاستنقذ ما بها من اسرى المسلمين ثم سار الى جنين ثم عاد الى دمشق

(ذكر وفاة صاحب ماردين)

في هذه السنة مات قطب الدين ايلغازى بن نجم الدين ايلبى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين اقول انه قد تقدم في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ذكر ملك ايلبى ولد ايلغازى المذكور وبقى ايلبى في ملك ماردين حتى مات وملك بعده ابنه ايلغازى المذكور ولم يقع لى وفاة ايلبى وملك ايلغازى المذكور بين متى كان لاثبته ولما مات ايلغازى المذكور كان له أولاد اطفال فاقيم في الملك بعده ولده حسام الدين بولق ارسلان وقام بتدبير المملكة وترتيبها مملوك والده نظام الدين البقش حتى كبر بولق ارسلان وكان به هوج وخبط فمات بولق ارسلان وأقام البقش بعده أخاه الاصغر ناصر الدين ارتق ارسلان بن قطب الدين ايلغازى ولم يكن له حكم بل الحكم الى البقش والى مملوك لالبقش اسمه لولو كان قد تغلب على أستاذه البقش بحيث كان لا يخرج البقش عن رأى لولو المذكور ولم يكن لناصر الدين ارتق ارسلان صاحب ماردين من الحكم شئ وبقى الامر كذلك الى سنة احدى وستمائة فمرض النظام البقش واتاه ناصر الدين صاحب ماردين يعوده فلما خرج من عنده خرج معه لولو فضربه ناصر الدين بسكين فقتله ثم عاد الى البقش فقتله وهو مريض واستقل ارتق ارسلان بملك ماردين من غير منازع (وفي هذه السنة) توفي شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن اسماعيل بن أبى سعيد أحمد وكان قد سار من عند الخليفة الى السلطان صلاح الدين في رسالة ومعه شهاب الدين بشير الخادم ليصلحا بين السلطان صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل فلم ينتظم حال واتفق انهما مرضا بدمشق وطلبا المسير الى العراق وسارا في الحر فمات بشير بالسخنة ومات صدر الدين شيخ الشيوخ بالرحبة ودفن بمشهد البوق وكان أوحد زمانه قد جمع بين رئاسة الدين والدنيا (وفيها) في المحرم اطلق عز الدين مسعود صاحب الموصل مجاهد الدين قيماز من الحبس وأحسن اليه (ثم دخلت

سنة احدى وثمانين وخمسمائة)

﴿ ذكر حصار السلطان صلاح الدين الموصل ﴾

(في هذه السنة) حصر السلطان صلاح الدين الموصل وهو حصاره الثانى فأرسل اليه عز الدين مسعود صاحب الموصل والدته وابنة عمه نور الدين محمود بن زنكى وغيرهما من النساء وجماعة يطلبون منه ترك الموصل وما بأيديهم فردهم واستقبح الناس ذلك من صلاح الدين لاسيما وفيهن بنت نور الدين محمود وحاصر الموصل وضايقها وبلغه وفاة شاهر من صاحب اخلاط في ربيع الآخر من هذه السنة فسار عن الموصل الى جهة اخلاط فاستدعى أهلها ليملكها

﴿ ذكر وفاة صاحب حصن كيفا ﴾

(في هذه السنة) توفي نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود صاحب الحصن وآمد وملك بعده ولده سقمان ولقبه قطب الدين وكان صغيرا فقام بتدبيره القوام بن سماقا الاشعردى وحضر سقمان الى السلطان صلاح الدين وهو نازل على ميا فارقين فأقره على ما كان بيد والده نور الدين محمد وأقام معه أميرا من أصحاب أبى سقمان المذكور

﴿ ذكر ملك السلطان صلاح الدين ميا فارقين ﴾

لما سار السلطان عن الموصل الى اخلاط جعل طريقه على ميا فارقين وكانت لصاحب ماردين الذى توفي وفيها من حفظها من جهة شاهر من صاحب اخلاط المتوفي فحاصرها السلطان وملكها في سلخ جمادى الاولى ثم ان السلطان رجع عن قصد اخلاط الى الموصل فجاءته رسل عز الدين مسعود يسألونه الصلح واتفق حينئذ ان السلطان صلاح الدين مرض وسار من كفر زمار عائدا الى حران فلحقته رسل صاحب الموصل بالاجابة الى ما طلب وهو أن يسلم صاحب الموصل الى السلطان صلاح الدين شهرزور وأعمالها وولاية القرابلى وجميع ماوراء الزاب وأن يخطب للسلطان صلاح الدين على جميع منابر الموصل وما بيده وأن يضرب اسمه على الدراهم والدنانير وتسلم السلطان ذلك واستقر الصلح وأمنت البلاد ووصل السلطان الى حران وأقام بها مريضاً واشتد به المرض حتى أيسوا منه ثم انه عوفي وعاد الى دمشق في المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ولما اشتد مرض السلطان سار ابن عمه محمد بن شيركوه بن شاذى صاحب حمص الى حمص وكاتب بعض أكابر دمشق في أن يسلموا اليه دمشق اذا مات السلطان

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) ليلة عيد الاضحى شرب بحمص صاحبها ناصر الدين محمد بن شيركوه

ابن شاذى فأصبح ميتا قيل ان السلطان صلاح الدين دس عليه من سقاه سما لما بلغه مكاتبته أهل دمشق في مرضه ولما مات أقر السلطان حمص وما كان بيد محمد على ولده شيركوه بن محمد وعمره اثنتا عشرة سنة وخلف صاحب حمص شيئاً كثيرا من الدواب والآلات وغيرها فاستعرضها السلطان عند نزوله بحمص في عودته من حران وأخذ أكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه (وفيها) توفي الحافظ محمد بن عمر ابن أحمد الاصفهانى المدينى المشهور وكان امام عصره في الحفظ والمعرفة وله في الحديث وعلومه تآليف مفيدة وله كتاب الغيث في مجلد كمل به كتاب الغريبين للهروى واستدرك فيه عليه مواضع وهو كتاب نافع وكان مولده سنة احدى وخمسمائة (ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة)

ذكر نقل الملك العادل أخى السلطان من حلب واخراج الملك الافضل ابن السلطان من مصر الى دمشق

(في هذه السنة) أحضر السلطان ولده الملك الافضل من مصر واقطعه دمشق وسببه ان الملك المظفر تقى الدين عمر ابن أخى السلطان كان نائب عمه بمصر وكان معه الملك الافضل فأرسل تقى الدين يشتكى من الافضل انى لا أتمكن من استخراج الخراج فانى اذا أحضرت من عليه الخراج وأردت عقوبته يطلقه الملك الافضل فأرسل السلطان أخرج ابنه الملك الافضل من مصر وأقطعه دمشق وتغير السلطان على تقى الدين عمر في الباطن فانه ظن انه انما أخرج ولده من مصر ليتملك مصر اذا مات السلطان ثم أحضر أخاه العادل من حلب وجعل معه ولده العزيز عثمان ابن السلطان نائبا عنه بمصر واستدعى تقى الدين عمر من مصر فقيل انه توقف عن الحضور وقصد اللحاق بمملوكه قراقوش المستولي على بعض بلاد أفريقية وبرقة من المغرب وبلغ السلطان ذلك فساءه وأرسل يستدعى تقى الدين عمر ويلاطفه فحضر اليه ولما حضر تقى الدين عند السلطان زاده على حماة منبج والمعرة وكفر طاب وميا فارقين وجبل جور بجميع أعمالها واستقر العادل والعزيز عثمان في مصر ولما أخذ السلطان حلب من أخيه العادل أقطعه عوضها حران والرها

ذكر وفاة البهلوان وملك أخيه قزل

(في هذه السنة) في أولها توفي البهلوان محمد بن الدكز صاحب بلد الجبل همدان والرى وأصفهان وأذربيجان وأرانية وغيرها من البلاد وكان عادلا حسن السيرة وملك البلاد بعده أخوه قزل أرسلان واسمه عثمان وكان السلطان طغريل بن أرسلان بن طغريل

ابن محمد بن ملكشاه السلجوقى مع البهلوان وله الخطبة في بلاده وليس له من الامر شئ فلما مات البهلوان خرج طغريل عن حكم قزل وكثر جمعه واستولى على بعض البلاد وجرت بينه وبين قزل حروب

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) غدر البرنس صاحب الكرك وأخذ قافلة عظيمة من المسلمين وأسرهم فأرسل السلطان يطلب منه اطلاقهم بحكم الهدنة التى كانت بينهم على ذلك فلم يفعل فنذر السلطان انه ان ظفره الله به قتله بيده (وفيها) توفي أبو محمد عبد الله بن أبى الوحش برى بن عبد الجبار بن برى المصرى الامام في علم النحو واللغة اشتغل عليه جماعة وانتفعوا به ومن جملتهم أبو موسى الجزولى صاحب المقدمة الجزولية في النحو وكانت وفاته بمصر وولد بها في سنة تسع وتسعين وأربعمائة (ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة)

ذكر غزوات السلطان الملك الناصر صلاح الدين وفتوحاته

(في هذه السنة) جمع السلطان العساكر وسار بفرقة من العسكر وضايق الكرك خوفا على الحجاج من صاحب الكرك وأرسل فرقة أخرى مع ولده الملك الافضل فأغاروا على بلد عكا وتلك الناحية وغنموا شيئاً كثيرا ثم سار السلطان ونزل على طبرية وحصر مدينتها وفتحها عنوة بالسيف وتأخرت القلعة وكانت طبرية للقومص صاحب طرابلس وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته فأرسلت الفرنج الى القومص المذكور القسوس والبطرك ينهونه عن موافقة السلطان ويوبخونه فسار معهم واجتمع الفرنج لملتقى السلطان

ذكر وقعة حطين وهي الوقعة العظيمة التى فتح الله بها الساحل وبيت المقدس

لما فتح السلطان مدينة طبرية اجتمعت الفرنج في ملوكهم بفارسهم وراجلهم وساروا الى السلطان فركب السلطان من عند طبرية وسار اليهم يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر والتقى الجمعان واشتد بينهم القتال ولما رأى القومص شدة الامر حمل على من قدامه من المسلمين وكان هناك تقى الدين صاحب حماة فافرج له وعطف عليهم فنجا القومص ووصل الى طرابلس وبقى مدة يسيرة ومات غبنا ونصر الله المسلمين واحدقوا بالفرنج من كل ناحية وأبادوهم قتلا وأسرا وكان في جملة من أسر ملك الفرنج الكبير والبرنس

أرنلط صاحب الكرك وصاحب جبيل وابن الهنفرى ومقدم الدواية وجماعة من الاسبتارية وما أصيبت الفرنج من حين خرجوا الى الشام وهى سنة احدى وتسعين وأربعمائة الى الآن بمصيبة مثل هذه الوقعة ولما انقضى المصاف جلس السلطان في خيمته وأحضر ملك الفرنج وأجلسه الى جانبه وكان الحر والعطش به شديدا فسقاه السلطان ماء مثلوجا وسقى ملك الفرنج منه البرنس أرنلط صاحب الكرك فقال له السلطان ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذنى فيكون أمانا له ثم كلم السلطان البرنس ووبخه وفزعه على غدره وقصده الحرمين الشريفين وقام السلطان بنفسه فضرب عنقه فارتعدت فرائص ملك الفرنج فسكن جاشه ثم عاد السلطان الى طبرية وفتح قلعتها بالامان ثم سار الى عكا وحاصرها وفتحها بالامان ثم أرسل أخاه الملك العادل فنازل مجدايابا وفتحه عنوة بالسيف ثم فرق السلطان عسكره ففتحوا الناصرة وقيسارية وهيفا وصفورية ومعلثا والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا بالسيف وغنموا وقتلوا وأسروا أهل هذه الاماكن وأرسل فرقة الى نابلس فملكوا قلعتها بالامان ثم سار الملك العادل بعد فتح مجدايابا الى يافا وفتحها عنوة بالسيف ثم سار السلطان الى تبنين ففتحها بالامان ثم سار الى صيدا فأخلاها صاحبها وتسلمها السلطان ساعة وصوله لتسع بقين من جمادى الاولى من هذه السنة ثم سار الى بيروت فحصرها وتسلمها في التاسع والعشرين من جمادى الاولى بالامان وكان حصرها مدة ثمانية أيام وكان صاحب جبيل من جملة الاسرى فبذل جبيل في أن يسلمها ويطلق سراحه فأجيب الى ذلك وكان صاحب جبيل من أعظم الفرنج وأشدهم عداوة للمسلمين ولم تك عاقبة اطلاقه حميدة وأرسل السلطان فتسلم جبيل وأطلقه (وفيها) حضر المركيس في سفينة الى عكا وهى للمسلمين ولم يعلم المركيس بذلك واتفق هجوم الهواء فراسل المركيس الملك الافضل وهو بعكا يقترح أمرا بعد آخر والملك الافضل يجيب المركيس الى ذلك الى ان هب الهواء فاقلع المركيس الى صور واجتمع عليه الفرنج الذين بها وملك صورا وكان وصول المركيس الى صور واطلاق الفرنج الذين يأخذ السلطان بلادهم بالامان ويحملهم الى صور من أعظم أسباب الضرر التى حصلت حتى راحت عكا وقوى الفرنج بذلك ثم سار السلطان الى عسقلان وحاصرها أربعة عشر يوما وتسلمها بالامان سلخ جمادى الآخرة ثم بث السلطان عسكره ففتحوا الرملة والداروم وغزة وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وغير ذلك ثم سار السلطان ونازل القدس وبه من النصارى عدد يفوت الحصر وضايق السلطان السور بالنقابين واشتد القتال وغلقوا السور فطلب الفرنج الامان فلم يجبهم السلطان الى ذلك وقال لا آخذها الا بالسيف مثل ما أخذها الفرنج من المسلمين فعاودوه في الامان وعرفوه ماهم عليه من الكثرة وانهم ان أيسوا

منه من الامان قاتلوا خلاف ذلك فأجابهم السلطان اليه بشرط أن يؤدى كل من بها عشرة الدنانير عشرة الدنانير من الرجال ويؤدى النساء خمسة خمسة ويؤدوا عن كل طفل دينارين وأى من عجز عن الاداء كان أسيرا فأجيب الى ذلك وسلمت اليه المدينة يوم الجمعة في السابع والعشرين من رجب وكان يوما مشهودا ورفعت الاعلام الاسلامية على أسوار المدينة ورتب السلطان على أبواب البلد من يقبض منهم المال المذكور فخان المرتبون في ذلك ولم يحملوا منه الا القليل وكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب وتسلق المسلمون وقلعوه فسمع لذلك ضجة لم يعهد مثلها من المسلمين للفرح والسرور ومن الكفار بالتفجع والتوجع وكان الفرنج قد عملوا في غربى الجامع الاقصى هربا ومستراحا فأمر السلطان بازالة ذلك واعادة الجامع الى ما كان عليه وكان نور الدين محمود بن زنكى قد عمل منبرا بحلب قد تعب عليه مدة وقال هذا لاجل القدس فأرسل السلطان صلاح الدين أحضر المنبر من حلب وجعله في الجامع الاقصى وأقام السلطان بعد فتوح القدس بظاهره الى الخامس والعشرين من شعبان يرتب أمور البلد وأحوالها وأمر بعمل الربط والمدارس الشفعوية ثم رحل السلطان الى عكا ورحل منها الى صور وصاحبها المركيس وقد حصنها بالرجال وحفر خندقها ونزل السلطان على صور تاسع شهر رمضان وحاصرها وضايقها وطلب الاسطول فوصل اليه في عشرة شوال فاتفق ان الفرنج كبسوهم في الشوانى وأخذوا خمسة شوان ولم يسلم من المسلمين الا من سبح ونجا وأخذ الباقون وطال الحصار عليها فرحل السلطان عنها في آخر شوال وكان أول كانون الاول وأقام بعكا وأعطى العساكر الدستور فسار كل واحد الى بلده وبقى السلطان بعكا في حلقته وأرسل الى هونين ففتحها بالامان

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) سار شمس الدين محمد بن عبد الملك عرف بابن المقدم بعد فتح القدس حاجا وكان هو أمير الحاج الشامى ليجمع بين الغزوة وزيارة القدس والخليل عليه السلام والحج في عام واحد فسار ووقف بعرفات ولما أفاض أرسل اليه طاشتكين أمير الحاج العراقى يمنعه من الافاضة قبله فلم يلتفت اليه فسار العراقيون واقتتلوا مع الشاميين فقتل بينهم جماعة وابن المقدم يمنع أصحابه من القتال ولو أمكنهم لا نتصفوا من العراقيين فجرح ابن المقدم ومات شهيدا ودفن بمقبرة المعلى (وفيها) قوى أمر السلطان طغريل ابن أرسلان شاه بن طغريل بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه بن الب أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق وملك كثيرا من البلاد وأرسل قزل بن الدكز الى الخليفة يستنجده ويخوفه عاقبة أمر طغريل (وفيها) سار شهاب الدين الغورى وغزا

بلاد الهند (وفيها) قتل الخليفة الناصر أستاذ داره مجد الدين أبا الفضل بن الصاحب ولم يكن للخليفة معه حكم وظهر له أموال عظيمة فأخذت جميعها (وفيها) استوزر الخليفة الناصر لدين الله أبا المظفر عبيد الله بن يونس ولقبه جلال الدين ومشى أرباب الدولة في ركابه حتى قاضي القضاة وكان ابن يونس من خملة الناس فكان يمشي ويقول لعن الله طول العمر (وفيها) توفي قاضي القضاة الدامغاني وكان قد ولي القضاء للمقتفي (ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة)

﴿ ذكر فتوحات السلطان صلاح الدين وغزواته ﴾

شتى السلطان هذه السنة في عكا ثم سار بمن معه وقصد كوكب وجعل على حصارها أميرا يقال له قيماز النجمي وسار منها في ربيع الاول ودخل دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب الى الاطراف باجتماع العساكر وأقام في دمشق تقدير خمسة أيام وسار من دمشق في منتصف ربيع الاول من هذه السنة ونزل على بحيرة مقدس غربي حمص وأتته العساكر بها فأولهم عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين ولما تكاملت عساكره رحل ونزل تحت حصن الاكراد وشن الغارات على بلاد الفرنج وسار من حصن الاكراد فنزل على انطرطوس سادس جمادى الاولى فوجد الفرنج قد أخلوا انطرطوس فسار الى مرقية فوجدهم قد أخلوها أيضاً فسار الى تحت المرقب وهو للاستيثار فوجده لايرام ولا لاحد فيه مطمع فسار الى جبله ووصل اليها ثامن جمادى الاولى وتسلمها حالة وصوله فجعل فيها لحفظها الامير سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب شيزر ثم سار السلطان الى اللاذقية ووصل اليها في الرابع والعشرين من جمادى الاولى ولها قلعتان فحصر القلعتين وزحف اليهما فطلب أهلهما الامان فأمنهم وتسلم القلعتين ولما ملك السلطان اللاذقية سلمها الى ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب فعمرها وحصن قلعتها وكان تقي الدين عظيم الهمة في تحصين القلاع والغرامة عليها كما فعل بقلعة حماة ثم رحل السلطان عن اللاذقية في السابع والعشرين من جمادى الاولى الى صهيون وحاصرها وضايقها فطلب أهلها الامان فلم يجبهم الا على أمان أهل القدس فيما يؤدونه فاجابوه الى ذلك وتسلم السلطان قلعة صهيون وسلمها الى أمير من أصحابه يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة أبي قبيس ثم فرق عسكره في تلك الجبال فملكوا حصن بلاتنوس وكان الفرنج الذين به قد هربوا منه واخلوه وملكوا حصن العبد وحصن الجماهديين ثم سار السلطان من صهيون ثالث جمادى الآخرة ووصل الى قلعة بكاس فاخلاها أهلها وتحصنوا بقلعة الشغر فحصرها ووجدها منيعة وضايقها فارمى الله في قلوب أهلها الرعب وطلبوا الامان وتسلمها يوم

الجمعة سادس جمادى الآخرة بالامان وأرسل السلطان ولده الملك الظاهر غازي صاحب حلب فحصر سرمينية وضايقها وملكها واستنزل أهلها على قطيعة قررها عليهم وهدم الحصن وعفى أثره وكان في هذا الحصن وفي الحصون المذكورة من أسرى المسلمين الجم الغفير فأطلقوا وأعطوا الكسوة والنفقة ثم سار السلطان من الشغر الى برزية ورتب عسكره ثلاثة أقسام وداومها بالزحف وملكها بالسيف في السابع والعشرين من جمادى الآخرة وسبى وأسر وقتل أهلها قال مؤلف الكامل ابن الاثير كنت مع السلطان في مسيره وفتحه هذه البلاد طلبا للغزوة فنحكي ذلك عن مشاهدة ثم سار السلطان فنزل على جسر الحديد وهو على العاصي بالقرب من انطاكية فاقام عليه أياما حتى تلاحق به من تأخر من العسكر ثم سار الى دربساك ونزل عليها ثامن رجب من هذه السنة وحاصرها وضايقها وتسلمها بالامان على شرط أن لايخرج أحد منها الا بثيابه فقط وتسلمها تاسع عشر رجب ثم سار من دربساك الى بغراس وحصرها وتسلمها بالامان على حكم أمان دربساك وأرسل بيمند صاحب انطاكية الى السلطان يطلب منه الهدنة والصلح وبذل اطلاق كل أسير عنده فأجابه السلطان الى ذلك واصطلحوا ثمانية أشهر وكان صاحب انطاكية حينئذ أعظم ملوك الفرنج في هذه البلاد فان أهل طرابلس سلموا اليه طرابلس بعد موت القومص صاحبها على ماذكرناه فجعل بيمند صاحب انطاكية ابنه في طرابلس ولما فرغ السلطان من أمر هذه البلاد والهدنة سار الى حلب فدخلها ثالث شعبان وسار منها الى دمشق وأعطى عماد الدين زنكي بن مودود دستورا وكذلك أعطى غيره من العساكر الشرقية وجعل طريقه لما رحل من حلب على قبر عمر رضي الله عنه ابن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح أبا زكريا المغربي وكان مقيما هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع السلطان أبو فاتية الامير قاسم بن مهنا الحسيني صاحب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وشهد معه مشاهده وفتوحاته وكان السلطان يتبرك برؤيته ويتيمن بصحبته ويرجع الى قوله ودخل السلطان دمشق في شهر رمضان المعظم فأشير عليه بتفريق العساكر ليريحوا ويستريحوا فقال السلطان ان العمر قصير والاجل غير مأمون وكان السلطان لما سار الى البلاد الشمالية قد جعل على الكرك وغيرها من يحصرها وخلا أخاه الملك العادل في تلك الجهات يباشر ذلك فأرسل أهل الكرك يطلبون الامان فأمر الملك العادل المباشرين لحصارها بتسلمها فتسلموا الكرك والشوبك ومابتلك الجهات من البلاد ثم سار السلطان من دمشق في منتصف رمضان وسار الى صفد فحصرها وضايقها وتسلمها بالامان ثم سار الى كوكب وعليها قيماز النجمي يحاصرها فضايقها السلطان وتسلمها بالامان في منتصف ذي القعدة وسير أهلها الى صور وكان اجتماع أهل

هذه القلاع في صور من أعظم أسباب الضرر على المسلمين ظهر ذلك فيما بعد ثم سار السلطان الى القدس فعيد فيه عيد الاضحى ثم سار الى عكا فاقام بها حتى انسلخت السنة

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) أرسل قزل بن الدكز يستنجد بالخليفة الامام الناصر على طغريل ابن أرسلان بن طغريل السلجوقي ويحذره عاقبة أمره فأرسل الخليفة عسكرا الى طغريل والتقوا ثامن ربيع الاول من هذه السنة قرب همدان فانهزم عسكر الخليفة وغنم طغريل أموالهم وأسر مقدم العسكر جلال الدين عبيد الله وزير الخليفة (وفيها) توفي محمد بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذي الشاعر المشهور وقصائده في الغزل والنسيب مشهورة وله في غير ذلك أشياء حسنة أيضاً فمنها وقد صودر ببغداد جماعة من الدواوين من جملة قصيدته

يا قاصدا بغداد حز عن بلدة ... للجور فيها زجرة وعتاب
ان كنت طالب حاجة فارجع فقد ... سدت على الراجي بها الابواب
والناس قد قامت قيامتهم فلا ... أنساب بينهم ولا أسباب
والمرء يسلمه أبوه وعرسه ... ويخونه القرباء والاحباب
لا شافع تغني شفاعته ولا ... جان له مما جناه متاب
شهدوا معادهم فعاد مصدقا ... من كان قبل ببعثه يرتاب
جسر وميزان وعرض جرائد ... وصحائف منشورة وحساب
ماقاتهم من يوم ماوعدوا به ... في الحشر الا راحم وهاب

ومولد ابن التعاويذي المذكور في سنة تسع عشرة وخمسمائة (ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة) في هذه السنة سار السلطان صلاح الدين ونزل بمرج عيون وحضر اليه صاحب شقيف أرنون وبذل اليه تسليم الشقيف بعد مدة ظهر بها خديعة منه فلما بقي للمدة ثلاثة أيام استحضره السلطان وكان اسم صاحب الشقيف أرنلط فقال له السلطان في التسليم فقال لا يوافقني عليه أهلي وأهل الحصن فأمسكه السلطان وبعثه الى دمشق فحبس

﴿ ذكر حصار الفرنج عكا ﴾

كان قد اجتمع بصور أهل البلاد التي أخذها السلطان بالامان فكثر جمعهم حتى صاروا في عالم لا يحصى كثرتهم وأرسلوا الى البحر يبكون ويستنجدون وصوروا صورة المسيح وصورة عربي يضرب المسيح وقد أدماه وقالوا هذا نبي العرب يضرب المسيح فخرجت النساء من بيوتهن ووصل من الفرنج في البحر عالم لا يحصون كثرة وساروا الى عكا من صور ونازلوها في منتصف رجب من هذه السنة وضايقوا عكا وأحاطوا بسورها من

البحر الى البحر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فسار اليهم السلطان ونزل قريب الفرنج وقاتلهم في مستهل شعبان وباتوا على ذلك وأصبحوا فحمل تقي الدين عمر صاحب حماة من ميمنة السلطان على الفرنج فازالهم عن موقفهم والتزق بالصور وانفتح الطريق الى المدينة يدخل المسلمون ويخرجون وأدخل السلطان الى عكا عسكرا نجدة فكان من جملتهم أبو الهيجاء السمين وبقي المسلمون يغادون القتال ويراوحونه الى العشرين من شعبان ثم كان بين المسلمين وبينهم وقعة عظيمة فان الفرنج اجتمعوا وضربوا مع السلطان مصافا وحملوا على القلب فازالوه وأخذوا يقتلون في المسلمين الى ان بلغوا الى خيمة السلطان فانحاز السلطان الى جانب وانضاف اليه جماعة وانقطع مدد الفرنج واشتغلوا بقتال الميمنة فحمل السلطان على الفرنج الذين خرقوا القلب وانعطف عليهم العسكر فافنوهم قتلا فكانت قتلى الفرنج نحو عشرة آلاف نفس ووصل المنهزمون من المسلمين بعضهم الى طبرية وبعضهم وصل الى دمشق وجافت الارض بعد هذه الوقعة ولحق السلطان مرض وحدث له قولنج فاشار عليه الامراء بالانتقال من ذلك الموضع فوافقهم ورحل عن عكا رابع عشر رمضان من هذه السنة الى الخروبة فلما رحل تمكن الفرنج من حصار عكا وانبسطوا في تلك الارض وفي تلك الحال وصل أسطول المسلمين في البحر مع حسام الدين لولو وكان شهما فظفر ببطشة للفرنج فأخذها ودخل بها الى عكا فقوى قلوب المسلمين وكذلك وصل الملك العادل بعسكر مصر وبالسلاح الى أخيه السلطان فقويت قلوب المسلمين بوصوله

ذكر غير ذلك

فيها توفي بالخروبة الفقيه عيسى وكان مع السلطان وهو من أعيان عسكره كان جنديا فقيها شجاعا وكان من أصحاب الشيخ أبي القاسم البرزي (وفيها) توفي محمد بن يوسف ابن محمد بن قائد الملقب موفق الدين الاربلي الشاعر المشهور وكان اماما مقدما في علم العربية وكان أعلم الناس بالعروض واحذقهم بنقد الشعر واعرفهم بجيده من رديئه واشتغل بعلوم الاوائل وحل كتاب أقليدس وهو شيخ أبي البركات ابن المستوفي صاحب تاريخ أربل ورحل ابن القائد المذكور الى شهرزور وقام بها مدة ثم رحل الى دمشق ومدح السلطان صلاح الدين يوسف ومن شعره قصيدة مدح بها زين الدين يوسف صاحب أربل منها

رب دار بالحمى طال بلاها ... عكف الركب عليها فبكاها
كان لي فيها زمان وانقضى ... فسقى الله زماني وسقاها
قل لجيران مواثيقهم ... كلما أحكمتها رثت قواها

كنت مشغوفا بكم اذ كنتم شجرا لا يبلغ الطير ذراهـا
واذاما طـمع اغرى بكم عرض اليأس لنفسى فنناها
فصـبابات الهوى أولهـا طمع النفس وهذا منتهاها
لا تظنوا لى اليـكم رجعة كشف التجريب عن عينى عماها
ان زين الدين أولانى يدا لم تدع لى رغبة فيما سواها

وهى طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر وكان أبوه محمد تاجرا يتردد الى البحرين لتحصيل اللآلى من المغاصات (وفيها) توفي محمود بن على بن أبى طالب بن عبد الله الاصبهانى المعروف بالقاضى صاحب الطريقة في الخلاف وصنف فيه التعليقة وهى عمدة المدرسين في القاء الدروس ومن لم يذكرها فانما هو لقصور فهمه عن ادراك دقائقها وكان متفننا في العلوم وله في الوعظ اليد الطولى (ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة) في هذه السنة بعد دخول صفر رحل السلطان صلاح الدين عن الحروبة وعاد الى قتال الفرنج على عكا وكان الفرنج قد عملوا قرب سور عكا ثلاثة أبرجة طول البرج ستون ذراعا جاؤا بخشبها من جزائر البحر وعملوها طبقات وشحنوها بالسـلاح والمقاتلة ولبسوها جلود البقر والطين بالخل لئلا تعمل فيها النار فتحيل المسلمون وأحرقوا البرج الاول فاحترق بمن فيه من الرجال والسلاح ثم أحرقوا الثانى والثالث وانبسطت نفوس المسلمين لذلك بعد الكآبة ووصل الى السلطان العساكر من البلاد وبلغ المسلمون وصول ملك الالمان وكان قد سار من بلاد وراء القسطنطينية بمائة ألف مقاتل واهتم المسلمون لذلك وأيسوا من الشام بالكلية فسلط الله تعالى على الالمان الغلاء والوباء فهلك أكثرهم في الطريق ولما وصـل ملكهم الى بلاد الارمن نزل في نهر هناك اغتسل فغرق وأقاموا ابنه مقامه فرجع من عسكره طائفة الى بلادهم وطائفة خامرت ابن الملك المذكور فرجعوا أيضاً ولم يصل مع ابن ملك الالمان الى الفرنج الذين على عكا غير تقدير ألف مقاتل وكفى الله المسـلمين شرهم وبقى السلطان والفرنج على عكا يتناوشون القتال الى العشرين من جمادى الآخرة فخرجت الفرنج من خنادقهم بالفارس والراجل وازالوا الملك العادل عن موضعه وكان معه عسكر مصر فعطفت عليهم المسلمون وقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا فعادوا الى خنادقهم وحصل للسلطان مغص فانقطع في خيمة صغيرة ولولا ذلك لكانت الفيصلة ولكن اذا أراد الله أمرا فلا مرد له

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) لما قوى الشتاء واشتدت الرياح أرسل الفرنج المحاصرون عكا مراكبهم الى صور خوفا عليها ان تنكسر فانفتحت الطريق الى عكا في البحر وأرسل البدل اليها

فكان العسكر الذين خرجوا منها اضعاف الواصلين اليها فحصل التفريط بذلك لضعف البدل (وفيها) في من شوال توفي زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك صاحب أربل وكان مع السلطان في عسكره ولما توفي أقطع السلطان صلاح الدين أربل أخاه مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كوجك واضاف اليه شهرزور وأعمالها وارتجع ما كان بيد مظفر الدين وهو حران والرها وسار مظفر الدين الى أربل وملكها (وفيهـا) استولى الخليفة الناصر لدين الله على حديثة عانة بعـد حصرها مدة (وفيها) أقطع السلطان ما كان بيد مظفر الدين وهو حران والرها وسمساط والموزر الملك المظفر تقى الدين عمر زيادة على ما بيـده وهو ميافارقين ومن الشـام حماة والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجبلة واللاذقيـة وبلاطنس ومكرابيك (ثم دخلت سـنة سبع وثمانين وخمسمائة)

(ذكر استيلاء الفرنج على عكا)

واستمر حصار الفرنج لعكا الى هذه السنة وكانوا قد أحاطوا بها من البحر الى البحر وحفروا عليهم خندقا فلم يتمكن السلطان من الوصول اليهم وكانوا محاصرين لعكا وهم كالمحصورين من خارجهم من السلطان واشتد حصارهم لعكا وطال وضعف من بها عن حفظ البلد وعجز السلطان صلاح الدين عن دفع العدو عنهم فخرج الامير سيف الدين على بن أحمد المشطوب من عكا وطلب الامان من الفرنج على مال وأسرى يقومون به للفرنج فأجابوهم الى ذلك وصعدت أعلام الفرنج على عكا ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من هذه السنة واستولوا على البلد بما فيه وحبسوا المسلمين في أماكن من البلد وقالوا انما نحبسهم ليقوموا بالمال والاسرى وصليب الصلبوت وكتبوا الى السلطان صلاح الدين بذلك فحصل ما أمكن تحصيله من ذلك وطلب منهم اطلاق المسلمين فلم يجيبوا الى ذلك فعلم منهم الغـدر واسـتمر اسرى المسلمين بها ثم قتـل الفرنج الفرنج من المسلمين جماعـة كثيرة واسـتمروا بالباقين في الاسر وبعد استيلاء الفرنج على عكا وتقرير أمرها رحلوا عنها مستهل شـعبان نحو قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتحفظون منهم ثم ساروا من قيسارية الى أرسوف ووقع بينهم وبين المسلمين مصاف ازالوا المسلمين عن موقفهم ووصلوا الى سوق المسلمين فقتلوا من السوقيـة وغيرهم خلقاً كثيرا ثم سار الفرنج الى يافا وقد أخلاها المسلمون فملكوهـا ثم رأى السلطان تخريب عسقلان مصلحة لئلا يحصل لها ما حصل لعكا فسار اليها وأخلاها وخربها ورتب الحجارين في تفليق أسوارها وتخريبها فدكها الى الارض فلما فرغ السلطان من تخريب عسقلان رحل عنها ثانى شهر رمضان الى الرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد

ثم سار الى القدس وقرر أموره وعاد الى مخيمه بالنظرون ثامن شهر رمضان ثم تراسل الفرنج والسلطان في الصلح على أن يتزوج الملك العادل أخو السلطان بأخت ملك الانكتار ويكون للملك العادل القدس ولامرأته عكا فحضر القسيسون وأنكروا عليها ذلك الاان يتنصر الملك العادل فلم يتفق بينهم حال ثم رحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة وبقى في كل يوم يقع بين المسلمين وبينهم مناوشات فلقوا من ذلك شدة شديدة واقبل الشتاء وحالت الاوحال بينهم ولما رأى السلطان ذلك وقد ضجرت العساكر أعطاهم الدستور وسار الى القدس لسبع بقين من ذى القعدة ونزل داخل البلد واستراحوا مما كانوا فيه وأخذ السلطان في تعمير القدس وتحصينه وأمر العسكر بنقل الحجارة وكان السلطان ينقل الحجارة بنفسه على فرسه ليقتدى به العسكر فكان يجتمع عند العمالين في اليوم الواحد مايكفيهم لعدة أيام

(ذكر وفاة الملك المظفر تقى الدين عمر)

كان الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب قد سار الى البلاد المرتجعة من كوكبورى التى زاده اياها عمه السلطان من وراء الفرات وهى حران وغيرها فامتدت عين الملك المظفر الى بلاد مجاوريه واستولى على السويدا وحانى واتفع مع بكتمر صاحب خلاط فكسره وحصره في خلاط وتملك على معظم البلاد ثم رحل عنها ونازل ملازكرد وهى لبكتمر وضايقها وكان في صحبته ولده الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر المذكور فعرض للملك المظفر مرض شديد وتزايد به حتى توفي يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان من هذه السنة أعنى سنة سبع وثمانين وخمسمائة فاخفى ولده الملك المنصور وفاته ورحل عن ملازكرد ووصل به الى حماة ودفنه بظاهرها وبنى الى جانب التربة مدرسة وذلك مشهور هناك وكان الملك المظفر شجاعا شديد البأس ركنا عظيما من أركان البيت الايوبى وكان عنده فضل وأدب وله شعر حسن واتفق ان في ليلة الجمعة التى توفي فيها الملك المظفر توفي فيها حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين وأمه ست الشام بنت أيوب أخت السلطان فأصيب السلطان في تاريخ واحد بابن أخيه وابن أخته ولما مات الملك المظفر راسل ابنه الملك المنصور السلطان صلاح الدين واشترط شروطا نسبه السلطان فيها الى العصيان وكاد أمره يضطرب بالكلية فراسل الملك المنصور عمه الملك العادل في استعطاف خاطر السلطان فما برح الملك العادل بأخيه السلطان يراجعه ويشفع في الملك المنصور حتى أجابه السلطان وقرر الملك المنصور حماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم وارتجع السلطان البلاد الشرقية وما معها وأقطعها أخاه الملك العادل بعد ان شرط السلطان ان الملك العادل ينزل عن كل ماله من الاقطاع بالشام خلا الكرك والشوبك

والصلت والبلقاء ونصف خاصه بمصر وأن يكون عليه في كل سنة ستة آلاف غرارة تحمل من الصلت والبلقاء الى القدس ولما استقر ذلك سار الملك العادل الى البلاد الشرقية لتقرير أمورها فقررها وعاد الى خدمة السلطان في آخر جمادى الآخرة من السنة القابلة أعنى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ولما قدم الملك العادل على السلطان كان الملك المنصور صاحب حماة صحبته فلما رأى السلطان الملك المنصور بن تقى الدين نهض واعتنقه وغشيه البكاء واكرمه وأنزله في مقدمة عسكره

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) في شعبان قتل قزل أرسلان واسمه عثمان بن الدكز وهو الذى ملك أذربيجان وهمدان وأصفهان والرى بعد أخيه محمد البهلوان وكان قد قوى عليه السلطان طغريل السلجوقى وهزم عسكر بغداد كما تقدم ذكره ثم ان قزل أرسلان تغلب واعتقل السلطان طغريل بن أرسلان بن طغريل في بعض البلاد وسار قزل أرسلان بعد ذلك الى أصفهان وتعصب على الشافعية وأخذ جماعة من أعيانهم فصلبهم وعاد الى همدان وخطب لنفسه بالسلطنة ودخل لينام على فراشه وتفرق عنه أصحابه فدخل عليه من قتله على فراشه ولم يعرف قاتله (وفيها) قدم معز الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم الى السلطان صلاح الدين وسببه ان والده فرق مملكته على أولاده وأعطى ولده هذا ملطية ثم تغلب بعض اخوته على والده والزمه بأخذ ملطية من أخيه المذكور فخاف من ذلك فسار الى السلطان ملتجأ اليه فأكرمه السلطان وزوجه بابنة أخيه الملك العادل وعاد معز الدين الى ملطية في ذى القعدة وقد انقطعت اطماع أخيه منه قال ابن الاثير لما ركب السلطان صلاح الدين ليودع معز الدين قيصر شاه المذكور ترجل معز الدين له فترجل السلطان صلاح الدين ولما ركب السلطان صلاح الدين عضده قيصر شاه وركبه وكان علاء الدين بن عز الدين مسعود صاحب الموصل مع السلطان اذ ذاك فسوى ثياب السلطان أيضاً فقال بعض الحاضرين في نفسه مابقيت تبالى ياابن أيوب بأى موتة تموت يركبك ملك سلجوق ويسوى قماشك ابن اتابك زنكى (وفيها) قتل أبو الفتح يحيى بن حنش بن أميرك الملقب شهاب الدين السهروردى الحكيم الفيلسوف بقلعة حلب محبوسا أمر بخنقه الملك الظاهر غازى بأمر والده السلطان صلاح الدين قرأ المذكور الاصولين والحكمة بمراغة على مجد الدين الجيلى شيخ الامام فخر الدين ثم سافر السهروردى المذكور الى حلب وكان علمه أكثر من عقله فنسب الى انحلال العقيدة وانه يعتقد مذهب الفلاسفة فافتى الفقهاء باباحة دمه لما ظهر من سوء مذهبه واشتهر عنه وكان أشدهم عليه في ذلك زين الدين ومجد الدين ابنا جهيل حكى الشيخ

سيف الدين الآمدى قال اجتمعت بالسهروردى في حلب فقال لى لابد أن أملك الارض فقلت له من أين لك هذا قال رأيت في المنام كأنى شربت ماء البحر فقلت لعل يكون اشتهار علمك وماينا سب هذا فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه ووجدته كثير العلم قليل العقل وكان عمره لماقتل ثمانيا وثلاثين سنة وله عدة مصنفات في الحكمة منها التلويحات والتنقيحات والمشارع والمطارحات وكتاب الهياكل وحكمة الاشراق وكان ينتسب الى انه يعرف السيميا وله نظم حسن فمنه

أبدا تحن اليكم الارواح ... ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تتشاقكم ... والى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا ... ستر المحبة والهوى فضاح
واذاهم كتموا يحدث عنهم ... عند الوشاة المدمع السحاح
لاذنب للعشاق ان غلب الهوى ... كتمانهم فنمى الغرام وباحوا

وهى قصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا القدر (ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة) فيها سار الفرنج الى عسقلان وشرعوا في عمارتها في المحرم والسلطان بالقدس (وفيها) قتل المركيس صاحب صور لعنه الله تعالى قتله بعض الباطنية وكانوا قد دخلوا في زى الرهبان الى صور

(ذكر عقد الهدنة مع الفرنج وعود السلطان الى دمشق)

وسبب ذلك ان ملك الانكتار مرض وطال عليه البيكار فكاتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان في الصلح فلم يجبهم السلطان الى ذلك ثم اتفق رأى الامراء على ذلك لطول البيكار وضجر العسكر ونفدت نفقاتهم فأجاب السلطان الى ذلك واستقر أمر الهدنة في يوم السبت ثامن عشر شعبان وتحالفوا على ذلك في يوم الاربعاء الثانى والعشرين من شعبان ولم يحلف ملك الانكتار بل أخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لايحلفون وقنع السلطان بذلك وحلف الكندهرى ابن أخيه وخليفته في الساحل وكذلك حلف غيره من عظماء الفرنج ووصل ابن الهنفرى وباليان الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين وأخذوا يد السلطان على الصلح واستحلفوا الملك العادل أخا السلطان والملك الافضل والظاهر ابنى السلطان والملك المنصور صاحب حماة محمد ابن تقى الدين عمر والملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والملك الامجد بهرامشاه ابن فرخشاه صاحب بعلبك والامير بدرالدين ايلدرم الياروقى صاحب تل باشر والامير سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب شيزر والامير سيف الدين على بن أحمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار وعقدت هدنة عامة في البحر والبر وجعلت مدتها ثلاث

سنين وثلاثة أشهر أولها أيلول الموافق لحادى وعشرين من شعبان وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج يافا وعملها وقيسارية وعملها وأرسوف وعملها وحيفا وعملها وعكا وعملها وأن تكون عسقلان خرابا واشترط السلطان دخول بلاد الاسماعيلية في عقد هدنته واشترط الفرنج دخول صاحب انطاكية وطرابلس في عقد هدنتهم وأن يكون لد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين فاستقرت القاعدة على ذلك ثم رحل السلطان الى القدس في رابع شهر رمضان وتفقد أحواله وأمر بتشييد أسوار وزاد في وقف المدرسة التى عملها بالقدس وهذه المدرسة كانت قبل الاسلام تعرف بصندحنة يذكرون ان فيها قبر حنة أم مريم ثم صارت في الاسلام دار علم قبل أن يملك الفرنج بالقدس ثم لما ملك الفرنج القدس في سنة اثنين وتسعين وأربعمائة أعادوها كنيسة كما كانت قبل الاسلام فلما فتح السلطان القدس أعادها مدرسة وفوض تدريسها ووقفها الى القاضى بهاء الدين بن شداد ولما استقر أمر الهدنة أرسل السلطان مائة حجار لتخريب عسقلان وأن يخرج من بها من الفرنج وعزم على الحج والاحرام من القدس وكتب الى أخيه سيف الاسلام صاحب اليمن بذلك ثم فنده الامراء وقالوا لا نعتمد على هدنة الفرنج خوفا من غدرهم فانتقض عزمه عن ذلك ثم رحل السلطان عن القدس لخمس مضين من شوال الى نابلس ثم سار الى بيسان ثم الى كوكب فبات بقلعتها ثم رحل الى طبرية ولقيه بها الامير بهاء الدين قراقوش الاسدى وقد خلص من الاسر وكان قد أسر بعكا لما أخذها الفرنج مع من أسر فسار قراقوش مع السلطان الى دمشق ثم سار منها قراقوش الى مصر ثم سار السلطان الى بيروت ووصل الى خدمته بيمند صاحب انطاكية يوم السبت حادى وعشرين شوال فأكرمه السلطان وفارقه غد ذلك اليوم وسار السلطان الى دمشق ودخلها يوم الاربعاء لخمس بقين من شوال وفرح الناس به لان غيبته كانت عنهم مدة أربع سنين وأقام العدل والاحسان بدمشق وأعطى السلطان العساكر الدستور فودعه ولده الملك الظاهر وداعا لالقاء بعده وسار الى حلب وبقى عند السلطان بدمشق ولده الملك الافضل والقاضى الفاضل وكان الملك العادل قد استأذن السلطان وسار من القدس الى الكرك لينظر في مصالحه ثم عاد الملك العادل الى دمشق طالبا البلاد الشرقية التى صارت له بعد تقى الدين فوصل الى دمشق في الحادى والعشرين من ذى القعدة وخرج السلطان الى لقائه (وفي يوم الخميس) السادس والعشرين من شوال من هذه السنة توفي الامير سيف الدين على بن أحمد المشطوب بنابلس وكانت اقطاعه فوقف السلطان ثلث نابلس على مصالح القدس وأقطع الباقى للامير عماد الدين أحمد بن سيف الدين على بن المشطوب وأميرين معه

ذكر وفاة السلطان عز الدين قليج أرسلان صاحب بلاد الروم وأخبار الذين تولوا بعده

(في هذه السنة) أعني سنة ثمان وثمانين وخمسمائة في منتصف شعبان توفي السلطان عز الدين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان يبغو بن سلجوق وكان ملكه في سنة احدى وخمسين وخمسمائة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة وكان له عشرة بنين قد ولى كل واحد منهم قطرا من بلاد الروم وأكبرهم قطب الدين ملكشاه بن قليج أرسلان المذكور وكان قد أعطاه أبوه سيواس فسولت له نفسه القبض على أبيه واخوته والانفراد بالسلطنة وساعده على ذلك صاحب ارزنكان فسار قطب الدين ملكشاه وهجم على والده قليج أرسلان بمدينة قونية وقبض عليه وقال لوالده وهو في قبضته أنا بين يديك انفذ أوامرك ثم انه أشهد على والده بانه قد جعله ولى عهده ثم مضى ملكشاه المذكور الى حرب أخيه نور الدين سلطان شاه صاحب قيسارية ووالده في القبضة معه وهو يظهر ان مايفعله انما هو بأمر والده فخرج عسكر قيسارية لحربه فوجد أبوه عز الدين قليج أرسلان عند اشتغال العسكر بالقتال فرصة فهرب الى ولده سلطان شاه صاحب قيسارية فاكرمه وعظمه كما يجب عليه فرجع قطب الدين ملكشاه الى قونية وخطب لنفسه بالسلطنة وبقى أبوه قليج أرسلان يتردد في بلاده بين أولاده كلما ضجر منه واحد منهم ينتقل الى الآخر حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان صاحب برغلو فقوى أباه قليج أرسلان وأعطاه وجمع له وحشد وسار معه الى قونية فملكها وأخذها من ابنه ملكشاه ثم سار الى أقصرا فاتفق ان عز الدين قليج أرسلان مرض ومات في التاريخ المذكور فأخذه ولده كيخسرو وعاد به الى قونية فدفنه بها واتفق موت ملكشاه بعد موت أبيه قليج أرسلان بقليل فاستقر كيخسرو في ملك قونية واثبت انه ولي عهد أبيه قليج أرسلان ثم ان ركن الدين سليمان أخا غياث الدين كيخسرو قوى على أخيه كيخسرو وأخذ منه قونية فهرب كيخسرو الى الشام مستجيرا بالملك الظاهر صاحب حلب ثم مات ركن الدين سليمان سنة ستمائة وملك بعده ولده قليج أرسلان بن سليمان فرجع غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان الى بلاد الروم وازال ملك قليج أرسلان بن سليمان وملك بلاد الروم جميعها واستقرت له السلطنة ببلاد الروم وبقى كذلك الى ان قتل وملك بعده ابنه عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ثم توفي كيكاوس وملك بعده أخوه السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو وتوفي علاء الدين كيقباذ سنة أربع وثلاثين وستمائة

وملك بعده ولده غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو وكسره التتر سنة احدى وأربعين وستمائة وتضعضع حينئذ ملك السلاطين السلجوقية ببلاد الروم ثم مات غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان ابن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق وانقضى بموت كيخسرو المذكور سلاطين بلاد الروم في الحقيقة لان من صار بعده لم يكن له من السلطنة غير مجرد الاسم وخلف كيخسرو المذكور صبيين هما ركن الدين وعز الدين فملكا معا مدة مديدة ثم انفرد ركن الدين بالسلطنة وهرب أخوه عز الدين الى قسطنطينية وتغلب على ركن الدين معين الدين البرواناه والبلاد في الحقيقة للتتر ثم ان البرواناه قتل ركن الدين وأقام ابنا لركن الدين يخطب له بالسلطنة والحكم للبرواناه وهو نائب التتر على ماسنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر غير ذلك من الحوادث

(في هذه السنة) غزا شهاب الدين الغورى الهند فغنم وقتل مالا يحصى (وفيها) خرج السلطان طغريل بن أرسلان بن طغريل من الحبس بعد قتل قزل أرسلان بن الدكز وكان قزل قد اعتقله حسبما تقدم ذكره في سنة سبع وثمانين وخمسمائة (وفيها) توفي راشد الدين سنان بن سليمان بن محمد وكنيته أبو الحسن صاحب دعوة الاسماعيلية بقلاع الشام وأصله من البصرة (ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة)

ذكر وفاة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف ابن أيوب بن شادي وشئ من أخباره

دخلت هذه السنة والسلطان بدمشق على أكمل مايكون من المسرة وخرج الى شرقى دمشق متصيدا وغاب خمسة عشر يوما وصحبته أخوه الملك العادل ثم عاد الى دمشق وودعه أخوه الملك العادل وداعا لالقاء بعده فمضى الى الكرك وأقام فيه حتى بلغه وفاة السلطان وأقام السلطان بدمشق وركب في يوم الجمعة خامس عشر صفر وتلقى الحجاج وكان عادته أن لا يركب الا وهو لابس كزاغند فركب ذلك اليوم وقد اجتمع بسبب ملتقى الحجاج وركوبه عالم عظيم ولم يلبس الكزاغند ثم ذكره وهو راكب فطلب الكزاغند فلم يجده وقد حملوه معه ولما التقى الحجاج استعبرت عيناه كيف فاته الحج ووصل اليه مع الحجاج ولد أخيه سيف الاسلام صاحب اليمن ثم عاد السلطان بين البساتين الى جهة المنيبع ودخل الى القلعة على الجسر اليها وكانت هذه آخر ركباته فلحقه ليلة السبت سادس عشر صفر كسل عظيم وغشيه نصف الليل حمى صفراوية وأخذ المرض في التزايد وقصده

الاطباء في الرابع فاشتد مرضه وحدث به في التاسع رعشة وغاب ذهنه وامتنع من تناول المشروب واشتد الارجاف في البلد وغشى الناس من الحزن والبكاء عليه مالايمكن حكايته وحقن في العاشر حقنتين فحصل له راحة وتناول من ماء الشعير مقدارا صالحا ثم لحقه عرق كثير حتى نفذ من الفراش واشتد المرض ليلة الثانى عشر من مرضه وهى ليلة السابع والعشرين من صفر وحضر عنده الشيخ أبو جعفر امام الكلاسة ليبيت عنده في القلعة بحيث ان احتضر بالليل ذكره الشهادة وتوفي السلطان في الليلة المذكورة أعنى في الليلة المستقرة عن نهار الاربعاء السابع والعشرين من صفر بعد صلاة الصبح من هذه السنة أعنى سنة تسع وثمانين وخمسمائة وبادر القاضى الفاضل بعد صلاة الصبح فحضر وفاته ووصل القاضى بهاء الدين بن شداد بعد موته وانتقاله الى رحمة الله وكرامته وغسله الفقيه الدولعى خطيب دمشق واخرج بعد صلاة الظهر من نهار الاربعاء المذكور في تابوت مسجى بثوب وجميع مااحتاجوا من الثياب في تكفينه أحضره القاضى الفاضل من جهة حل عرفه وصلى عليه الناس ودفن في قلعة دمشق في الدار التى كان مريضاً فيها وكان نزوله الى جدثه وقت صلاة العصر من النهار المذكور وكان الملك الافضل ابنه قد حلف الناس له قبل وفاة والده عند مااشتد مرضه وجلس للعزاء في القلعة وأرسل الملك الافضل على الكتب بوفاة والده الى أخيه العزيز عثمان بمصر والى أخيه الظاهر غازى بحلب والى عمه الملك العادل أبى بكر بالكرك ثم ان الملك الافضل عمل لوالده تربة قرب الجامع وكانت دارا لرجل صالح ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وخمسمائة ومشى الملك الافضل بين يدى تابوته واخرج من باب القلعة على دار الحديث الى باب البريد وادخل الجامع ووضع قدام الستر وصلى عليه القاضى محيى الدين ابن القاضى زكى الدين ثم دفن وجلس ابنه الملك الافضل في الجامع ثلاثة أيام للعزاء وانفقت ست الشام بنت أيوب أخت السلطان في هذه النوبة أموالا عظيمة وكان مولد السلطان صلاح الدين بتكريت في شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فكان عمره قريبا من سبع وخمسين سنة وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة وملكه الشام قريبا من تسع عشرة سنة وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا وبنتا واحدة وكان أكبر أولاده الملك الافضل نور الدين على بن يوسف ولد بمصر سنة خمس وستين وخمسمائة وكان العزيز عثمان أصغر منه بنحو سنتين وكان الظاهر صاحب حلب أصغر منهما وبقيت البنت حتى تزوجها ابن عمها الملك الكامل صاحب مصر ولم يخلف السلطان صلاح الدين في خزانته غير سبعة وأربعين درهما وحرم واحد صورى وهذا من رجل له الديار المصرية والشام وبلاد الشرق واليمن دليل قاطع على فرط كرمه ولم يخلف دارا ولا عقارا قال العماد

الكاتب حسبت ماأطلقه السلطان في مدة مقامه بمرج عكا من خيل عراب وأكاديش فكان اثنى عشر ألف رأس وذلك غير ماأطلقه من أثمان الخيل المصابة في القتال ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب أو موعود به ولم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى الا في جماعة وكان اذا عزم على أمر توكل على الله ولا يفضل يوما على يوم وكان كثير سماع الحديث النبوى قرأ مختصرا في الفقه تصنيف سلم الدارى وكان حسن الخلق صبورا على مايكره كثير التغافل عن ذنوب أصحابه يسمع من أحدهم مايكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وكان يوما جالساً فرمى بعض المماليك بعضا بسرموزة فاخطأته ووصلت الى السلطان فاخطأته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى ليتغافل عنها وكان طاهر المجلس فلا يذكر أحد في مجلسه أحدا الا بالخير وطاهر اللسان فما يولع بشتم قط قال العماد الكاتب مات بموت السلطان الرجال وفات بوفاته الافضال وغاضت الايادى وفاضت الاعادى وانقطعت الارزاق وادلهمت الآفاق وفجع الزمان بواحده وسلطانه ورزئ الاسلام بمشيد أركانه

ذكر مااستقر عليه الحال بعد وفاة السلطان

لما توفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين استقر في الملك (بدمشق) وبلادها المنسوبة اليها ولده الملك الافضل نور الدين على (وبالديار المصرية) الملك العزيز عماد الدين عثمان (وبحلب) الملك الظاهر غياث الدين غازى (وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية) الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب (وبحماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم) الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر (وببعلبك) الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب (وبحمص والرحبة وتدمر) شيركوه ابن محمد بن شيركوه بن شاذى وبيد الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين بصرى وهو في خدمة أخيه الملك الافضل وبيد جماعة من أمراء الدولة بلاد وحصون منهم سابق الدين عثمان بن الداية بيده (شيزر) وأبو قبيس وناصر الدين بن كورس بن خمارتكين بيده (صهيون وحصن برزية) وبدر الدين دلدرم ابن بهاء الدين ياروق بيده (تل باشر) وعز الدين اسامة بيده (كوكب وعجلون) وعز الدين ابراهيم بن شمس الدين ابن المقدم بيده (بعرين وكفر طاب وفامية) والملك الافضل هو الاكبر من أولاد السلطان والمعهود اليه بالسلطنة واستوزر الملك الافضل ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الاثير مصنف المثل السائر وهو أخو عز الدين ابن الاثير مؤلف التاريخ المسمى بالكامل فحسن للملك الافضل طرد أمراء أبيه ففارقوه الى أخويه العزيز والظاهر قال العماد الكاتب وتفرد الوزير في توزره ومد الجزرى في جزره ولما اجتمعت أكابر الامراء بمصر حسنوا

للملك العزيز الانفراد بالسلطنة ووقعوا في أخيه الافضل فمال الى ذلك وحصلت الوحشة بين الاخوين الافضل والعزيز (وفي هذه السنة) بعد موت السلطان قدم الملك العادل من الكرك الى دمشق وأقام فيها وظيفة العزاء على أخيه ثم توجه الى بلاده التي وراء الفرات

ذكر حركة عز الدين مسعود صاحب الموصل الى البلاد الشرقية التي بيد الملك العادل وعوده وموته

(في هذه السنة) لما مات السلطان صلاح الدين كاتب عز الدين مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل ملوك البلاد المجاورين للموصل يستنجدهم ولذلك اتفق مع أخيه عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار وسار الى جهة حران وغيرها فلحق عز الدين مسعود اسهال قوى وضعف فترك العسكر مع أخيه عماد الدين وعاد الى الموصل وصحبته مجاهد الدين قيماز فحلف العسكر عز الدين لابنه أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر وقوى بعز الدين مسعود المرض وتوفي في السابع والعشرين من شعبان في هذه السنة فكانت مدة مابين وفاته ووفاة السلطان صلاح الدين نصف سنة وكانت مدة ملك عز الدين مسعود للموصل ثلاث عشرة سنة وستة أشهر وكان دينا خيرا كثير الاحسان وكان أسمر مليح الوجه خفيف العارضين يشبه جده عماد الدين زنكي واستقر في ملك الموصل بعده ولده أرسلان شاه وكان القيم بأمره مجاهد الدين قيماز

(ذكر قتل بكتمر صاحب اخلاط)

(في هذه السنة) في أول جمادى الاولى قتل سيف الدين بكتمر صاحب اخلاط وكان بين قتله وبين موت السلطان صلاح الدين شهران ولما بلغ بكتمر موت السلطان صلاح الدين أسرف في اظهار الشماتة بموت السلطان وضرب البشائر ببلاده وفرح فرحا كثيرا وعمل تختا يجلس عليه ولقب نفسه السلطان المعظم صلاح الدين وكان اسمه بكتمر فسمى نفسه الملك العزيز فلم يمهله الله تعالى وكان هذا بكتمر من مماليك ظهير الدين شاهرمن وكان له خشداش اسمه هزار ديناري وكان قد قوى وتزوج ابنة بكتمر وطمع في الملك فوضع على بكتمر من قتله ولما قتل ملك بعده هزار ديناري خلاط وأعمالها واسم هزار ديناري المذكور اقسنقر ولقبه بدر الدين جلبه تاجر جرجاني اسمه على الى خلاط فاشتراه منه شاهرمن سكمان بن ابراهيم واعجب به شاهرمن فجعله ساقيا له ولقبه هزار ديناري وبقي على ذلك برهة من الزمان فلما تولى بكتمر على مملكة خلاط بقي المذكور من أكبر الامراء وتزوج ببنت بكتمر عينا خاتون فلما قتل بكتمر خلف ولدا فأخذ

هزار ديناري المذكور ولد بكتمر وأمه واعتقلهما بقلعة ارزاس بموش وكان عمر ابن بكتمر اذ ذاك نحو سبع سنين واستمر بدر الدين اقسنقر هزار ديناري في مملكة خلاط حتى توفي في سنة أربع وتسعين وخمسمائة حسبما سنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) شق شهاب الدين الغوري في بر شاور وجهز مملوكه أيبك في عساكر كثيرة الى بلاد الهند ففتح وغنم وعاد منصورا مؤيدا (وفيها) توفي سلطان شاه بن أرسلان ابن اطسز بن محمد بن أنوشتكين وكان قد ملك مرو وخراسان ولما مات انفرد أخوه تكش بالمملكة وقد تقدم ذكرهما في سنة ثمان وستين وخمسمائة (وفيها) مات الامير داود ابن عيسى بن محمد بن أبي هاشم أمير مكة وما زالت امارة مكة له تارة ولاخيه مكثر تارة حتى مات (ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة)

(ذكر قتل طغريل وملك خوارزمشاه الري)

كان طغريل بن أرسلان بن طغريل بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي قد حبسه قزل أرسلان بن الدكز وخرج طغريل من الحبس في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وملك همدان وغيرها وجرى حرب بينه وبين مظفر الدين أزبك ابن البهلوان محمد بن الدكز وقيل بل هو قطلغ اينانج أخو أزبك المذكور فانهزم ابن البهلوان ثم ان ابن البهلوان بعد هزيمته استنجد بخوارزم شاه علاء الدين تكش فخاف منه فلم يجتمع بخوارزمشاه فسار خوارزمشاه تكش وملك الري وذلك في سنة ثمان وثمانين وبلغ تكش ان أخاه سلطان شاه قد قصد خوارزم فصالح طغريل السلجوقي وعاد تكش الى خوارزم وبقي الامر كذلك حتى مات سلطان شاه في سنة تسع وثمانين وخمسمائة فتسلم تكش مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه وولى ابنه محمد بن تكش نيسابور وولى ابنه الاكبر ملكشاه ابن تكش مرو ولما دخلت سنة تسعين سار تكش الى حرب طغريل السلجوقي فسار طغريل الى لقائه قبل أن يجمع عساكره والتقى العسكران بالقرب من الري وحمل طغريل بنفسه فقتل وكان قتله في الرابع والعشرين من ربيع الاول من هذه السنة وحمل رأس طغريل الى تكش فأرسله الى بغداد فنصب بها عدة أيام وسار تكش فملك همدان وتلك البلاد جميعها وسلم بعضها الى ابن البهلوان وأقطع بعضها لمماليكه ورجع الى خوارزم وهذا طغريل بن أرسلان شاه بن طغريل بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق هو آخر السلاطين السلجوقية الذين ملكوا بلاد العجم وقد تقدم ذكر ابتداء الدولة السلجوقية في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وأول من ملك منهم العراق وازال دولة بني بوية طغريل بك بن ميكائيل

ابن سلجوق ثم ملك بعده ابن أخيه الب أرسلان بن داود بن ميكائيل ثم ابنه ملكشاه ابن الب أرسلان ثم ابنه محمود بن ملكشاه وكان طفلا فقامت بتدبير المملكة أم محمود تركان خاتون ومات محمود وهو ابن سبع سنين وملك أخوه بركيارق بن ملكشاه ثم أخوه محمد بن ملكشاه ثم ابنه محمود بن محمد المذكور ثم ابنه داود بن محمود بن محمد المذكور مدة يسيرة ثم عمه طغريل بن محمد ثم أخوه مسعود بن محمد ثم ان ابن أخيه ملكشاه بن محمود بن محمد أياما يسيرة ثم أخوه محمد بن محمود ثم بعد محمد المذكور اختلفت العساكر وقام من بنى سلجوق ثلاثة أحدهم ملكشاه بن محمود أخو محمد المذكور والثانى سليمان شاه بن محمد ابن السلطان ملكشاه وهو عم محمد المذكور والثالث أرسلان شاه بن طغريل بن محمد ابن السلطان ملكشاه وكان الدكز متزوجا بأم أرسلان شاه المذكور فقوى عليها سليمان شاه واستقر في همدان في سنة خمس وخمسين وخمسمائة ثم قبض سليمان شاه وقتل وكذلك سم ملكشاه بن محمود المذكور ومات بأصفهان في السنة المذكورة أعنى سنة خمس وخمسين وخمسمائة وانفرد بالسلطنة أرسلان شاه بن طغريل ربيب الدكز ثم ملك بعده ابنه طغريل ابن أرسلان شاه ابن طغريل المذكور في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وجرى له ماذكرناه حتى قتله تكش في هذه السنة أعنى سنة تسعين وخمسمائة وانقرضت به الدولة السلجوقية من تلك البلاد

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

(في هذه السنة) أرسل الخليفة الامام الناصر عسكرا مع وزيره مؤيد الدين محمد بن على المعروف بابن القصاب الى خورستان وهى بلاد شملة وأولاده من بعده وكان قد مات صاحبها ابن شملة فاختلفت أولاده فوصل عسكر الخليفة الى خورستان وملكوا مدينة تستر في المحرم سنة احدى وتسعين وغيرها من البلاد وكذلك ملكوا قلعة الناظر وقلعة كاكرد وقلعة لامرج وغيرها من القلاع والحصون فانفذوا بنى شملة أصحاب بلاد خورستان الى بغداد (وفي هذه السنة) أعنى سنة تسعين استحكمت الوحشة بين الاخوين العزيز والافضل ابنى السلطان صلاح الدين فسار العزيز في عسكر مصر وحصر أخاه الافضل بدمشق فأرسل الافضل الى عمه العادل وأخيه الظاهر وابن عمه الملك المنصور صاحب حماة يستنجدهم فساروا الى دمشق واصلحوا بين الاخوين ورجع العزيز الى مصر ورجع كل ملك الى بلده وأقبل الملك الافضل بدمشق على شرب الخمر وسماع الاغانى والاوتار ليلا ونهارا وأشاع ندماؤه ان عمه الملك العادل حسن له ذلك وكان يعمله بالخفية فأنشده العادل

* فلا خير في اللذات من دونها ستر * فقبل وصية عمه وتظاهر بذلك وفوض أمر المملكة الى وزيره ضياء الدين بن الاثير الجزرى يدبرها برأيه الفاسد ثم ان الملك الافضل أظهر التوبة عن ذلك وازال المنكرات وواظب على الصلوات وشرع في نسخ مصحف بيده (ثم دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة) وفيها سار ابن القصاب وزير الخليفة بعد ملك خورستان الى همدان فملكها وملك غيرها من بلاد العجم وأخذ يستولى على سائر البلاد للخليفة فتوفي مؤيد الدين بن القصاب المذكور في أوائل شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة (وفيها) غزا ملك الغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس وجرى بينهم مصاف عظيم انتصر فيه المسلمون وقتل من الفرنج مالايحصى وولوا منهزمين وغنم المسلمون منهم مالايحصى (وفيها) جهز الخليفة الامام الناصر عسكرا مع مملوك له يقال له سيف الدين طغريل فاستولوا على أصفهان (وفيها) قدم مماليك البهلوان عليهم مملوكا من البهلوانية يقال له كلجا فعظم أمر كلجا واستولى على الرى وهمدان (وفيها) عاود الملك العزيز عثمان صاحب مصر قصد الشام ومنازلة أخيه الملك الافضل فسار ونزل الغوار من أرض السواد من بلاد دمشق فاضطرب بعض عسكر العزيز عليه وهم طائفة من الامراء الاسدية وفارقوه فبادر العزيز العود الى مصر بمن بقى معه من العسكر وكان الملك الافضل قد استنجد بعمه الملك العادل لما قصده أخوه العزيز فلما رحل العزيز عائدا الى مصر رحل الملك الافضل وعمه العادل ومن انضم اليهما من الاسدية وساروا في أثر العزيز طالبين مصر فساروا حتى نزلوا على بلبيس وقد ترك فيها العزيز جماعة من الصلاحية وقصد الملك الافضل مناجزتهم بالقتال فمنعه العادل عن ذلك فقصد الافضل المسير الى مصر والاستيلاء عليها فمنعه عمه العادل أيضاً عن ذلك وقال مصر لك متى شئت وكاتب العادل العزيز في الباطن وأمره بارسال القاضى الفاضل ليصلح بين الاخوان وكان القاضى الفاضل قد اعتزل عن ملابستهم لما رأى من فساد أحوالهم فدخل عليه الملك العزيز وسأله فتوجه القاضى الفاضل من القاهرة الى عند الملك العادل واجتمع به واتفقا على أن يصلحا بين الاخوين فاصلحا بينهما وأقام الملك العادل بمصر عند العزيز ابن أخيه ليقرر أمور مملكته وعاد الافضل الى دمشق (وفيها) كان بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب وبين الفرنج بالاندلس شمالى قرطبة حروب عظيمة انتصر فيها يعقوب وانهزم الفرنج (ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة) فيها سار شهاب الدين الغورى صاحب غزنة الى بلاد الهند وفتح قلعة عظيمة تسمى بهنكر بالامان ثم ساز الى قلعة كوكير وبينهما نحو خمسة أيام فصالحه أهلها على مال حملوه اليه ثم سار في بلاد الهند فغنم وأسر وعاد الى غزنة (وفيها) قتل صدر الدين محمد بن عبد اللطيف بن محمد

الحجندى رئيس الشافعية بأصفهان وهو الذى سلم أصفهان الى عسكر الخليفة قتله سنقر الطويل شحنة للخليفة بسبب منافرة جرت بينهما (وفيها) نقل الملك الافضل أباه السلطان صلاح الدين من قلعة دمشق الى التربة بالمدنية في صفر فكان مدة لبثه بالقلعة ثلاث سنين ولزم الملك الافضل الزهد والقناعة وأموره مفوضة الى وزيره ضياء الدين بن الاثير الجزرى وقد اختلفت الاحوال به وكثر شاكوه وقل شاكروه

(ذكر انتزاع دمشق من الملك الافضل)

لما بلغ الملك العادل في مصر والملك العزيز اضطراب الامور على الملك الافضل اتفق العادل مع العزيز على أن يأخذا دمشق وأن يسلمها العزيز الى العادل لتكون الخطبة والسكة للعزيز بسائر البلاد كما كانت لابيه فخرجا وسارا من مصر فأرسل الافضل اليهما فلك الدين وهو أحد أمرائه وكان فلك الدين أخا الملك العادل لامه واجتمع فلك الدين بالملك العادل فأكرمه واظهر الاجابة الى ماطلبه وأتم العادل والعزيز السير حتى نزلا على دمشق وقد حصنها الملك الافضل فكاتب بعض الامراء من داخل البلد الملك العادل وصاروا معه وانهم يسلمون المدينة اليه فزحف الملك العادل والملك العزيز ضحى يوم الاربعاء السادس والعشرين من رجب من هذه السنة فدخل الملك العزيز من باب الفرج والملك العادل من باب توما فأجاب الملك الافضل الى تسليم القلعة وانتقل منها بأهله وأصحابه واخرج وزيره ضياء الدين بن الاثير مختفيا في صندوق خوفا عليه من القتل وكان الملك الظافر خضر ابن السلطان صلاح الدين صاحب بصرى مع أخيه الافضل ومعاضدا له فأخذت منه بصرى أيضاً فلحق بأخيه الملك الظاهر فأقام عنده بحلب وأعطى الافضل صرخد فسار اليها بأهله واستوطنها ودخل الملك العزيز الى دمشق يوم الاربعاء رابع شعبان ثم سلم دمشق الى عمه الملك العادل على حكم ما كان وقع عليه الاتفاق بينهما وتسلمها الملك العادل ورحل الملك العزيز من دمشق عشية يوم الاثنين تاسع شعبان وكانت مدة ملك الملك الافضل لدمشق ثلاث سنين وشهرا وأبقى الملك العادل السكة والخطبة بدمشق للملك العزيز ولما استقر الملك الافضل بصرخد كتب الى الخليفة الامام الناصر يشكو من عمه العادل أبى بكر وأخيه العزيز عثمان وأول الكتاب

مولاى ان أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حق على
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى ... من الاواخر مالاقى من الاول

فكتب الامام الناصر جوابه

وافى كتابك ياابن يوسف معلنا ... بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن ... بعد النبى له بيثرب ناصر

فاصبر فان غدا عليه حسابهم ... وابشر فناصرك الامام الناصر

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة) في هذه السنة توفي ملكشاه بن تكش بنيسابور وكان أبوه خوارزم شاه تكش قد جعله فيها وجعل له الحكم على تلك البلاد وجعله ولى عهده وخلف ملكشاه ولدا اسمه هندوخان فلما مات ملكشاه جعل تكش فيها عوضه ولده الآخر قطب الدين محمد وهو الذى ملك بعد أبيه وغير لقبه عن قطب الدين وجعله علاء الدين وكان بين الاخوين ملكشاه وقطب الدين عداوة مستحكمة

ذكر وفاة سيف الاسلام

(في هذه السنة) في شوال توفي سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب صاحب اليمن ولما مات سيف الاسلام كان ولده الملك العزيز اسماعيل بالسمرين فبعث اليه جمال الدولة كافور جماعة من الجند فعرفوه بوفاة والده ومضوا به الى ممالك أبيه فسلموها اليه وكانت وفاة سيف الاسلام بزبيد وكان شديد السيرة مضيقا على رعيته يشترى أموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شاء وجمع من الاموال مالا يحصى حتى انه كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدخره (ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة) في هذه السنة في المحرم توفي عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن افسنقر صاحب سنجار والخابور والرقة وكان حسن السيرة متواضعا يحب أهل العلم الا انه كان بخيلا شديد البخل وملك بعده ولده قطب الدين محمد بن زنكى وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برنقش مملوك أبيه (وفيها) في جمادى الاولى سار نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل الى نصيبين فاستولى عليها وأخذها من ابن عمه قطب الدين محمد ابن زنكى فأرسل قطب الدين محمد واستنجد بالملك العادل فسار الملك العادل الى البلاد الجزرية ففارق نور الدين أرسلان شاه نصيبين وعاد الى الموصل فعاد قطب الدين محمد بن زنكى وتسلم نصيبين (وفيها) سار خوارزم شاه تكش الى بخارى وهى للخطا وحاصرها وملكها وكان تكش أعور فأخذ أهل بخارى في مدة الحصار كلبا أعور والبسوه قباء وقالوا للخوارزمية هذا سلطانكم ورموه بالمنجنيق اليهم فلما ملكها خوارزم شاه تكش أحسن الى أهل بخارى وفرق فيهم أموالا ولم يؤاخذهم بما فعلوه في حقه (وفيها) وصل جمع عظيم من الفرنج الى الساحل واستولوا على قلعة بيروت وسار الملك العادل ونزل بتل العجول وأتته النجدة من مصر ووصل اليه سنقر الكبير صاحب القدس وميمون القصرى صاحب نابلس ثم سار الملك العادل الى يافا وهجمها بالسيف وملكها وقتل الرجال المقاتلة وكان هذا الفتح ثالث فتح لها ونازلت الفرنج تبنين فأرسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر فسار الملك العزيز بنفسه بمن بقى عنده من عساكر مصر

واجتمع بعمه الملك العادل على تبنين فرحل الفرنج على اعقابهم الى صور خائبين ثم عاد الملك العزيز الى مصر وترك غالب العسكر مع عمه العادل وجعل اليه أمر الحرب والصلح ومات في هذه المدة سنقر الكبير فجعل الملك العزيز أمر القدس الى صارم الدين قطلق مملوك عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ولما عاد الملك العزيز الى مصر في هذه المدة مدحه القاضي بن سنا الملك بقصيدة منها

قدمت بالسعد وبالمغنم ... كذا قدوم الملك المقدم
قميصك الموروث عن يوسف ... ماجاء الا صادقا في الدم
أغثت تبنين وخلصتها ... فريسة من ماضغي ضيغم
شنشنة تعرف من يوسف ... في النصر لاتعرف من أخزم
مقدمه صار جادى به ... كمثل ذى الحجة ذاموسم

ثم طاول الملك العادل الفرنج فطلبوا الهدنة واستقرت بينهم ثلاث سنين ورجع الملك العادل الى دمشق ثم سار الملك العادل من دمشق الى ماردين وحصرها وصاحبها حينئذ يولق أرسلان بن ايلغازى بن البي بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق وليس ليولق أرسلان من الحكم شئ وانما الحكم الى مملوك والده البقش

(ذكر أخبار ملوك خلاط)

(وفيها) توفي صاحب خلاط بدر الدين (اقسنقر) هزار دينارى وقد تقدم ذكر ملكه لخلاط في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ولما توفي هزار دينارى استولى على خلاط بعده خشداشه (قتلغ) وكان مملوكا أرمنى الاصل من سنا سنة فملك خلاط نحو سبعة أيام ثم اجتمع عليه الناس وأنزلوه من القلعة ثم وثبوا عليه فقتلوه فلما قتل قتلغ اتفق كبراء الدولة فاحضروا (محمد بن بكتمر) من القلعة التى كان معتقلا فيها واسمها ارزاس وأقاموه في مملكة خلاط ولقبوه الملك المنصور وقام بتدبير أمره شجاع الدين قتلغ الدوادار وكان قتلغ المذكور قفجاقى الجنس دوادار الشاهرمن سكمان بن ابراهيم واستقر ابن بكتمر كذلك الى سنة اثنتين وستمائة فقبض على اتابكه قتلغ المذكور وحبسه ثم قتله فخرج عليه مملوك لشاهرمن يقال له عز الدين بلبان واتفق العسكر مع بلبان المذكور وقبضوا على محمد بن بكتمر وحبسوه ثم خنقوه ورموه من سور القلعة الى أسفل وقالوا وقع واستمر (بلبان) في مملكة خلاط دون سنة وقتله بعض أصحاب طغريل بن قليج أرسلانشاه صاحب أرزن وقصد طغريل المذكور أن يتسلم خلاط فلم يجبه أهلها الى ذلك وعصوا عليه فعاد الى أرزن ثم وصل الملك الاوحد أيوب بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وتسلم خلاط وملكها قريب ثمان سنين حسبما نذكر

ذلك في سنة أربع وستمائة ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة)

﴿ ذكر وفاة العزيز صاحب مصر ﴾

(في هذه السنة) في منتصف ليلة السابع والعشرين من المحرم توفي الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان قد طلع الى الصيد فركض خلف ذئب فتقنطر وحم سابع المحرم في جهة الفيوم فعاد الى الاهرام وقد اشتدت حماه ثم توجه الى القاهرة فدخلها يوم عاشوراء وحدث به يرقان وقرحة في المعى واحتبس طبعه فمات في التاريخ المذكور وكانت مدة مملكته ست سنين الا شهرا وكان عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرا وكان في غاية السماحة والكرم والعدل والرفق بالرعية والاحسان اليهم ففجعت الرعية بموته فجعة عظيمة وكان الغالب على دولة الملك العزيز فخر الدين جهاركس فأقام في الملك ولد الملك العزيز الملك المنصور محمد واتفقت الامراء على احضار أحد من بنى أيوب ليقوم بالملك وعملوا مشورة بحضور القاضى الفاضل فأشار بالملك الافضل وهو حينئذ بصرخد فأرسلوا اليه فسار محثا ووصل الى مصر على انه اتابك الملك المنصور بن الملك العزيز وكان عمر الملك المنصور حينئذ تسع سنين وشهورا وكان مسير الملك الافضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر في تسعة عشر نفرا متنكرا خوفا من أصحاب عمه الملك العادل فان غالب تلك البلاد كانت له فوصل بلبيس خامس ربيع الاول ثم سار الملك الافضل الى القاهرة فخرج الملك المنصور بن العزيز للقائه فترجل له عمه الملك الافضل ودخل بين يديه الى دار الوزارة وهى كانت مقر السلطنة ولما وصل الملك الافضل الى بلبيس التقاه العسكر فتنكر منه فخر الدين جهاركس وفارقه وتبعه عدة من العسكر وساروا الى الشام وكاتبوا الملك العادل وهو محاصر ماردين وأرسل الملك الظاهر الى أخيه الملك الافضل يشير عليه بقصد دمشق وأخذها من عمه الملك العادل وان ينتهز الفرصة لاشتغال العادل بحصار ماردين فبرز الملك الافضل من مصر وسار الى دمشق وبلغ الملك العادل مسيره الى دمشق فترك على حصار ماردين ولده الملك الكامل وسار العادل وسبق الافضل ودخل دمشق قبل نزول الافضل عليها بيومين ونزل الملك الافضل على دمشق ثالث عشر شعبان من هذه السنة وزحف من الغد على البلد وجرى بينهم قتال وهجم بعض عسكره المدينة حتى وصل الى باب البريد ولم يمدهم العسكر فتكاثر أصحاب الملك العادل وأخرجوهم من البلد ثم تخاذل العسكر فتأخر الافضل الى ذيل عقبة الكسوة ثم وصل الى الملك الافضل أخوه الظاهر صاحب حلب فعاد الى مضايقة دمشق ودام الحصار عليها وقلت الاقوات عند الملك العادل وعلى أهل البلد وأشرف الافضل والظاهر على

ملك دمشق وعزم العادل على تسليم البلد لولا ماحصل بين الاخوين الافضل والظاهر من الخلف وخرجت السنة وهم على ذلك وكان منهم ماسنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر استيلاء الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماة على بارين

وفي شهر رمضان من هذه السنة قصد الملك المنصور صاحب حماة بارين وبها نواب عز الدين ابراهيم بن شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم وحاصرها وكان عز الدين ابراهيم مع الملك العادل محصورا معه بدمشق ونصب الملك المنصور عليها المجانيق وانجرح الملك المنصور حال الزحف ثم فتحها في التاسع والعشرين من ذى القعدة وأقام ببارين مدة حتى أصلح أمورها

ذكر وفاة يعقوب ملك الغرب

في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى توفي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بمدينة سلا وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية واعرض عن مذهب مالك وعمره ثمان وأربعون سنة وتلقب يعقوب المذكور بالمنصور ولما مات يعقوب ملك بعده ابنه محمد بن يعقوب وتلقب محمد بالناصر ومولد محمد المذكور سنة ست وسبعين وخمسمائة وعبد المؤمن وبنوه جميعهم كانوا يسمون بأمير المؤمنين (وفي هذه السنة) رحل عسكر الملك العادل مع ابنه الملك الكامل عن حصار ماردين

ذكر الفتنة بفيروزكوه

(في هذه السنة) كانت فتنة عظيمة في عسكر غياث الدين ملك الغورية وهو بفيروز كوه وسببها ان الامام فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازى الامام المشهور كان قد قدم الى غياث الدين فبالغ غياث الدين في اكرامه واحترامه وبنى له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فعظم ذلك على الكرامية وهم كثيرون بهراة ومذهبهم التجسيم والتشبيه وكان الغورية كلهم كرامية فكرهوا فخر الدين لانه شافعى وهو يناقض مذهبهم فاتفق ان فقهاء الكرامية والحنفية والشافعية حضروا بفيروزكوه عند غياث الدين للمناظرة وحضر فخر الدين الرازى والقاضى عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة وهو من الكرامية الهيصمية وله عندهم محل كبير لتزهده وعلمه فتكلم الرازى فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال فخر الدين الرازى على ابن القدوة وشتمه وبالغ في أذاه وابن القدوة لا يزيده على أن يقول لا يفعل مولانا الا وأخذ الله فصعب

على الملك ضياء الدين وهو ابن عم غياث الدين وزوج ابنته وشكى الى غياث الدين وذم فخر الدين الرازى ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ اليه غياث الدين فلما كان الغد وعظ الناس ابن عمر بن القدوة بالجامع وقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم * ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين * أيها الناس انا لا نقول الا ماصح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما علم أرسطو وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابى فلا نعلمها فلأى حال يشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام يذب عن دين الله وسنة نبيه وبكى وبكى الكرامية واستغاثوا وثار الناس من كل جانب وامتلأ البلد فتنة فبلغ ذلك السلطان فأرسل جماعة سكنوا الناس ووعدهم اخراج فخر الدين الرازى من عندهم وتقدم عليه بالعود الى هراة فعاد اليها (وفي هذه السنة) في ربيع الاول توفي مجاهد الدين قيماز بقلعة الموصل وهو الحاكم في دولة زور الدين أرسلان صاحب الموصل وقيماز المذكور هو الذى كان حاكما على مسعود والد أرسلان حتى قبض عليه مسعود ثم أخرجه بعد مدة وكان قيماز عاقلا أديبا فاضلا في الفقه على مذهب أبى حنيفة وبنى عدة جوامع وربط ومدارس (وفيها) فارق غياث الدين ملك الغورية مذهب الكرامية وصار شافعى المذهب (وفيها) توفي محمد بن عبد الملك بن زهر الاندلسى الاشبيلى وكان فاضلا في الادب وكان طبيبا وكان جده زهر وزيرا وفيلسوفا وتوفي زهر المذكور في سنة خمس وعشرين وخمسمائة بقرطبة وزهر بضم الزاى المعجمة وسكون الهاء وقد قيل في ابن زهر

قل للوبا أنت وابن زهر ... قد جزتما الحد في النكايه
ترفقا بالورى قليلا ... في واحد منكما كفايه

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة) والملكان الافضل والظاهر محاصران لمدينة دمشق واتفق وقوع الخلف بين الاخوين الافضل والظاهر وسببه انه كان للملك الظاهر مملوك يحبه اسمه أيبك ففقد ووجد عليه الملك الظاهر وجدا عظيما وتوهم انه دخل دمشق فأرسل من تكشف خبره واطلع الملك العادل وهو محصور على القضية فأرسل الى الظاهر يقول له ان محمود بن الشكرى أفسد مملوكك وحمله الى الافضل أخيك فقبض الظاهر على ابن الشكرى فظهر المملوك عنده فتغير الظاهر على أخيه الافضل وترك قتال العادل وظهر الفشل في العسكر فتأخر الافضل والظاهر عن دمشق وأقاما بمرج الصفر الى أواخر صفر ثم سارا الى رأس الماء ليقيما به الى ان ينسلخ الشتاء ثم انثنى عزمهما وسار الافضل الى مصر والظاهر الى حلب على القريتين ولما تفرقا خرج الملك العادل من دمشق وسار في أثر الافضل الى مصر ولما وصل الافضل الى مصر

تفرقت عساكره في بلادهم لاجل الربيع فأدركه عمه العادل فخرج الافضل بمن بقى عنده من العسكر وضرب معه مصافا بالسايح فانكسر الافضل وانهزم الى القاهرة ونازل العادل القاهرة ثمانية أيام فأجاب الافضل الى تسليمها على أن يعوض عنها ميا فارقين وحانى وسميساط فأجابه العادل الى ذلك ولم يف له به وكان دخول العادل الى القاهرة في الحادى والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة وقال ابن الاثير كان دخول العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر فيها وتوفي القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى في سابع عشر ربيع الآخر وقيل ان مولد القاضى الفاضل سنة ست وعشرين وخمسمائة فكان عمره نحو سبعين سنة ثم سافر الملك الافضل الى صرخد وأقام العادل بمصر على انه اتابك الملك المنصور محمد ابن العزيز عثمان مدة يسيرة ثم أزال الملك المنصور محمد المذكور واستقل العادل في السلطنة ولما استقرت المملكة للملك العادل أرسل اليه الملك المنصور صاحب حماة يعتذر اليه مما وقع منه بسبب أخذه بعرين من ابن المقدم فقبل الملك العادل عذره وأمره برد بعرين الى ابن المقدم فاعتذر الملك المنصور عنها بقربها من حماة ونزل على منبج وقلعة نجم لابن المقدم عوضا عن بعرين فرضى ابن المقدم بذلك لانهما خير من بعرين بكثير وتسلمهما عز الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم وكان له أيضاً فامية وكفر طاب وخمس وعشرون ضيعة من المعرة وكذلك كاتب الملك الظاهر صاحب حلب عمه الملك العادل وصالحه وخطب له بحلب وبلادها وضرب السكة باسمه واشترط الملك العادل على صاحب حلب أن يكون خمسمائة فارس من خيار عسكر حلب في خدمة الملك العادل كلما خرج الى البيكار والتزم صاحب حلب بذلك وقصر النيل في هذه السنة تقصيرا عظيما حتى انه لم يبلغ أربعة عشر ذراعا

ذكر وفاة خوارزم شاه

(في هذه السنة) في العشرين من رمضان توفي خوارزم شاه تكش بن أرسلان بن اطسز بن محمد بن أنوش تكين صاحب خوارزم وبعض خراسان والرى وغيرها من البلاد الجبلية بشهرستانه وولى الملك بعده ابنه محمد بن تكش وكان لقب محمد قطب الدين فغيره الى علاء الدين وكان تكش عادلا حسن السيرة يعرف الفقه على مذهب أبى حنيفة والاصول ولما بلغ غياث الدين ملك الغورية موت خوارزم شاه ترك ضرب نوبته ثلاثة أيام وجلس للعزاء مع ما كان بينهما من العداوة المستحكمة وهذا خلاف مافعله بكتمر من الشماتة بالسلطان صلاح الدين ولما استقر محمد بن تكش في المملكة هرب ابن أخيه هندوخان بن ملكشاه بن تكش الى غياث الدين ملك الغورية يستنصره على

عمه فأكرمه غياث الدين ووعده النصر (ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة) لما دخلت هذه السنة كان بالديار المصرية الملك العادل وعنده ابنه الملك الكامل محمد وهو نائبه بها وبحلب الملك الظاهر وهو مجد فى تحصين حلب خوفا من عمه الملك العادل وبدمشق الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل نائب أبيه بها وبالشرق الملك ابراهيم ابن الملك العادل وبميا فارقين الملك الاوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل (وفي هذه السنة) توفي عز الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم وصارت البلاد بعده وهى منبج وقلعة نجم وفامية وكفر طاب لاخيه شمس الدين عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن المقدم ولما استقر شمس الدين عبد الملك بمنبج سار اليها الملك الظاهر صاحب حلب وحصرها وملك منبج وعصى عبد الملك بن المقدم بالقلعة فحصره ونزل عبد الملك بالامان فاعتقله الملك الظاهر وملك قلعة منبج وبعد ان فرغ من منبج سار الى قلعة نجم وبها نائب ابن المقدم فحصرها وملكها في آخر رجب من هذه السنة وأرسل الملك الظاهر الى الملك المنصور صاحب حماة يبذل له منبج وقلعة نجم على أن يصير معه على الملك العادل فاعتذر صاحب حماة باليمين التى في عنقه للملك العادل فلما أيس الملك الظاهر منه سار الى المعرة وأقطع بلادها واستولى على كفر طاب وكانت لابن المقدم ثم سار الى فامية وبها قراقوش نائب ابن المقدم وأرسل الملك الظاهر أحضر عبد الملك بن المقدم من حلب وكان معتقلا بها وأحضر معه أصحابه الذين اعتقلهم وضربهم قدام قراقوش ليسلم فامية فامتنع قراقوش فأمر الملك الظاهر بضرب عبد الملك بن المقدم فضرب ضربا شديدا وبقى يستغيث فأمر قراقوش فضربت النقارات على قلعة فامية لئلا يسمع أهل البلد صراخه ولم يسلم القلعة فرحل عنها الملك الظاهر وتوجه الى حماة وحاصرها لثلاث بقين من شعبان من هذه السنة ونزل شمالى البلد وشعث التربة التقوية وبعض البساتين وزحف من جهة الباب الغربى وقاتل قتالا شديدا ثم زحف في آخر شعبان من الباب الغربى والباب القبلى وباب العميان وجرى فيه قتال شديد وخرج الملك الظاهر بسهم في ساقه واستمرت الحرب الى أيام من رمضان فلما لم يحصل على غرض صالح الملك المنصور على مال يحمله اليه قيل انه ثلاثون ألف دينار صورية ثم رحل الملك الظاهر الى دمشق وبها الملك المعظم ابن الملك العادل فنازلها الملك الظاهر هو وأخوه الملك الافضل وانضم اليهما فارس الدين ميمون القصرى صاحب نابلس ومن وافقه من الامراء الصلاحية واستقرت القاعدة بين الاخوين الافضل والظاهر انهما متى ملكا دمشق يتسلمها الملك الافضل ثم يسيران ويأخذان مصر من الملك العادل ويتسلمها الملك الافضل وتسلم دمشق حينئذ الى الملك الظاهر صاحب حلب بحيث تبقى مصر

للملك الافضل ويصير الشام جميعه للملك الظاهر وكان قد تخاف من أكابر الامراء الصلاحية عنهما فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجا فأرسل الملك الافضل وسلم صرخد الى زين الدين قراجا ونقل الملك الافضل والدته وأهله الى حمص عند شيركوه وبلغ الملك العادل حصار الاخوين دمشق فخرج بعساكر مصر وأقام بنابلس ولم يجسر على قتالهما واشتدت مضايقة الملكين الافضل والظاهر لدمشق وتعلق النقابون بسورها فلما شاهد الملك الظاهر صاحب حلب ذلك حسد أخاه الملك الافضل على دمشق وقال له أريد أن تسلم الى دمشق الآن فقال له الافضل ان حريمي حريمك وهم على الارض وليس لنا موضع نقيم فيه وهب هذه البلد لك فاجعله لى الى حين تملك مصر وتأخذه فامتنع الظاهر من قبول ذلك وكان قتال العسكر والامراء الصلاحية انما كان لاجل الافضل فقال لهم الافضل ان كان قتالكم لاجلى فاتركوا القتال وصالحوا الملك العادل وان كان قتالكم لاجل أخي الملك الظاهر فأنتم واياه فقالوا انما قتالنا لاجلك وتخلوا عن القتال وأرسلوا وصالحوا الملك العادل وخرجت السنة وهم محاصرون دمشق وقد تفرقت العساكر فرحل الملك الظاهر عن دمشق في أول المحرم سنة ثمان وتسعين وسار الافضل الى حمص (وفي هذه السنة) أعنى سنة سبع وتسعين توفي عماد الدين الكاتب محمد بن عبد الله بن حامد الاصفهانى وكان فاضلا في الفقه والادب والخلاف والتاريخ وله النظم البديع والنثر الفائق وكتب لنور الدين ولصلاح الدين وله التصانيف الحسنة منها البرق الشامى وخريدة القصر وكان مولده سنة تسع عشرة وخمسمائة وكان عمره نيفا وسبعين سنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) سار الملك غياث الدين ملك الغورية بعساكره وأرسل استدعى أخاه شهاب الدين من غزنة فلحقه بعساكره أيضاً وسار غياث الدين الى خراسان واستولى على ماكان لخوارزم شاه بخراسان ولما ملك غياث الدين مرو سلمها الى هندوخان بن ملكشاه بن خوارزمشاه تكش الذى كان هرب من عمه محمد الى غياث الدين ثم استولى غياث الدين على سرخس وطوس ونيسابور وغيرها ولما استقرت هذه البلاد لغياث الدين عاد الى بلاده وتوجه أخوه شهاب الدين الى بلاد الهند ففتح وفتح نهروالة وهى من أعظم بلاد الهند (وفي هذه السنة) في رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان مدينة ملطية وكانت لاخيه معز الدين قيصرشاه بن قليج أرسلان ثم سار ركن الدين الى أرزن الروم وكانت للملك محمد بن سليق وهو من بيت قديم ملكوا أرزن الروم من مدة طويلة فطلع صاحب أرزن الروم المذكور ليصالح ركن الدين فقبض عليه

واخذ

وأخذ البلد منه وكان هذا محمد آخر الملوك من أهل بيته (وفيها) توفي سقمان بن محمد ابن قرا أرسلان بن داود بن سقمان ابن ارتق صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بحصن كيفا فمات وكان له أخ اسمه محمود بن محمد وكان سقمان يبغضه فابعده الى حصن منصور وكان قد جعل سقمان ولى عهده مملوكه اياس وكان يحبه حبا شديدا وأوصى له بالملك بعده فلما مات سقمان استولى اياس على البلاد فلم ينتظم له حال وكاتبوا أخاه محمودا فحضر وملك بلاد أخيه سقمان (وفيها) كان بمصر غلاء شديد بسبب نقص النيل (وفيها) كان بالجزيرة والشام والسواحل زلزلة عظيمة فهدمت مدنا كثيرة (وفيها) في رمضان توفي أبوالفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى الحنبلى الواعظ المشهور وتصانيفه مشهورة وكان كثير الوقيعة في العلماء وكان مولده سنة عشر وخمسمائة (ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة) في هذه السنة بعد رحيل الملك الافضل والظاهر عن دمشق كما ذكرنا قدم اليها الملك العادل وكان قد سار ميمون القصرى مع الملك الظاهر فاقطعه اعزاز (وفيها) خرب الملك الظاهر قلعة منبج خوفا من انتزاعها منه وأقطع منبج بعد ذلك عماد الدين أحمد بن سيف الدين على بن أحمد المشطوب (وفيها) أرسل قراقوش نائب عبدالملك بن محمد بن عبدالملك بن المقدم بقامية الى الملك الظاهر يبذل له تسليم قامية بشرط أن يعطى شمس الدين عبدالملك بن المقدم اقطاعا يرضاه فاقطعه الملك الظاهر الراوندان وكفر طاب ومفردة المعرة وهو عشرون ضيعة معينة من بلاد المعرة وتسلم قامية ثم ان عبد الملك بن المقدم عصى بالراوندان فسار اليه الملك الظاهر واستنزله منها وابعده فلحق ابن المقدم بالملك العادل فأحسن اليه (وفيها) سار الملك العادل من دمشق ووصل الى حماة ونزل على تل صفرون وقام الملك المنصور صاحب حماة بجميع وظائفه وكلفه وبلغ الظاهر صاحب حلب وصول عمه العادل الى حماة بنية قصده ومحاصرته بحلب فاستعد للحصار بحلب وراسل عمه ولاطفه وأهدى اليه ووقعت بينهما مراسلات ووقع الصلح وانتزعت منه مفردة المعرة واستقرت للملك المنصور صاحب حماة وأخذت من الملك الظاهر أيضاً قلعة نجم وسلمت الى الملك الافضل وكان له سروج وسميساط وسلم الملك العادل حران ومامعها لولده الملك الاشرف مظفر الدين موسى وسيره الى الشرق وكان بميافارقين الملك الاوحد ابن الملك العادل وبقلعة جعبر الملك الحافظ نورالدين أرسلان شاه ابن الملك العادل ولما استقر الصلح بين الملك العادل والظاهر رجع الملك العادل الى دمشق وأقام بها وقد انتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها في سلك ملكه وخطب له على منابرها وضربت السكة فيها باسمه

ذكر غير ذلك

(في هذه السنة) عاد خوارزم شاه محمد بن تكش واسترجع البلاد التى أخذها الغورية من خراسان الى ملكه (وفيها) توفي هبة الله بن على بن مسعود بن ثابت المنستيرى بضم الميم وفتح النون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ومنستير بليدة بأفريقية وكان هبة الله المذكور عالى الاسناد ولم يكن في عصره من هو في درجته سمع ابراهيم بن حاتم الاسدى وسمع جماعة من الاكابر وسمع الناس على هبة الله المذكور وسافروا اليه من البلاد لعلو اسناده وكان جده مسعود قد قدم من منستير الى بوصير فعرف هبة الله المذكور بالبوصيرى وكانت ولادته سنة ست وخمسمائة (ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة) والملك العادل مقيم بدمشق (وفيها) في المحرم توفي فلك الدين سلطان أخو الملك العادل لامه وهو الذى تنسب اليه المدرسة الفلكية بدمشق

ذكر الحوادث باليمن

كان قد تملك اليمن الملك المعز اسمعيل بن سيف الاسلام بن طغتكين بن أيوب وكان فيه هوج وخبط فادعى انه قرشى وانه من بنى أمية ولبس الخضرة وخطب بنفسه ولبس ثياب الخلافة في ذلك الزمان وكان طول الكم نحو عشرين شبرا وخرج عن طاعته جماعة من مماليك أبيه واقتتلوا معه وانتصر عليهم ثم اتفق معهم جماعة من الامراء الاكراد وقتلوا المعز اسمعيل وأقاموا في مملكة اليمن أخا له صغيرا وسموه الناصر وبقى مدة وأقام اتابكيته مملوك والده وهو سيف الدين سنقر ثم مات سنقر بعد أربع سنين وتزوج أم الناصر أمير من أمراء الدولة يقال له غازى بن جبريل وقام باتابكية الناصر ثم سم الناصر في كوز فقاع على ماقيل وبقى غازى متملكا للبلاد ثم قتله جماعة من العرب بسبب قتله للناصر ابن طغتكين وبقيت اليمن خالية بغير سلطان فتغلبت أم الناصر المذكور على زبيد وأحرزت عندها الاموال وكانت تنتظر وصول أحد من بنى أيوب لتتزوج به وتملكه البلاد وكان للملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ولد اسمه سعد الدين شاهنشاه وكان له ابن اسمه سليمان فخرج سليمان بن شاهنشاه بن عمر فقيرا يحمل الركوة على كتفه ويتنقل مع الفقراء من مكان الى مكان وكان قد أرسلت أم الناصر بعض غلمانها الى مكة حرسها الله تعالى في موسم الحاج ليأتيها بأخبار مصر والشام فوجد غلمانها سليمان المذكور فاحضروه الى اليمن فاستحضرته أم الناصر وخلعت عليه وملكته اليمن فملأ اليمن ظلما وجورا واطرح زوجته التى ملكته البلاد واعرض عنها وكتب الى السلطان الملك العادل وهو عم جده كتابا جعل في أوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم

فاستقل الملك العادل عقله ثم كان من سليمان المذكور ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفي هذه السنة) أرسل السلطان الملك العادل الى ولده الملك الاشرف وأمره بحصار ماردين فحصرها وضايقها ثم سعى الملك الظاهر الى الملك العادل في الصلح فأجاب الى أن يحمل اليه صاحب ماردين مائة ألف وخمسين ألف دينار ويخطب له ببلاده ويضرب السكة باسمه ويكون بخدمته متى طلبه فأجيب الى ذلك واستقر الصلح عليه (وفيها) أخرج الملك العادل الملك المنصور محمد بن العزيز من مصر الى الشام فسار بوالدته واخوته وأقام بحلب عند عمه الملك الظاهر (وفيها) سار الملك المنصور صاحب حماة الى بعرين مرابطا للفرنج وأقام بها وكتب الملك العادل الى صاحب بعلبك والى صاحب حمص بانجاده فانجداه واجتمعت الفرنج من حصن الاكراد وطرابلس وغيرها وقصدوا الملك المنصور ببعرين واتقعوا معه في ثالث شهر رمضان من هذه السنة واقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل وأسر من خيلهم جماعة وكان يوما مشهودا وفي ذلك يقول بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجارى قصيدة من جملتها

مالذة العيش الاصوت مصمعة ... ينال فيها المنى بالبيض والاسل
ياأيها الملك المنصور نصح فتى ... لم يلوه عن وفاء كثرة العذل
أعزم ولا تترك الدنيا بلا ملك ... وجد فالملك محتاج الى رجل
ياأوحد العصر ياخير الملوك ومن ... فاق البرية من حاف ومنتعل

ثم خرج من حصن الاكراد والمرقب الاسبتار وانضم اليهم جموع من السواحل واتقعوا مع الملك المنصور صاحب حماه وهو نازل ببعرين في الحادى والعشرين من شهر رمضان من هذه السنة بعد الوقعة الاولى بثمانية عشر يوما فانتصر ثانياً وانهزمت الفرنج هزيمة شنيعة وأسر الملك المنصور وقتل منهم عدة كثيرة ومدح الملك المنصور بسبب هذه الوقعة سالم بن سعادة الحمصى بقصيدة منها

أمر اللواحظ أن تفوق أسهما ... ريم برامة مارنا حتى رمى
فتانة بالسحر بل فتاكة ... ماجار قاضيهن حين تحكما

ومنها

أصبحت فيها مغرما كمحمد ... لما غدا بالاريحية مغرما

ومنها

وشننت منتقما بساحل بحرها ... جيشا حكى البحر الخضم عرمرما
أسدلت في الآفاق من هبواته ... ليلا واطلعت الاسنة أنجما

(وفي هذه السنة) ولد الملك المظفر تقى الدين محمود ابن الملك المنصور محمد صاحب

حماة من ملكة خاتون بنت السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب وسمي عمر وانما سمي محمودا بعد ذلك وكانت ولادته بقلعة حماة ظهر يوم الثلاثاء رابع عشر رمضان من هذه السنة (وفي هذه السنة) أرسل الملك العادل وانتزع ما كان بيد الملك الافضل وهي رأس عين وسروج وقلعة نجم ولم يترك بيده غير سميساط فقط فأرسل الملك الافضل والدته فدخلت على الملك المنصور صاحب حماة ليرسل معها من يشفع في الملك الافضل عند الملك العادل في ابقاء ما كان بيده وتوجهت أم الملك الافضل وتوجه معها من حماة القاضي زين الدين ابن الهندي الى الملك العادل فلم يجبها الملك العادل ورجعت خائبة قال عز الدين بن الاثير مؤلف الكامل وقد عوقب البيت الصلاحي بمثل مافعله والدهم السلطان صلاح الدين لما خرجت اليه نساء بيت الاتابك ومن جملتهن بنت نور الدين الشهيد يشفعن في ابقاء الموصل على عز الدين مسعود فردهن ولم يجب الى سؤالهن ثم ندم رحمه الله تعالى على ردهن فجرى للملك الافضل ابن السلطان صلاح الدين مع عمه مثل ذلك ولما جرى ذلك أقام الملك الافضل بسميساط وقطع خطبة عمه الملك العادل وخطب للسلطان ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان بن مسعود السلجوقي صاحب بلاد الروم

(ذكر وفاة غياث الدين ملك الغورية)

(في هذه السنة) في جمادى الاولى توفي غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام بن الحسين الغوري صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها وكان أخوه شهاب الدين بطوس عازما على قصد خوارزم وخلف غياث الدين من الولد ابنا اسمه محمود ولقب غياث الدين بلقب والده ولم يحسن شهاب الدين الخلافة على ابن أخيه ولا على غيره من أهله وكان لغياث الدين زوجة يحبها وكانت مغنية فقبض عليها شهاب الدين بعد موت أخيه غياث الدين وضربها ضربا مبرحا وأخذ أموالها وكان غياث الدين مظفرا منصورا لم تهزم له راية قط وكان له دهاء ومكر وكان حسن الاعتقاد كثير الصدقات وكان فيه فضل غزير وأدب مع حسن خط وبلاغة وكان ينسخ المصاحف بخطه ويوقفها في المدارس التي بناها وكان على مذهب الكرامية ثم تركه وصار شافعيا

(ذكر غير ذلك)

(وفي هذه السنة) استولى الكرج على مدينة دوين من أذربيجان ونهبوها وقتلوا أهلها وكانت هي وجميع أذربيجان للامير أبي بكر بن البهلوان وكان مشغولا ليلا ونهارا بشرب الخمر ولا يلتفت الى تدبير مملكته ووبخه أمراؤه ونوابه على ذلك فلم يلتفت (وفيها) توفيت زمرد أم الخليفة الامام الناصر وكانت كثيرة المعروف (ثم دخلت سنة ستمائة)

والملك العادل بدمشق (وفيها) كانت الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة وبين الفرنج (وفيها) نازل ابن لاوون ملك الارمن انطاكية فتحرك الملك الظاهر صاحب حلب ووصل الى حارم فرحل ابن لاوون عن انطاكية على عقبه (وفيها) خطب قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار للملك العادل ببلاده وانتمى اليه فصعب على ابن عمه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود وقصد نصيبين وهي لقطب الدين واستولى على مدينتها فاستنجد قطب الدين بالملك الاشرف بن العادل فسار اليه واجتمع معه أخوه الملك الاوحد صاحب ميافارقين والتقى الفريقان بقرية يقال لها بوشرة فانهزم نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل هزيمة قبيحة ودخل الى الموصل وليس معه غير أربعة أنفس وكانت هذه الواقعة أول ماعرفت من سعادة الملك الاشرف ابن العادل فانه لم ينهزم له راية بعد ذلك واستقرت بلاد قطب الدين محمد بن زنكي عليه ووقع الصلح بينهم في أول سنة احدى وستمائة (وفيها) اجتمع الفرنج لقصد بيت المقدس فخرج السلطان الملك العادل من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور في قبالة الفرنج ودام ذلك الى آخر السنة (وفيها) استولت الفرنج على قسطنطينية وكانت قسطنطينية بيد الروم من قديم الزمان فلما كانت هذه السنة اجتمعت الفرنج وقصدتها في جموع عظيمة وحاصروها فملكوها وازالوا يد الروم عنها ولم تزل بأيدي الفرنج الى سنة ستين وستمائة فقصدتها الروم واستعادوها من الفرنج (وفيها) توفي السلطان ركن الدين سليمان ابن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان ابن سليمان بن قطلومش بن يبغو أرسلان ابن سلجوق سلطان بلاد الروم في سادس ذي القعدة حسبما قدمنا ذكره في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان مرضه بالقولنج وكان قبل مرضه بخمسة أيام قد غدر بأخيه صاحب انكورية وهي أنقرة وكان ركن الدين المذكور يميل الى مذهب الفلاسفة ويحسن الى طائفتهم ويقدمهم ولما مات ركن الدين ملك ولده قليج أرسلان بن سليمان وكان صغيرا فلم يستتبت أمره وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) كان بين خوارزم شاه محمد بن تكش وبين شهاب الدين ملك الغورية قتال انتصر فيه ملك الغورية واستنجد خوارزم شاه بالخطا فساروا واتفقوا مع شهاب الدين ملك الغورية فهزموه وشاع ببلاده ان شهاب الدين قتل فاختلفت مملكته وكثر المفسدون ثم انه ظهر ووصل الى غزنة واستقر في ملكه وتراجعت الامور الى ما كانت عليه (وفيها) قتل كلجا مملوك البهلوان وكان قد ملك الري وهمدان وبلاد الجبل قتله خشداشه أيدغمش مملوك البهلوان وتملك موضعه وأقام أيدغمش ابن أستاذه أزبك بن البهلوان في الملك وليس لازبك غير الاسم والحكم لايدغمش (وفيها) استولى انسان اسمه محمود بن محمد الحميري

على طفار ومرباط وغيرهما من حضرموت (وفيها) خرج أسطول للفرنج فاستولوا على مدينة فوه من الديار المصرية فنهبوها خمسة أيام (وفيها) كانت زلزلة عظيمة عمت مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس والعراق وغيرها وخربت سور مدينة صور (ثم دخلت سنة احدى وستمائة) في هذه السنة كانت الهدنة بين الملك العادل والفرنج وسلم الى الفرنج يافا ونزل عن مناصفات لد والرملة ولما استقرت الهدنة أعطى العساكر دستورا وسار العادل الى مصر وأقام بدار الوزارة (وفيها) أغارت الفرنج على حماة ووصلوا الى قرب حماة الى قرية الرفيطا وامتلأت أيديهم من المكاسب وأسروا من أهل حماة شهاب الدين بن البلاعى وكان فقيها شجاعا تولى بر حماة مرة وسلمية أخرى وحمل الى طرابلس فهرب وتعلق بجبال بعلبك ووصل الى أهله بحماة سالما ثم وقعت الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة وبين الفرنج (وفيها) بعد الهدنة توجه الملك المنصور صاحب حماة الى مصر وكان عنده استشعار من السلطان الملك العادل فلما وصل اليه بالقاهرة أحسن اليه احسانا كثيرا وأقام في خدمته شهورا ثم خلع عليه وعلى أصحابه وعاد الى حماة (وفيها) ملك السلطان غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان بلاد الروم وكان لما تغلب أخوه ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان على البلاد قد هرب كيخسرو المذكور الى الملك الظاهر صاحب حلب ثم تركه وسار الى قسطنطينية فأحسن اليه صاحبها وأقام بالقسطنطينية الى ان مات أخوه ركن الدين سليمان وتولى ابنه قليج أرسلان فسار كيخسرو من قسطنطينية وازال أمر ابن أخيه وملك بلاد الروم واستقر أمره (وفيها) كانت الحرب بين الامير قتادة الحسيني أمير مكة وبين الامير سالم بن قاسم الحسيني أمير المدينة وكانت الحرب بينهما سجالا (ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة) والملك العادل بالديار المصرية والممالك بحالها

(ذكر قتل ملك الغورية شهاب الدين)

(في هذه السنة) أول ليلة من شعبان قتل شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام بن الحسين الغورى ملك غزنة وبعض خراسان بعد عوده من لهاوور بمنزل يقال له دمبل قبل صلاة العشاء وثب عليه جماعة وهو بخركاته وقد تفرق الناس عنه لاماكنهم فقتلوه بالسكاكين قيل انهم من الكوكر وهم طائفة من أهل الجبال مفسدون كان شهاب الدين قد فتك فيهم وقيل انهم من الاسماعيلية فان شهاب الدين أيضاً كان كثير الفتك فيهم واجتمع حرس شهاب الدين فقتلوا أولئك الذين قتلوا شهاب الدين عن آخرهم وكان شهاب الدين شجاعا كثير الغزو عادلا في الرعية وكان الامام فخر الدين الرازى يعظه في داره فحضر يوما ووعظه وقال في آخر كلامه ياسلطان لاسلطانك يبقى ولا تلبيس الرازى

فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس ولما قتل شهاب الدين كان صاحب باميان بهاء الدين سام بن شمس الدين محمد بن مسعود عم غياث الدين وشهاب الدين المذكور فسار بهاء الدين سام ليتملك غزنة ومعه ولداه علاء الدين محمد وجلال الدين ابنا سام بن محمد بن مسعود بن الحسيني فأدركت بهاء الدين سام الوفاة قبل أن يصل الى غزنة وعهد بالملك الى ابنه علاء الدين محمد فأتم علاء الدين وأخوه جلال الدين السير الى غزنة ودخلاها وتملكها علاء الدين وكان لغياث الدين ملك الغورية مملوك يقال له تاج الدين يلدز وكانت كرمان اقطاعه وهو كبير في الدولة ومرجع الاتراك اليه فسار يلدز الى غزنة وهزم عنها علاء الدين محمد بن بهاء الدين سام وأخاه جلال الدين واستولى يلدز على غزنة ثم ان علاء الدين وجلال الدين ولدى بهاء الدين سام سارا الى باميان وجمعا العساكر وعادا الى غزنة فقاتلهما يلدز فانتصرا عليه وانهزم يلدز الى كرمان واستقر علاء الدين محمد بن بهاء الدين سام ومعه بعض العسكر في ملك غزنة وعاد أخوه جلال الدين في باقي العسكر الى باميان ثم ان يلدز لما بلغه مسير جلال الدين في باقي العسكر الى باميان وتأخر علاء الدين بغزنة جمع العساكر من كرمان وغيرها وسار الى غزنة وبلغ علاء الدين محمد ابن بهاء الدين سام ذلك فأرسل الى أخيه جلال الدين وهو بباميان يستنجده وسار يلدز وحصر علاء الدين بغزنة وسار جلال الدين فلما قارب غزنة رحل يلدز الى طريقه واقتتلا فانهزم عسكر جلال الدين وأخذه يلدز أسيرا فأكرمه يلدز واحترمه وعاد الى غزنة فحصر علاء الدين بها وكان عنده بغزنة هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش فاستنزلهما يلدز بالامان ثم قبض على علاء الدين وعلى هندوخان وتسلم غزنة وأما غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية فانه لما قتل عمه شهاب الدين كان ببست فسار الى فيروزكوه وتملكها وجلس في دست أبيه غياث الدين وتلقب بالقابه وفرح به أهل فيروزكوه وسلك طريقة أبيه في الاحسان والعدل ولما استقل يلدز بغزنة وأسر جلال الدين وعلاء الدين ابنى سام كتب الى غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ابن سام بن الحسين بالفتح وأرسل اليه الاعلام وبعض الاسرى

﴿ذكر غير ذلك﴾

(في هذه السنة) توفي الامير مجير الدين طاشتكين أمير الحاج وكان قد ولاه الخليفة على جميع خورستان وكان خيرا صالحا وكان يتشيع (وفيها) تزوج أبو بكر بن البهلوان بابنة ملك الكرج وذلك لاشتغاله بالشرب عن تدبير المملكة فعدل الى المصاهرة والهدنة فكف الكرج عنه (ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة) في هذه السنة سار الملك العادل من مصر الى الشام ونازل في طريقه عكا فصالحه أهلها على اطلاق جمع من الاسرى ثم

وصل الى دمشق ثم سار منها ونزل بظاهر حمص على بحيرة قدس واستدعى بالعساكر فاتته من كل جهة وأقام على البحيرة حتى خرج رمضان ثم سار ونازل حصن الاكراد وفتح برج اعناز وأخذمنه سلاحا ومالا وخمسمائة رجل ثم سار ونازل طرابلس ونصب عليها المجانيق وعاث العسكر في بلادها وقطع قناتها ثم عاد في أواخر ذى الحجة الى بحيرة قدس بظاهر حمص

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) أرسل غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية يستميل يلدز مملوك أبيه المستولى على غزنة فلم يجبه يلدز الى ذلك وطلب يلدز من غياث الدين أن يعتقه فاحضر الشهود واعتقه وأرسل مع عتاقه هدية عظيمة وكذلك أعتق ايبك المستولى على بلاد الهند وأرسل نحو ذلك فقبل كل منهما ذلك وخطب له ايبك ببلاد الهند التى تحت يده وأما يلدز فلم يخطب له وخرج بعض العساكر عن طاعة يلدز لعدم طاعته لغياث الدين (وفيها) في ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم انطالية باللام وهى مدينة للروم على ساحل البحر (وفيها) قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وكان اتابك قتلغ مملوك شاهر من فقبض عليه ابن بكتمر فثارت عليه أرباب الدولة وقبضوه وملكوا بلبان مملوك شاهرمن بن سقمان صاحب خلاط حسبما تقدم ذكره في سنة أربع وتسعين وخمسمائة (ثم دخلت سنة أربع وستمائة) والملك العادل نازل على بحيرة قدس ثم وقع الهدنة بينه وبين صاحب طرابلس وعاد الملك العادل الى دمشق وأقام بها

ذكر استيلاء الملك الاوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل على خلاط

(في هذه السنة) ملك الملك الاوحد أيوب ابن الملك العادل خلاط وكان صاحب خلاط بلبان حسبما قدمنا ذكره في سنة أربع وتسعين وخمسمائة فسار الملك الاوحد من ميافارقين وملك مدينة موش ثم اقتتل هو وبلبان صاحب خلاط فانهزم بلبان واستنجد بصاحب أرزن الروم وهو مغيث الدين طغريل شاه بن قليج أرسلان السلجوقى فسار طغريل شاه واجتمع به بلبان فهزما الملك الاوحد ثم غدر طغريل شاه ببلبان فقتله غدرا ليملك بلاده وقصد خلاط فلم يسلموها اليه وقصد منا ذكرد فلم تسلم اليه فرجع طغريل شاه الى بلاده فكاتب أهل خلاط الملك الاوحد فسار اليهم وتسلم خلاط وبلادها بعد اياسه منها واستقر ملكه بها (وفي هذه السنة) لما استقر الملك العادل بدمشق

وصل اليه التشريف من الخليفة الامام الناصر صحبة الشيخ شهاب الدين السهروردى فبالغ الملك العادل في اكرام الشيخ والتقاه الى القصير ووصل من صاحبى حلب وحماة ذهب لينثر على الملك العادل اذا لبس الخلعة فلبسها الملك العادل ونثر ذلك الذهب وكان يوما مشهودا والخلعة جبة أطلس اسود بطراز مذهب وعمامة سوداء بطراز مذهب وطوق ذهب بجوهر تطوق به الملك العادل وسيف جميع قرابه ملبس ذهبا تقلد به وحصان أشهب بمركب ذهب ونشر على رأسه علم اسود مكتوب فيه بالبياض اسم الخليفة ثم خلع رسول الخليفة على كل واحد من الملك الاشرف والملك المعظم ابنى الملك العادل عمامة سوداء وثوبا اسود واسع الكم وكذلك على الوزير صفى الدين بن شكر وركب الملك العادل وولداه ووزيره بالخلع ودخل القلعة وكذلك وصل الى الملك العادل مع الخلعة تقليد بالبلاد التى تحت حكمه وخوطب الملك العادل فيه شاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين ثم توجه الشيخ شهاب الدين الى مصر فخلع على الملك الكامل بها وجرى فيها نظير ماجرى في دمشق من الاحتفال ثم عاد السهروردى الى بغداد مكرما معظما (وفي هذه السنة) اهتم الملك العادل بعمارة قلعة دمشق والزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج من أبراجها

﴿ ذكر قتل خوارزم شاه مع الخطا بما وراء النهر ﴾

(في هذه السنة) كاتبت ملوك ماوراء النهر مثل ملك سمرقند وملك بخارى خوارزم شاه يشكون مايلقونه من الخطا ويبذلون له الطاعة والخطبة والسكة ببلادهم ان دفع الخطا عنهم فعبر علاء الدين محمد خوارزم شاه ابن تكش نهر جيحون واقتتل مع الخطا وكان بينهم عدة وقائع والحرب بينهم سجال واتفق في بعض الوقعات ان عسكر خوارزم شاه انهزم وأخذ خوارزم شاه محمد أسيرا وأسر معه شخص من أصحابه يقال له فلان ابن شهاب الدين مسعود ولم يعرفهما الخطاى الذى أسرهما فقال ابن مسعود لخوارزم شاه دع عنك المملكة وادع انك غلامى واخدمنى لعلى احتال في خلاصك فشرع خوارزم شاه يخدم ابن مسعود ويقلعه قماشه وخفه ويلبسه ويخدمه فسأل الخطاى ابن مسعود من أنت قال أنا فلان فقال له الخطاى لولا أخاف من الخطا أطلقتك فقال له ابن مسعود انى أخشى أن ينقطع خبرى عن أهلى فلا يعلمون بحياتى واشتهى ان أعلمهم بحالى لئلا يظنوا موتى ويتقاسموا مالى فأجابه الخطاى الى ذلك فقال ابن مسعود أشتهى أن أبعث بغلامى هذا مع رسولك ليصدقوه فأجابه الى ذلك وراح خوارزم شاه مع ذلك الشخص حتى قرب من خوارزم فرجع الخطاى واستقر خوارزم شاه في ملكه وتراجع اليه عسكره وكان لخوارزم شاه أخ يقال له على شاه ابن تكش وكان نائب أخيه بخراسان فلما بلغه عدم

أخيه في الوقعة مع الخطا دعى الى نفسه بالسلطنة واختلفت الناس بخراسان وجرى فيها فتن كثيرة فلما عاد خوارزمشاه محمد الى ملكه خاف أخوه على شاه فسار الى غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغورية فأكرمه غياث الدين محمود وأقام على شاه عنده بفيروز كوه

﴿ ذكر قتل غياث الدين محمود وعلى شاه ﴾

ولما استقر خوارزم شاه في ملكه وبلغه مافعله أخوه على شاه أرسل عسكرا الى قتال غياث الدين محمود الغورى فسار العسكر الى فيروز كوه مع مقدم يقال له أمير ملك فسار الى فيروز كوه وبلغ ذلك محمودا فأرسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فأعطاه أمير ملك الامان فخرج غياث الدين محمود من فيروز كوه ومعه على شاه فقبض عليهما أمير ملك وأرسل يعلم خوارزمشاه بالحال فأمره بقتلهما فقتلهما في يوم واحد واستقامت خراسان كلها لخوارزمشاه محمد بن تكش وذلك في سنة خمس وستمائة وهذا غياث الدين محمود بن غياث الدين محمدبن سام بن الحسين هو آخر الملوك الغورية وكانت دولتهم من أحسن الدول وكان هذامحمود كريما عادلا رحمة الله عليه ثم ان خوارزمشاه محمدا لما خلا سره من جهة خراسان عبر النهر وسار الى الخطا وكان وراء الخطا في حدود الصين التتر وكان ملكهم حينئذ يقال له كشلى خان وكان بينه وبين الخطا عداوة مستحكمة فأرسل كل من كشلى خان ومن الخطا يسأل خوارزم شاه أن يكون معه على خصمه فأجابهماخوارزم شاه بالمغالطة وانتظرمايكون منهما فاتقع كشلى خان والخطا فانهزمت الخطا فمال عليهم خوارزم شاه وفتك فيهم وكذلك فعل كشلى خان بهم فانقرضت الخطا ولم يبق منهم الا من اعتصم بالجبال أو استسلم وصار في عسكر خوارزم شاه ﴿ ثم دخلت سنة خمس وستمائة ﴾ والملك العادل بدمشق وعنده ولداه الملك الاشرف والمعظم

﴿ ذكر قدوم الاشرف الى حلب متوجها الى بلاده الشرقية ﴾

(وفي هذه السنة) توجه الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل من دمشق راجعا الى بلاده الشرقية ولما وصل الى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر وأنزله بالقلعة وبالغ في اكرامه وقام للاشرف ولجميع عسكره بجميع مايحتاجون اليه من الطعام والشراب والحلوى والعلوفات وكان يحمل اليه في كل يوم خلعة كاملة وهى غلالة وقباء وسراويل وكمة وفروة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين ودلكش وخمس خلع لاصحابه وأقام على ذلك خمسة وعشرين يوما وقدم له تقدمة وهى مائة ألف درهم ومائة بقجة مع مائة مملوك فمنها عشر بقج في كل واحدة منها ثلاثة أثواب أطلس وثوبان خطاى وعلى كل

بقجة جلد قندس كبير ومنهاعشر في كل واحدة منها عشرة أثواب عتابى خوارزمى وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة خمسة أثواب عتابى بغدادى وموصلى وعليها عشرة جلود قندس صغار ومنها عشرون في كل واحدة خمس قطع مرسوسى وديبقى ومنها أربعون في كل واحدة منها خمسة أقبية وخمس كام وحمل اليه خمس حصن عربية بعدتها وعشرين اكديشا وأربعة قطر بغال وخمس بغلات فائقات بالسروج واللجم المكفتة وقطارين من الجمال وخلع على أصحابه مائة وخمسين خلعة وقاد الى أكثرهم بغلات وأكاديش ثم سار الملك الاشرف الى بلاده (وفي هذه السنة) أمر الملك الظاهر صاحب حلب باجراء القناة من حيلان الى حلب وغرم على ذلك أموالا كثيرة وبقى البلد يجرى الماء فيه (وفي هذه السنة) وصل غياث الدين كيخسرو ابن قليج أرسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم الى مرعش لقصد بلاد ابن لاوون الارمنى وأرسل اليه الملك الظاهر نجدة فدخل كيخسرو الى بلاد ابن لاوون وعاث فيها ونهب وفتح حصنا يعرف بفرقوس

(ذكر مقتل صاحب الجزيرة)

(في هذه السنة) قتل معز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود بن عماد الدين بن زنكى بن اقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وقدتقدم ذكر ولايته في سنة ست وسبعين وخمسمائة قتله ابنه غازى وكان سنجر شاه ظالما قبيح السيرة جدا لا يمتنع عن قبيح يفعله من القتل وقطع الالسنة والانوف والآذان وحلق اللحى وتعدى ظلمه الى أولاده وحريمه فبعث ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فحبسهما فيها وحبس ابنه المذكور غازى في دار في المدينة وضيق عليه وكان بتلك الدار هوام كثيرة فاصطاد غازى المذكور منها حية وأرسلها الى أبيه في منديل لعله يرق عليه فلم يزده ذلك الا قسوة فاعمل غازى الحيلة حتى هرب وكان له واحد يخدمه فقرر معه أن يسافر ويظهر انه غازى بن معز الدين سنجر شاه ليأمنه أبوه فمضى ذلك الانسان الى الموصل فأعطى شيئا وسافر منها واتصل ذلك بسنجرشاه فاطمأن وتوصل ابنه غازى حتى دخل الى دار أبيه واختفى عند بعض سرارى أبيه وعلم به جماعة منهم وكتموا ذلك عن سنجر شاه لبغضهم فيه واتفق ان سنجر شاه شرب يوما بظاهر البلد وشرع يقترح على المغنين الاشعار الفراقية وهو يبكى ودخل داره سكران الى عند الحظية التى ابنه مخبأ عندها ثم قام معز الدين سنجرشاه ودخل الخلاء فهجم عليه ابنه غازى فضربه أربع عشرة ضربة بالسكين ثم ذبحه وتركه ملقى ودخل غازى الحمام وقعد يلعب مع الجوارى فلو أحضر الجند واستحلفهم في ذلك الوقت لتم له الامر وملك البلاد ولكنه تنكر واطمأن فخرج بعض الخدم واعلم أستاذ

الدار فجمع الناس وهجم على غازى وقتله وحلف العسكر لاخيه محمود بن سنجر شاه ولقب معز الدين بلقب أبيه ووصل معز الدين محمود بن سنجر شاه بن زنكى واستقر ملكه بالجزيرة وقبض على جوارى أبيه فغرقهن في دجلة ثم قبض محمود بعد ذلك أخاه مودودا (ثم دخلت سنة ست وستمائة) في هذه السنة سار الملك العادل من دمشق وقطع الفرات وجمع العساكر والملوك من أولاده ونزل حران ووصل اليه بها الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا أرسلان الارتقى صاحب آمد وحصن كيفا وسار الملك العادل من حران ونازل سنجار وبها صاحبها قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى بن مودود ابن عماد الدين زنكى فحاصرها وطال الامر في ذلك ثم خامرت العساكر التى صحبة الملك العادل ونقض الملك الظاهر صاحب حلب الصلح معه فرحل عن سنجار وعاد الى حران واستولى الملك العادل على نصيبين وكانت لقطب الدين محمد المذكور وكذلك استولى على الخابور (وفي هذه السنة) توفي الملك المؤيد نجم الدين مسعود ابن السلطان صلاح الدين (وفيها) توفي الامام فخر الدين محمد بن عمر خطيب الرى بن الحسين بن الحسن بن على التميمى البكرى الطبرستانى الاصل الرازى المولد الفقيه الشافعى صاحب التصانيف المشهورة قال ابن الاثير وبلغنى ان مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وكان فخر الدين المذكور مع فضائله يعظ وله فيه اليد الطولى وكان يعظ باللسانين العربى والعجمى ويلحقه في الوعظ الوجد والبكاء وكان أوحد زمانه في المعقولات والاصول واشتغل في أول زمانه على والده ثم قصد الكمال السمعانى واشتغل عليه ثم عاد الى الرى واشتغل على المجد الجيلى وسافر الى خوارزم وما وراء النهر وجرى له بكردكوه ماتقدم ذكره وأخرج منها بسبب الكرامية واتصل بشهاب الدين الغورى صاحب غزنة وحصل له منه مال طائل ثم عاد فخر الدين الى خراسان واتصل بالسلطان خوارزم شاه محمد بن تكش وحظى عنده ولفخر الدين نظم حسن فمنه

نهاية اقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا

وكانت العلماء يقصدونه من البلاد وتشد اليه الرحال وقصده ابن عنين الشاعر ومدحه بقصائد (وفيها) في سلخ الحجة توفي مجد الدين بن السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم ومولده سنة أربع وأربعين وخمسمائة المعروف بابن الاثير أخو عز الدين على المؤرخ مؤلف الكامل في التاريخ وكان مجد الدين المذكور عالماً بالفقه والاصولين

والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة وكان كاتبا مفلقا (وفيها) توفي المجد المطرز النحوى الخوارزمى وكان اماما في النحو وله فيه تصانيف حسنة (ثم دخلت سنة سبع وستمائة) فيها عاد السلطان الملك العادل من البلاد الشرقية الى دمشق وفيها قصدت الكرج خلاط وحصروا الملك الاوحد ابن الملك العادل بها واتفق ان ملك الكرج شرب وسكر فحسن له السكر انه تقدم الى خلاط في عشرين فارسا فخرجت اليه المسلمون فتقنطر وأخذ أسيرا وحمل الى الملك الاوحد فرد على الملك الاوحد عدة قلاع وبذل اطلاق خمسة آلاف أسير ومائة ألف دينار وعقد الهدنة مع المسلمين ثلاثين سنة وشرط أن يزوج ابنته بالملك الاوحد فتسلم ذلك منه وأقام وتحالفا وأطلق

ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل

(في هذه السنة) توفي نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل في آخر رجب وكان مرضه قد طال وملك الموصل سبع عشرة سنة واحد عشر شهرا ولما اشتد مرضه انحدر الى العين القيارة ليستحم بها وعاد الى الموصل في سيارة فتوفي في الطريق ليلا وكان أسمر حسن الوجه قد أسرع اليه الشيب وكان شديد الهيبة على أصحابه وكان عنده قلة صبر في أموره واستقر في ملكه بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود وكان عمر القاهر عشر سنين وقام بتدبير مملكته بدر الدين لولو وكان لولو مملوك والده أرسلان شاه وأستاذ داره وهذا لولو هو الذى ملك الموصل على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وكان لارسلان شاه ولد آخر أصغر من القاهر اسمه عماد الدين زنكى ملكه أبوه قلعتى العقر وشوش وهما بالقرب من الموصل

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله الى ملوك الاطراف أن يشربوا له كاس الفتوة ويلبسوا له سراويلها وان ينتسبوا اليه في رمى البندق ويجعلوه قدوتهم (وفيها) سار الملك العادل بعد وصوله الى دمشق ومقامه الى الديار المصرية وأقام بدار الوزارة (وفيها) توفي فخر الدين جهاركس مقدم الصلاحية وكبيرهم

(ذكر وفاة الملك الاوحد صاحب خلاط)

(في هذه السنة) توفي الملك الاوحد أيوب بن الملك العادل فسار أخوه الملك الاشرف وملك خلاط واستقل بملكها مضافا الى مابيده من البلاد الشرقية فعظم شأنه ولقب شاهر من (وفي هذه السنة) قتل غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم قتله ملك الاشكرى

وملك بعده ابنه كيكاوس بن كيخسرو بن قليج أرسلان حسبما تقدم ذكره في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (ثم دخلت سنة ثمان وستمائة) في هذه السنة قبض الملك المعظم عيسى بن الملك العادل على عز الدين اسامة صاحب قلعتى كوكب وعجلون بأمر أبيه الملك العادل وحبسه في الكرك الى ان مات بها وحاصر القلعتين المذكورتين وتسلمهما من غلمان أسامة وأمر الملك العادل بتخريب كوكب وتعفية أثرها فخربت وبقيت خرابا وأبقى عجلون وانفرضت الصلاحية بهذا اسامة وملك الملك المعظم بلاد جهاركس وهى بانياس ومامعها لاخيه شقيقه الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك العادل وأعطى صرخد مملوكه عز الدين أيبك المعظمى (وفي هذه السنة) عاد الملك العادل الى الشام وأعطى ولده الملك المظفر غازى الرها مع ميا فارقين (وفيها) أرسل الملك الظاهر القاضى بهاء الدين بن شداد الى الملك العادل فاستعطف خاطره وخطب ابنته ضيفة خاتون ابنة الملك العادل فزوجها من الملك الظاهر وزال ما كان بينهما من الاحن (وفيها) أظهر الكيا جلال الدين حسن صاحب الألموت وهو من ولد ابن الصباح شعائر الاسلام وكتب به الى جميع قلاع الاسماعيلية بالعجم والشام فأقيمت فيها شعائر الاسلام (وفيها) توفي أبو حامد محمد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعى بمدينة الموصل وكان اماما فاضلا وكان حسن الاخلاق (وفيها) توفي القاضى السعيد المعروف بابن سنا الملك وهو هبة الله بن جعفر بن سنا الملك السعدى الشاعر المشهور المصرى أحد الفضلاء الرؤساء صاحب النظم الفائق وكان كثير التنعم وافر السعادة محظوظا من الدنيا مدح توران شاه أخا السلطان صلاح الدين بقصيدة مطلعها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم ... وفارقت لكن كل عيش مذمم

فهجن بعض الفضلاء هذا المطلع وعابوه ومن شعره أيضاً

لا الغصن يحكيك ولا الجوذر ... حسنك مما كثروا أكثر

يا باسما أهدى لنا ثغره ... عقدا ولكن كله جوهر

قال لى اللاحى أما تستمع ... فقلت للاحى أما تبصر

(ثم دخلت سنة تسع وستمائة) في هذه السنة في المحرم عقد الملك الظاهر على ضيفة خاتون بنت الملك العادل وكان المهر خمسين ألف دينار وتوجهت من دمشق في المحرم الى حلب فاحتفل الملك الظاهر لملتقاها وقدم لها أشياء كثيرة نفيسة ﴿وفيها﴾ عمر الملك العادل قلعة الطور وجمع لها الصناع من البلاد والعسكر حتى تمت ﴿وفي هذه السنة﴾ سار طغريل شاه بن قليج أرسلان صاحب أرزن الروم وحاصر ابن أخيه سلطان الروم كيكاوس بسيواس فاستنجد كيكاوس بالاشرف بن العادل فخاف عمه طغريل

ورحل عنه وكان لكيكاوس أخ اسمه كيقباذ فلما جرى ماذكرناه سار كيقباذ واستولى على أنكورية من بلاد أخيه كيكاوس فسار كيكاوس وحصره وفتح أنكورية وقبض على أمرائه وحلق لحاهم ورؤسهم واركب كل واحد منهم فرسا واركب قدامه وخلفه قحبتين وبيد كل منهما معلاق تصفعه به وبين يدى كل واحد منهم مناد ينادى هذا جزاء من خان سلطانهم (ثم دخلت سنة عشر وستمائة) في هذه السنة ظفر عز الدين كيكاوس بن كيخسرو صاحب بلاد الروم بعمه طغريل شاه فأخذ بلاده وقتله وذبح أكثر أمرائه وقصد قتل أخيه علاء الدين كيقباذ فشفع فيه بعض أصحابه فعفا عنه (وفيها) في رمضان توفي بحلب فارس الدين ميمون القصرى وهو آخر من بقى من كبراء الامراء الصلاحية وهو منسوب الى قصر الخلفاء بمصر كان قد أخذه السلطان صلاح الدين من هناك (وفيها) ولد للملك الظاهر من ضيفة خاتون بنت الملك العادل ولده الملك العزيز غياث الدين محمد (وفي هذه السنة) قتل أيدغمش مملوك البهلوان وكان قد غلب على المملكة وهى همذان والجبال قتله خشداش له من البهلوانية اسمه منكلى وكان أيدغمش قد هرب منه والتجأ الى الخليفة في سنة ثمان وستمائة ورجع أيدغمش في هذه السنة الى جهة همذان فقتل واستقل منكلى بالملك ﴿وفي هذه السنة﴾ في شعبان توفي ملك المغرب محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وكانت مدة مملكته نحو ست عشرة سنة وكان أشقر أسبل الخد دائم الاطراق كثير الصمت للثغة كانت في لسانه وقد تقدم ذكر ولايته في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ولما مات محمد الناصر المذكور ملك بعده ولده يوسف وتلقب بالمستنصر أمير المؤمنين ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وكنيته أبو يعقوب ﴿وفيها﴾ وقيل في السنة التى قبلها توفي على بن محمد بن على المعروف بابن خروف النحوى الاندلسى الاشبيلى شرح كتاب سيبويه شرحا جيدا وشرح الجمل للزجاجى ﴿وفيها﴾ توفي عيسى بن عبد العزيز الجزولى بمراكش وكان اماما في النحو صنف مقدمته الجزولية وسماها القانون أتى فيها بالعجائب واعتنى بها جماعة من الفضلاء وأكثر النحاة يعترفون بقصور أفهامهم عن ادراك مراده منها فانها كلها رموز واشارات قدم الجزولى المذكور الى ديار مصر على ابن برى النحوى ثم عاد الى الغرب والجزولى بضم الجيم منسوب الى جزولة وهى بطن من البربر ويقال لها كزولة أيضاً وشرح مقدمته في مجلد كبير أتى فيه بغرائب وفوائد ﴿ثم دخلت سنة احدى عشر وستمائة﴾ في هذه السنة توفي دلدرم بن ياروق صاحب تل باشر وولى تل باشر بعده ابنه فتح الدين ﴿وفيها﴾ توفي الشيخ على بن أبى بكر الهروى وله التربة المعروفة شمالى حلب وكان عارفا بأنواع الحيل والشعبذة والسيماوية تقدم عند الملك الظاهر غازى صاحب حلب

وله أشعار كثيرة وتغرب في البلاد ودار غالب المعمور ﴿ وفيها ﴾ أسرت التركمان ملك الاشكرى وهو قاتل غياث الدين كيخسرو فحمل الى ابنه كيكاوس بن كيخسرو فأراد قتله فبذل له في نفسه أموالا عظيمة وسلم الى كيكاوس قلاعا وبلادا لم يملكها المسلمون قط ﴿ وفيها ﴾ عاد الملك العادل من الشام الى مصر (وفيها ﴾ توفي الدكز عبد السلام ابن عبد الوهاب بن عبد القادر الحيلى ببغداد ولى عدة ولايات وكان يتهم بمذهب الفلاسفة اعتقل قبل موته وأظهرت كتبه وفيها الكفريات مثل مخاطبة زحل وغيره بالالهية وأحرقت ثم شفع فيه أبوه فافرج عنه وعاد الى أعماله ﴿ وفيها ﴾ توفي في شوال عبد العزيز بن محمود بن الاخضر وله سبع وثمانون سنة وهو من فضلاء المحدثين ﴿ ثم دخلت سنة اثنتى عشر وستمائة ﴾

﴿ ذكر استيلاء الملك المسعود ابن الملك الكامل ابن الملك العادل على اليمن ﴾

قد تقدم ذكر استيلاء سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب في سنة تسع وتسعين وخمسمائة على اليمن وانه ملأها ظلما وجورا وانه أطرح زوجته التى ملكته فلما جاءت هذه السنة بعث الملك الكامل ابن الملك العادل ابنه الملك المسعود يوسف المعروف باقسيس الى اليمن ومعه جيش فاستولى الملك المسعود على اليمن وظفر بسليمان المذكور صاحب اليمن وبعث به معتقلا الى مصر فأجرى له الملك الكامل مايقوم به ولم يزل سليمان المذكور مقيما بالقاهرة الى سنة سبع وأربعين وستمائة فخرج الى المنصورة غازيا فقتل شهيدا ﴿ وفي هذه السنة ﴾ توفي الامير على ابن الامام الناصر ووجد عليه الخليفة وجدا عظيما وأكثر الشعراء من المراثى فيه ﴿ وفي هذه السنة ﴾ تجمعت العساكر من بغداد وغيرها وقصدوا منكلى صاحب همذان وأصفهان والرى وما بينهما من البلاد فانهزم وقتل في ساوة وتولى موضعه أغلمش أحد المماليك البهلوانية أيضاً ﴿ وفيها ﴾ في شعبان ملك خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش مدينة غزنة وأعمالها وأخذها من يلدز مملوك شهاب الدين الغورى فهرب يلدز الى لهاوور من الهند واستولى عليها ثم سار يلدز عن لهاوور واستولى على بعض بلاد الهند الداخلة تحت حكم قطب الدين أيبك خشداش يلدز المذكور فجرى بينه وبين عسكر قطب الدين أيبك مصاف فقتل فيه يلدز وكان يلدز حسن السيرة في الرعية كثير الاحسان اليهم ﴿ وفيها ﴾ توفى الوجيه المبارك ابن أبى الازهر سعيد بن الدهان النحوى الضرير وكان فاضلا قرأ على ابن الانبارى وغيره وكان حنبليا فصار حنفيا ثم صار شافعيا فقال فيه أبو البركات زيد التكريتى

ألا مبلغ عنى الوجيه رسالة وان كان لاتجدى اليه الرسائل

تمذهبت

تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل وفارقته اذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأى الشافعى تدينا ولكنما تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر الى مالك فافطن بما أنا قائل

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة)

﴿ ذكر وفاة الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب ﴾

ولما كانت صبيحة يوم السبت وهو الخامس والعشرون من جمادى الاولى من هذه السنة ابتدأ بالملك الظاهر المذكور حمى حادة ولما اشتد مرضه أحضر القضاة والاكابر وكتب نسخة يمين أن يكون الملك بعده لولده الصغير الملك العزيز ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن غازى وبعدهما لابن عمهما الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين وحلف الامراء والاكابر على ذلك وجعل الحكم في الاموال والقلاع الى شهاب الدين طغريل الخادم وأعذق به جميع أمور الدولة وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة أقطع الملك الظافر خضر المعروف بالمستمر كفرسودا وأخرج من حلب في ليلته بالتوكيل وأخرج علم الدين قيصر مملوك الملك الظاهر الى حارم نائباً وفي خامس عشر جمادى الآخرة اشتد مرض الملك الظاهر ومنع الناس الدخول اليه وتوفي في ليلة الثلاثاء لعشرين من جمادى الآخرة وكان مولده بمصر في نصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة فكان عمره أربعا وأربعين سنة وشهورا وكانت مدة ملكه لحلب من حين وهبها له أبوه احدى وثلاثين سنة وكان فيه بطش واقدام على سفك الدماء ثم أقصر عنه وهو الذى جمع شمل البيت الناصرى الصلاحى وكان ذكيا فطنا ورتب الملك العزيز في المملكة ورجع الامور كلها الى شهاب الدين طغريل الخادم فدبر الامور وأحسن السياسة وكان عمر الملك العزيز لما قرر في المملكة سنتين وأشهرا وعمر أخيه الملك الصالح نحو اثنتى عشرة سنة (وفي هذه السنة) توفي تاج الدين زيد بن الحسين بن زيد الكندى وكان اماما في النحو واللغة وله الاسناد العالى في الحديث وكان ذا فنون كثيرة في أنواع العلم وهو بغدادى المولد والمنشأ وانتقل وأقام بدمشق (ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة) والسلطان الملك العادل بالديار المصرية وقد اجتمعت الفرنج من داخل البحر ووصلوا الى عكا في جمع عظيم ولما بلغ الملك العادل ذلك خرج بعساكر مصر وسار حتى نزل على نابلس فسارت الفرنج اليه ولم يكن معه من العساكر مايقدر به على مقاتلتهم فاندفع قدامهم الى عقبة أفيق فأغاروا على بلاد المسلمين ووصلت غارتهم الى نوى من بلد السواد ونهبوا مابين بيسان ونابلس وبثوا سراياهم فقتلوا وغنموا من

المسلمين مايفوت الحصر وعادوا الى مرج عكا وكان قوة هذا النهب مابين منتصف رمضان وعيد الفطر من هذه السنة وأقام الملك العادل بمرج الصفر وسارت الفرنج وحصروا حصن الطور وهو الذى بناه الملك العادل على ماتقدم ذكره ثم رحلوا عنه وانقضت السنة والفرنج بجموعهم في عكا

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) سار خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش الى بلاد الجبل وغيرها فملكها فمنها ساوة وقزوين وزنجان وابهر وهمذان وأصفهان وقم وقاشان ودخل أزبك ابن البهلوان صاحب أذربيجان وأران في طاعة خوارزم شاه وخطب له ببلاده ثم عزم خوارزم شاه على المسير الى بغداد للاستيلاء عليها وقدم بعض العسكر بين يديه وسار خوارزم شاه في أثرهم عن همذان يومين أو ثلاثة فسقط عليهم من الثلج مالم يسمع بمثله فهلكت دوابهم وخاف من حركة التتر على بلاده فولى على البلاد التى استولى عليها وعاد الى خراسان وقطع خطبة الخليفة الامام الناصر من بلاد خراسان في سنة خمس عشرة وستمائة وكذلك قطعت خطبة الخليفة من بلاد ماوراء النهر وبقيت خوارزم وسمرقند وهراة لم يقطع الخطبة منها فان أهل هذه البلاد كانوا لا يلتزمون بمثل هذا بل يخطبون لمن يختارون ويفعلون نحو ذلك (ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة) والملك العادل بمرج الصفر وجموع الفرنج بمرج عكا ثم ساروا منها الى الديار المصرية ونزلوا على دمياط وسار الملك الكامل ابن الملك العادل من مصر ونزل قبالتهم واستمر الحال كذلك أربعة أشهر وأرسل الملك العادل العساكر التى عنده الى عند ابنه الملك الكامل فوصلت اليه أولا فأولا ولما اجتمعت العساكر عند الملك الكامل أخذ في قتال الفرنج ودفعهم عن دمياط

(ذكر وفاة الملك القاهر صاحب الموصل)

(في هذه السنة) توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل وكانت وفاته لثلاث بقين من ربيع الاول وكانت مدة ملكه سبع سنين وتسعة أشهر وانقرض بموته ملك البيت الاتابكى وخلف ولدين أكبرهما اسمه أرسلان شاه وكان عمره حينئذ نحو عشر سنين فأوصى بالملك له وأن يقوم بتدبير مملكته بدر الدين لولو فنصبه بدر الدين لولو في المملكة وجعل الخطبة والسكة باسمه وقام لولو بتدبير المملكة أحسن قيام

(ذكر وفاة كيكاوس بن كيخسرو صاحب بلاد الروم حلب)

ولما مات الملك الظاهر صاحب حلب وأجلس ابنه العزيز في المملكة وكان طفلا طمع صاحب بلاد الروم كيكاوس في الاستيلاء على حلب فاستدعى الملك الافضل صاحب سميساط واتفق معه كيكاوس أن يفتح حلب وبلادها ويسلمها الى الملك الافضل ثم يفتح البلاد الشرقية التى بيد الملك الاشرف ابن الملك العادل ويتسلمها كيكاوس وتحالفا على ذلك وسار كيكاوس الى جهة حلب ومعه الملك الافضل ووصلا الى رعبان واستولى عليها كيكاوس وسلمها الى الملك الافضل فمالت اليه قلوب أهل البلاد لذلك ثم سار الى تل باشر وبها ابن دلدرم ففتحها ولم يسلمها الى الملك الافضل وأخذها كيكاوس لنفسه فنفر خاطر الملك الافضل وخواطر أهل البلاد بسبب ذلك ووصل الملك الاشرف ابن الملك العادل الى حلب لدفع كيكاوس عن البلاد ووصل اليه بها الامير مانع ابن حديثه أمير العرب في جمع عظيم وكان قد سار كيكاوس الى منبج وتسلمها لنفسه أيضاً وسار الملك الاشرف بالجموع التى معه ونزل وادى بزاعا واتفق بعض عسكره مع مقدمة عسكر كيكاوس فانهزمت مقدمة عسكر كيكاوس وأخذ من عسكر كيكاوس عدة أسرى فأرسلوا الى حلب ودقت البشائر لها ولما بلغ ذلك كيكاوس وهو بمنبج ولى منهزما مرعوبا وتبعه الملك الاشرف يتخطف أطراف عسكره ثم حاصر الاشرف تل باشر واسترجعها وكذلك استرجع رعبان وغيرها وتوجه الملك الافضل الى سميساط ولم يتحرك بعدها في طلب ملك الى ان مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وعاد الملك الاشرف الى حلب وقد بلغه وفاة أبيه

(ذكر وفاة السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب)

كان الملك العادل نازلا بمرج الصفر وقد أرسل العساكر الى ولده الملك الكامل بالديار المصرية ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر الى عالقين وهى عند عقبة أفيق فنزل بها ومرض واشتد مرضه ثم توفي هناك الى رحمة الله تعالى سابع جمادى الآخرة من هذه السنة أعنى سنة خمس عشرة وستمائة وكان مولده سنة أربعين وخمسمائة وكان عمره خمسا وسبعين سنة وكانت مدة ملكه لدمشق ثلاث وعشرين سنة وكانت مدة ملكه لمصر نحو تسع عشرة سنة وكان الملك العادل رحمه الله تعالى حازما متيقظا غزير العقل سديد الآراء ذا مكر وخديعة صبورا حليما يسمع مايكره ويغضى عنه وأتته السعادة واتسع ملكه وكثرت أولاده ورأى فيهم مايحب ولم ير أحد من الملوك الذين اشتهرت أخبارهم في أولاده من الملك والظفر مارآه الملك العادل في أولاده ولقد اجاد شرف الدين بن عنين في قصيدته التى مدح بها الملك العادل التى مطلعها

ماذا على طيف الاحبة لو سرى وعليهم لو سامحونى بالكرى

ومنها

العادل الملك الذى أسماؤه في كل ناحية تشرف منبرا
مافي أبى بكر لمعتقد الهدى شك يريب بأنه خير الورى
بين الملوك الغابرين وبينه في الفضل مابين الثريا والثرى
نسجت خلائقه الحميدة ماأتى في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا

ومنها في وصف أولاده

لا تسمعن حديث ملك غيره يروى فكل الصيد في جوف الفرا
وله الملوك بكل أرض منهم ملك يجر الى الاعادى عسكرا
من كل وضاح الجبين تخاله بدرا فان شهد الوغى فغضنفرا

وخلف الملك العادل ستة عشر ولدا ذكرا غير البنات ولما توفي الملك العادل لم يكن عنده أحد من أولاده حاضرا فحضر اليه ابنه الملك المعظم عيسى وكان بنابلس بعد وفاته وكتم موته وأخذه ميتا في محفة وعاد به الى دمشق واحتوى الملك المعظم على جميع ما كان مع أبيه من الجواهر والسلاح والخيول وغير ذلك ولما وصل دمشق حلف جميع الناس له وأظهر موت أبيه وجلس للعزاء وكتب الى الملوك من اخوته وغيرهم يخبرهم بموته وكان في خزانة الملك العادل لما توفي سبعمائة ألف دينار عينا ولما بلغ الملك الكامل موت أبيه وهو في قتال الفرنج عظم عليه ذلك جدا واختلفت العساكر عليه فتأخر عن منزلته وطمعت الفرنج ونهبت بعض أثقال المسلمين وكان في العسكر عماد الدين أحمد ابن سيف الدين على بن أحمد المشطوب وكان مقدما عظيما في الاكراد الهكارية فعزم على خلع الملك الكامل من السلطنة وحصل في العسكر اختلاف كثير حتى عزم الملك الكامل على مفارقة البلاد واللحوق باليمن وبلغ الملك المعظم عيسى بن العادل ذلك فرحل من الشام ووصل الى أخيه الملك الكامل وأخرج عماد الدين ابن المشطوب ونفاه من العسكر الى الشام فانتظم أمر السلطان الملك الكامل وقوى مضايقة الفرنج لدمياط وضعف أهلها بسبب ماذكرناه من الفتنة التى حصلت في عسكر الملك الكامل من ابن المشطوب

(ذكر استيلاء عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى اقسنقر على بعض القلاع المضافة الى مملكة الموصل)

قد تقدم في سنة سبع وستمائة ان أرسلان شاه عند وفاته جعل مملكة الموصل لولده

القاهر مسعود وأعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكى المذكور قلعتى العقر وشوش فلما مات أخوه القاهر وأجلس ولده أرسلان شاه ابن القاهر في المملكة وكان به قروح وأمراض تحرك عمه عماد الدين زنكى بن أرسلان شاه وقصد العمادية واستولى عليها ثم استولى على قلاع الهكارية والزوران فاستنجد بدر الدين لولو المستولى على ملك الموصل وتدبير أرسلان شاه بالملك الاشرف ابن الملك العادل ودخل في طاعته فانجده الملك الاشرف بعسكر وساروا الى زنكى بن أرسلان شاه فهزموه وكان زنكى المذكور مزوجا ببنت مظفر الدين كوكبورى صاحب أربل وأم البنت ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان الملك العادل زوجة مظفر الدين فكان مظفر الدين لا يترك ممكنا في نجدة صهره زنكى المذكور ويبالغ في عداوة بدر الدين لولو لاجل صهره (وفي هذه السنة) توفي على بن نصر بن هرون النحوى الحلى الملقب بالحجة قرأ على ابن الخشاب وغيره (وفيها) توفي محمد وقيل أحمد بن محمد بن محمد العميدى الفقيه الحنفى السمرقندى الملقب ركن الدين كان اماما في فن الخلاف خصوصا الحسب وله فيه طريقة مشهورة وصنف الارشاد واعتنى بشرح طريقته جماعة منهم القاضى شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الشافعى الجوينى قاضى دمشق وبدر الدين المراغى المعروف بالطويل واشتغل على العميدى خلق كثير وانتفعوا به منهم نظام الدين أحمد بن محمود بن أحمد الحنفى المعروف بالحصيرى ونظام الدين الحصيرى المذكور قتله التتر بنيسابور عند أول خروجهم في سنة ست عشرة وستمائة ولم يقع لنا هذه النسبة أعنى العميدى الى ماذا (ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة) والملك الاشرف مقيم بظاهر حلب يدبر أمر جندها واقطاعاتها والملك الكامل بمصر في مقابلة الفرنج وهم محدقون محاصرون لثغر دمياط وكتب الملك الكامل متواصلة الى اخوته في طلب النجدة

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل)

(وفي هذه السنة) توفي نور الدين أرسلان شاه ابن الملك القاهر مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر وكان لا يزال مريضاً فأقام بدر الدين لولو في الملك بعده أخاه ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر وكان عمره يومئذ نحو ثلاث سنين وهو آخر من خطب له من بيت اتابك بالسلطنة وكان أبوه القاهر آخر من كان له استقلال بالملك منهم ثم ان هذا الصبى مات بعد مدة واستقل بدر الدين لولو بالملك وأتته السعادة وطالت مدة ملكه الى ان توفي بالموصل بعد أخذ التتر بغداد على ماسنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة صاحب سنجار)

وقد تقدم ذكر ولايته في سنة أربع وتسعين وخمسمائة (وفي هذه السنة) توفي قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار فملك سنجار بعده ولده عماد الدين شاهنشاه بن محمد وكان قطب الدين حسن السيرة في رعيته وبقي عماد الدين شاهنشاه في الملك شهورا ثم وثب عليه أخوه محمود بن محمد فذبحه وملك سنجار وهذا محمود هو آخر من ملك سنجار من البيت الاتابكي

(ذكر تخريب القدس)

(وفي هذه السنة) أرسل الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق الحجارين والنقابين الى القدس فخرب أسواره وكانت قد حصنت الى الغاية فانتقل منه علم عظيم وكان سبب ذلك ان الملك المعظم لما رأى قوة الفرنج وتغلبهم على دمياط خشى أن يقصدوا القدس فلا يقدر على منعهم فخربه لذلك

(ذكر استيلاء الفرنج على دمياط)

ولم تزل الفرنج يضايقون دمياط حتى هجموها في هذه السنة عاشر رمضان وقتلوا وأسروا من بها وجعلوا الجامع كنيسة واشتد طمع الفرنج في الديار المصرية وحين أخذت دمياط ابتنى الملك الكامل مدينة وسماها المنصورة عند مفترق البحرين الآخذ أحدهما الى دمياط والآخر الى أشمون طناح ونزل فيها بعساكره

(ذكر ظهور التتر)

(وفي هذه السنة) كان ظهور التتر وقتلهم في المسلمين ولم تنكب المسلمون بأعظم مما نكبوا في هذه السنة فمن ذلك ما كان من تمكن الفرنج بملكهم دمياط وقتلهم أهلها وأسرهم ومنه المصيبة الكبرى وهو ظهور التتر وتملكهم في المدينة القريبة أكثر بلاد الاسلام وسفك دمائهم وسبي حريمهم وذراريهم ولم تفجع المسلمون مذ ظهر دين الاسلام بمثل هذه الفجيعة (وفي هذه السنة) خرجوا على علاء الدين محمد خوارزم شاه بن تكش وعبروا نهر سيحون ومعهم ملكهم جنكزخان لعنه الله تعالى فاستولوا على بخارى رابع ذى الحجة من هذه السنة بالامان وعصت عليهم القلعة فحاصروها وملكوها وقتلوا كل من بها ثم قتلوا أهل البلد عن آخرهم (من تاريخ ظهور التتر) تأليف محمد بن أحمد بن على المنشى النسوى كاتب انشاء جلال الدين قال ان مملكة الصين مملكة متسعة دورها ستة أشهر وقد انقسمت من قديم الزمان ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر يتولى أمره

خان وهو الملك بلغتهم نيابة عن خانهم الاعظم وكان خانهم الكبير الذى عاصر خوارزم شاه محمد بن تكش يقال له الطون خان وقد توارث الخانية كابرا عن كابر بل كافرا عن كافر ومن عادة خانهم الاعظم الاقامة بطوغاج وهى واسطة الصين وكان من زمرتهم في عصر المذكور شخص يسمى دوشى خان وهو أحد الخانات المتولى أحد الاجزاء الستة وكان مزوجاً بعمة جنكزخان اللعين وقبيلة جنكزخان اللعين هى المعروفة بقبيلة التمرجى سكان البرارى ومشتاهم موضع يسمى ارغون وهم المشهورون بين التتر بالشر والغدر ولم تر ملوك الصين ارخاء عنانهم لطغيانهم فاتفق ان دوشى خان زوج عمة جنكزخان مات فحضر جنكزخان الى عمته زائرا ومعزيا وكان الخانان المجاوران لعمل دوشى خان المذكور يقال لاحدهما كشلوخان وللآخر فلان خان فكانا يليان ما يتاخم عمل دوشى خان المذكور المتوفي من الجهتين فارسلت امرأة دوشى خان الى كشلى خان والخان الآخر تنعى اليهما زوجها دوشى خان وانه لم يخلف ولدا وانه كان حسن الجوار لهما وان ابن أخيها جنكزخان ان أقيم مقامه يحذو حذو المتوفي في معاضدتهما فاجابها الخانان المذكوران الى ذلك وتولى جنكزخان ما كان لدوشى خان المتوفي من الامور بمعاضدة الخانين المذكورين * فلما انهى الامر الى الخان الاعظم الطون خان انكر تولية جنكزخان واستحقره وأنكر على الخانين اللذين فعلا ذلك فلما جرى ذلك خلعوا طاعة الطون خان وانضم اليهم كل من هو من عشائرهم ثم اقتتلوا مع الطون خان فولى منهزما وتمكنوا من بلاده ثم أرسل الطون خان وطلب منهم الصلح وان يبقوه على بعض البلاد فأجابوه الى ذلك وبقى جنكزخان والخانان الآخران مشتركين في الامر فاتفق موت الخان الواحد واستقل بالامر جنكزخان وكشلوخان ثم مات كشلوخان وقام ابنه ولقب بكشلوخان ايضا مقامه فاستضعف جنكزخان جانب كشلوخان بن كشلوخان لصغره وحداثة سنه وأخل بالقواعد التى كانت مقررة بينه وبين أبيه فانفرد كشلوخان عن جنكزخان وفارقه لذلك ووقع بينهما الحرب فجرد جنكزخان جيشا مع ولده دوشى خان بن جنكزخان فسار دوشى خان واقتتل مع كشلوخان فانتصر دوشى خان وانهزم كشلوخان وتبعه دوشى خان وقتله وعاد الى جنكزخان برأسه فانفرد جنكزخان بالمملكة ثم ان جنكزخان راسل خوارزم شاه محمد بن تكش في الصلح فلم ينتظم فجمع جنكزخان عساكره والتقى مع خوارزم شاه محمد فانهزم خوارزم شاه فاستولى جنكزخان على بلاد ماوراء النهر ثم تبع خوارزم شاه محمدا وهو هارب بين يديه حتى دخل بحر طبرستان ثم استولى جنكزخان على البلاد ثم كان من خوارزم شاه ومن جنكزخان ما سنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر توجه الملك المظفر محمود ابن صاحب حماة الى مصر وموت والدته

(في هذه السنة) حلف الملك المنصور صاحب حماة الناس لولده الملك المظفر محمود وجعله ولى عهده وجرد معه عسكرا والطواشى مرشد المنصورى نجدة الى الملك الكامل بديار مصر فسار اليه * ولما وصل الى الملك الكامل أكرمه وأنزله في ميمنة عسكره وهى منزلة أبيه وجده في الايام الناصرية الصلاحية وبعد توجه الملك المظفر ماتت والدته ملكة خاتون بنت الملك العادل قال القاضى جمال الدين مؤلف مفرج الكروب وحضرت العزاء وعمرى اثنتا عشرة سنة ورأيت الملك المنصور وهو لابس الحداد على زوجته المذكورة وهو ثوب أزرق وعمامة رزقاء وأنشدته الشعراء المراثى فمن ذلك قصيدة قالها حسام الدين خشترين وهو جندى كردى مطلعها

الطرف في لجة والقلب في سعر ... له دخان زفير طار بالشرر

ومنها في لبس الملك المنصور الحداد عليها

ما كنت أعلم ان الشمس قد غربت ... حتى رأيت الدجى ملقى على القمر
لو كان من مات يفدى قبلها لفدى ... أم المظفر آلاف من البشر

ذكر وفاة كيكاوس وملك أخيه كيقباذ

(في هذه السنة) توفي الملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وقد تقدم ذكر ولايته في سنة سبع وستمائة وكان قد تعلق به مرض السل واشتد مرضه ومات فملك بعده أخوه كيقباذ بن كيخسرو وكان كيقباذ محبوسا قد حبسه أخوه كيكاوس فاخرجه الجند وملكوه

(ذكر غير ذلك)

(وفي هذه السنة) توفي أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبدالله العكبرى الضرير النحوى الحاسب اللغوى وكان حنبليا صحب ابن الخشاب النحوى وغيره (وفيها) توفي أبو الحسن على بن القاسم بن على بن الحسن الدمشقى الحافظ ابن الحافظ ابن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان وسمع بها الحديث فاكثر وعاد الى بغداد وكان قد وقع على القفل الذى هو فيه في الطريق حرامية وجرحوا ابن عساكر المذكور ووصل على تلك الحال الى بغداد وبقى بها حتى توفي في هذه السنة في جمادى الاولى رحمه الله (ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة) والفرنج متملكون على دمياط

والسلطان الملك الكامل مستقر في المنصورة مرابط للجهاد والملك الاشرف في حران وكان الملك الاشرف قد أقطع عماد الدين احمد بن سيف الدين على بن أحمد المشطوب رأس عين فخرج على الملك الاشرف وجمع ابن المشطوب المذكور جمع وحسن لصاحب سنجار محمود بن قطب الدين الخروج عن طاعة الاشرف أيضاً فخرج بدر الدين لولو من الموصل وحصر ابن المشطوب بتل اعفر وأخذه بالامان ثم قبض عليه وأعلم الملك الاشرف بذلك فسر به غاية السرور واستمر عماد الدين احمد بن سيف الدين بن المشطوب في الحبس ثم سار الملك الاشرف من حران واستولى على دنيسر وقصد سنجار فاتته رسل صاحبها محمود بن قطب الدين يسأل ان يعطى الرقة عوض سنجار ليسلم سنجار الى الملك الاشرف فاجاب الملك الاشرف الى ذلك وتسلم سنجار في مستهل جمادى الاولى وسلم اليه الرقة وهذا كان من سعادة الملك الاشرف فان أباه الملك العادل نازل سنجار في جموع عظيمة وطال عليها مقامه فلم يملكها وملكها ابنه الملك الاشرف باهون سعى وبعد ان فرغ الملك الاشرف من سنجار سار الى الموصل ووصل اليها في تاسع عشر جمادى الاولى وكان يوم وصوله اليها يوما مشهودا وكتب الى مظفر الدين صاحب اربل يأمره ان يعيد صهره عماد الدين زنكى بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود ابن عماد الدين زنكى على بدر الدين لولو القلاع التى استولى عليها فأعادها جميعها وترك في يده منها العمادية واستقر الصلح بين الملك الاشرف وبين مظفر الدين كوكبورى صاحب اربل وعماد الدين زنكى بن أرسلان شاه صاحب العقر وشوش والعمادية وكذلك استقر الصلح بينهم وبين صاحب الموصل بدر الدين لولو ولما استقر ذلك رحل الملك الاشرف عن الموصل ثانى شهر رمضان من هذه السنة وعاد الى سنجار وسلم بدر الدين لولو قلعة تلعفر الى الملك الاشرف ونقل الملك الاشرف ابن المشطوب من حبس الموصل وحطه مقيدا في جب بمدينة حران حتى مات سنة تسع عشرة وستمائة ولقى بغيه وخروجه مرة بعد أخرى

ذكر وفاة الملك المنصور صاحب حماة

(وفي هذه السنة) توفي الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب صاحب حماة بقلعة حماة في ذى القعدة وكانت مدة مرضه احدى وعشرين يوما بحمى جادة وورم دماغه وكان شجاعاً عالماً يحب العلماء ورد اليه منهم جماعة كثيرة مثل الشيخ سيف الدين على الآمدى وكان في خدمة الملك المنصور قريب مائتى متعمم من النحاة والفقهاء والمشتغلين بغير ذلك وصنف الملك المنصور عدة مصنفات مثل المضمار في التاريخ وطبقات الشعراء وكان معتنيا بعمارة بلده والنظر في مصالحه

وهو الذى بنى الجسر الذى هو بظاهر حماة خارج باب حمص واستقر له بعد وفاة والده من البلاد حماة والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم * ولما فتح بارين وكانت بيد ابراهيم ابن المقدم ألزمه عمه السلطان الملك العادل أن يردها عليه فأجاب الى تسليم منبج وقلعة نجم عوضا عنها وهما خير من بارين بكثير اختار ذلك لقرب بارين من بلده وجرت له حروب مع الفرنج وانتصر فيها وكان ينظم الشعر

ذكر استيلاء الملك الناصر ابن الملك المنصور على حماة

ولما توفي الملك المنصور كان ولده الملك المظفر المعهود اليه بالسلطنة عند خاله الملك الكامل بديار مصر في مقابلة الفرنج وكان ولده الآخر الملك الناصر صلاح الدين قليج ارسلان عند خاله الآخر الملك المعظم صاحب دمشق وهو في الساحل في الجهاد وقد فتح قيسارية وهدمها وسار الى عثليث ونازلها وكان الوزير بحماة زين الدين بن فريج فاتفق هو والكبراء على استدعاء الملك الناصر لعلمهم بلين عريكته وشدة بأس الملك المظفر فارسلوا الى الملك الناصر وهو مع الملك المعظم كما ذكرنا فمنعه الملك المعظم من التوجه الا بتقرير مال عليه يحمله الى الملك المعظم في كل سنة قيل ان مبلغه أربعمائة ألف درهم * فلما أجاب الملك الناصر الى ذلك وحلف عليه أطلقه الملك المعظم فقدم الملك الناصر الى حماة واجتمع بالوزير زين الدين بن فريج والجماعة الذين كاتبوه فاستحلفوه على ما أرادوا وأصعدوه الى القلعة ثم ركب من القلعة بالسناجق السلطانية وكان عمره اذذاك سبع عشرة سنة لان مولده سنة ستمائة * ولما استقر الملك الناصر في ملك حماة وبلغ أخاه الملك المظفر ذلك استأذن الملك الكامل في المضى الى حماة ظنا منه انه اذا وصل اليها يسلمونها اليه بحكم الايمان التى كانت له في أعناقهم فأعطاه الملك الكامل الدستور وسار الملك المظفر حتى وصل الى الغور فوجد خاله الملك المعظم صاحب دمشق هناك فاخبره ان أخاه الملك الناصر قد ملك حماة ويخشى عليه انه ان وصل اليه يعتقله فسار الملك المظفر الى دمشق وأقام بداره المعروفة بالزنجيلى وكتب الملك المعظم والملك المظفر الى أكابر حماة في تسليمها الى الملك المظفر فلم يحصل منهم اجابة فعاد الملك المظفر الى مصر وأقام في خدمة الملك الكامل وأقطعه اقطاعاً بمصر الى ان كان ما سنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر استيلاء الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل على خلاط وميا فارقين

كان قد استقر بيد الملك المظفر المذكور الرها وسروج وكانت ميا فارقين وخلاط بيد

الملك الاشرف ولم يكن للملك الاشرف ولد فجعل أخاه الملك المظفر غازى ولى عهده وأعطاه ميا فارقين وخلاط وبلادها وهى اقليم عظيم يضاهى ديار مصر وأخذ الملك الاشرف منه الرها وسروج (وفي هذه السنة) توفي بالموصل الشيخ صدر الدين محمد ابن عمر بن حمويه شيخ الشيوخ بمصر والشام وكان فقيها فاضلا من بيت كبير بخراسان وخلف أربعة بنين عرفوا باولاد الشيخ تقدموا عند السلطان الملك الكامل وسنذكر بعض أخبارهم في موضعها ان شاء الله تعالى وكان الشيخ صدر الدين المذكور قد توجه رسولا الى بدر الدين لولو صاحب الموصل فمات هناك

ذكر مسير التتر الى خوارزم شاه وانهزامه وموته

لما ملك التتر سمرقند أرسل جنكزخان لعنه الله عشرين ألف فارس في أثر خوارزم شاه محمد بن تكش * وهذه الطائفة يسميها التتر المغربة لانها سارت نحو غرب خراسان فوصلوا الى موضع يقال له بنج آو وعبروا هناك نهر جيحون وصاروا مع خوارزم شاه في بر واحد فلم يشعر خوارزم شاه وعسكره الا والتتر معه فتفرق عسكره وذهبوا ايدى سبا ورحل خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش لايلوى على شئ في نفر من خواصه ووصل الى نيسابور والتتر في أثره * فلما قربوا منه رحل خوارزم شاه الى مازندران والتتر في أثره لايلتفتون الى شئ من البلاد ولا الى غير ذلك بل قصدهم ادراك خوارزم شاه وسار من مازندران الى مرسى من بحر طبرستان يعرف بالسكون وله هناك قلة في البحر فعبر هو وأصحابه اليها فوقف التتر على ساحل البحر وأيسوا من اللحاق بخوارزم شاه * ولما استقر خوارزم شاه بهذه القلعة توفي فيها وهو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش بن ارسلان بن اطسز بن محمد بن انوشتكين غرشه وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهورا واتسع ملكه وعظم محله ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس وكان فاضلا عالما بالفقه والاصول وغيرهما وكان صبورا على التعب وادمان السير وسنذكر شيئاً من أخباره عند ذكر مقتل ولده جلال الدين ولما آيس التتر من ادراك خوارزم شاه عادوا الى مازندران ففتحوها وقتلوا أهلها ثم ساروا الى الرى وهمذان ففعلوا كذلك من الفتك والسبى ثم ملكوا مراغة في صفر سنة ثمان عشرة وستمائة ثم ساروا الى حران واستولوا عليها ونازلوا خوارزم وقاتلهم أهلها مدة أشد قتال ثم فتحوها وكان لهما سد في نهر جيحون ففتحوه وركب خوارزم الماء فغرقها وفعلوا في هذه البلاد جميعها من قتل أهلها وسبى ذراريهم وقتل العلماء والصلحاء والزهاد والعباد وتخريب الجوامع وتحريق

المساحف مالم يسمع بمثله في تاريخ قبل الاسلام ولا بعده فان واقعة بختنصر مع بنى اسرائيل لاتنسب الى بعض بعض مافعله هؤلاء فان كل واحدة من المدن التى أخربوها أعظم من القدس بكثير وكل أمة قتلوهم من المسلمين أضعاف بنى اسرائيل الذين قتلهم بختنصر * ولما فرغ التتر من خراسان عادوا الى ملكهم فجهز جيشا كثيفا الى غزنة وبها جلال الدين منكبرنى بن علاء الدين محمد خوارزم شاه المذكور مالكا لها وقد اجتمع اليه جمع كثير من عسكر أبيه قيل كانوا ستين ألف مقاتل وكان الجيش الذى سار اليهم من التتر اثنى عشر ألفا فالتقوا مع جلال الدين واقتتلوا قتالا شديدا وأنزل الله نصره على المسلمين وانهزمت التتر وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤا ثم أرسل جنكزخان لعنه الله عسكرا أكثر من أول مع بعض أولاده ووصلوا الى كابل وتصافف معهم المسلمون فانهزم التتر ثانيا وقتل المسلمون فيهم وغنموا شيئاً كثيرا وكان في عسكر جلال الدين أمير كبير مقدام هو الذى كسر التتر على الحقيقة يقال له بغراق وقع بينه وبين أمير كبير يقال له ملك خان وهو صاحب هراة وله نسب الى خوارزم شاه فتنة بسبب المكسب قتل فيها أخو بغراق فغضب بغراق وفارق جلال الدين وسار الى الهند وتبعه ثلاثون ألف فارس ولحقه جلال الدين منكبرنى واستعطفه فلم يرجع فضعف عسكر جلال الدين بسبب ذلك ثم وصل جنكزخان اللعين بنفسه في جيوشه وقد ضعف جلال الدين بما نقص من جيوشه بسبب بغراق فلم يكن له بجنكزخان قدرة فترك جلال الدين البلاد وسار الى الهند وتبعه جنكزخان حتى أدركه على ماء عظيم وهو نهر السند ولم يلحق جلال الدين ومن معه أن يعبروا النهر فاضطروا الى القتال وجرى بينهم وبين جنكزخان قتال عظيم لم يسمع بمثله وصبر الفريقان ثم تأخر كل منهما عن صاحبه فعبر جلال الدين ذلك النهر الى جهة الهند وعاد جنكزخان فاستولى على غزنة وقتلوا أهلها ونهبوا أموالهم وكان قد سار من التتر فرقة عظيمة الى جهة القفجاق واقتتلوا معهم فهزمهم التتر واستولوا على مدينة القفجاق العظمى وتسمى سوادق وكذلك فعلوا بقوم يقال لهم اللكزى بلادهم قرب دربند شروان ثم سار التتر الى الروس وانضم الى الروس القفجاق وجرى بينهم وبين التتر قتال عظيم انتصر فيه التتر عليهم وشردوهم قتلا وهربا في البلاد (وفيها) في شوال توفي رضى الدين المؤيد ابن محمد بن على الطوسى الاصل النيسابورى الدار المحدث وكان أعلى المتأخرين اسنادا سمع كتاب مسلم من الفقيه أبى عبد الله محمد بن الفضل القراوى وكان القراوى فاضلا قرأ الاصول على امام الحرمين وسمع القراوى المذكور صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسى وكان عبد الغافر اماما في الحديث صنف شرح مسلم وغيره وتوفي محمد بن الفضل

القراوى سنة ثلاثين وخمسمائة وتوفي عبد الغافر في سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكانت ولادة رضى الدين المؤيد المذكور في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ظنا (ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة)

ذكر عود دمياط الى المسلمين

﴿ وفي هذه السنة ﴾ قوى طمع الفرنج المتملكين دمياط في ملك الديار المصرية وتقدموا عن دمياط الى جهة مصر ووصلوا الى المنصورة واشتد القتال بين الفريقين برا وبحرا وكتب السلطان الملك الكامل متواترة الى اخوته وأهل بيته يستحثهم على انجاده فسار الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل صاحب دمشق الى أخيه الملك الاشرف وهو ببلاده الشرقية واستنجده وطلب منه المسير الى أخيهما الملك الكامل فجمع الملك الاشرف عساكره واستصحب عسكر حلب وكذلك استصحب معه الملك الناصر قليج أرسلان ابن الملك المنصور صاحب حماة وكان الملك الناصر خائفا من السلطان الملك الكامل ان ينتزع حماة منه ويسلمها الى أخيه الملك المظفر فحلف الملك الاشرف للملك الناصر صاحب حماة انه مايمكن أخاه السلطان الملك الكامل من التعرض اليه فسار معه بعسكر حماة وكذلك سار صحبة الملك الاشرف كل من صاحب بعلبك الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب وصاحب حمص الملك المجاهد شيركوه بن محمد ابن شيركوه بن شاذى وسار الملك المعظم عيسى بعسكر دمشق ووصلوا الى الملك الكامل وهو في قتال الفرنج على المنصورة فركب والتقى أخويه ومن في صحبتهما من الملوك وأكرمهم وقويت نفوس المسلمين وضعفت نفس الفرنج بما شاهدوه من كثرة عساكر الاسلام وتجملهم واشتد القتال بين الفريقين ورسل الملك الكامل وأخويه مترددة الى الفرنج في الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وجميع مافتحه السلطان صلاح الدين من الساحل ماعدا الكرك والشوبك على ان يجيبوا الى الصلح ويسلموا دمياط الى المسلمين فلم يرض الفرنج بذلك وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضا عن تخريب أسوار القدس فان الملك المعظم عيسى خربها كما تقدم ذكره وقالوا لابد من تسليم الكرك والشوبك وبينا الامر متردد في الصلح والفرنج ممتنعون من الصلح اذ عبر جماعة من عسكر المسلمين في بحر المحلة الى الارض التى عليها الفرنج من بر دمياط ففجروا فجرة عظيمة من النيل وكان ذلك في قوة زيادته والفرنج لاخبرة لهم بامر النيل فركب الماء تلك الارض وصار حائلا بين الفرنج وبين دمياط وانقطع عنهم الميرة والمدد فهلكوا جوعا وبعثوا يطلبون الامان على ان ينزلوا عن جميع ما بذله المسلمون لهم ويسلموا دمياط ويعقدوا مدة للصلح وكان فيهم

عـدة ملوك كبار نحو عشرين ملكا فاختلفت الآراء بين يدى السلطان الملك الكامل في أمرهم فبعضهم قال لا نعطيهم امانا ونأخذهم ونتسلم بهم مابقى بأيديهم من الساحل مثل عكا وغيرها ثم اتفق آراؤهم على اجابتهم الى الامان لطول مدة البكار وتضجر العساكر لأنهم كان لهم ثلاث سنين وشهور في القتال معهم فأجابهم الملك الكامل الى ذلك وطلب الفرنج رهينة من الملك الكامل فبعث ابنه الملك الصالح أيوب وعمره يومئذ خمس عشرة سنة الى الفرنج رهينة وحضر من الفرنج رهينة على ذلك ملك عكا ونائب البابا صاحب رومية الكبرى وكندريس وغيرهم من الملوك وكان ذلك سابع رجب من هذه السنة واستحضر الملك الكامل ملوك الفرنج المذكورين وجلس لهم مجلسا عظيما ووقف بين يديه الملوك من اخوته وأهل بيته جميعهم وسلمت دمياط الى المسلمين تاسع عشر رجب من هذه السنة وقد حصنها الفرنج الى غاية مايكون وولاها السلطان الملك الكامل الامير شجاع الدين حلدك التقوى وهو من مماليك الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وهنأت الشعراء الملك الكامل بهذا الفتح العظيم ثم سار السلطان الملك الكامل ودخل دمياط ومعه اخوته وأهل بيته وكان يوما مشهودا ثم توجه الى القاهرة وأذن للملوك في الرجوع الى بلادهم فتوجه الملك الاشرف الى الشرق وانتزع الرقة من محمود وقيل اسمه عمر بن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى بن مودود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر ولقى بغيه على أخيه فانا ذكرنا كيف وثب على أخيه وقتله وأخذ سنجار ثم أقام الملك الاشرف بالرقة وورد اليه الملك الناصر صاحب حماة فاقام عنده مدة ثم عاد الى بلده

ذكر وفاة صاحب آمد

﴿ وفي هذه السنة ﴾ توفي الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب آمد وحصن كيفا بالقولنج وقام في الملك بعده ولده الملك المسعود وهو الذى انتزع منه الملك الكامل آمد وكان الملك الصالح المذكور قبيح السيرة * وقد أورد ابن الاثير وفاته في سنة تسع عشرة

ذكر غير ذلك من الحوادث

﴿ في هذه السنة ﴾ في جمادى الآخرة خنق قتادة بن ادريس العلوى الحسنى أمير مكة وعمره نحو تسعين سنة وكانت ولايته قد اتسعت الى نواحى اليمن وكان حسن السيرة في مبتدأ أمره ثم أساء السيرة وجدد المظالم والمكوس وصورة ماجرى له ان قتادة كان مريضاً فارسل عسكرا مع أخيه ومع ابنه الحسن بن قتادة للاستيلاء على مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وأخذها من صاحبها فوثب الحسن بن قتادة في أثناء الطريق

على عمه فقتله وعاد الى أبيه قتادة بمكة فخنقه وكان له أخ نائباً بقلعة ينبع عن أبيه فارسل اليه الحسن فحضر الى مكة فقتله أيضا وارتكب الحسن أمرا عظيما قتل عمه وأباه وأخاه في أيام يسيرة واستقر في ملك مكة وقيل ان قتادة كان يقول الشعر وطولب أن يحضر الى أمير الحاج العراقى فامتنع وعوتب من بغداد فاجاب بابيات منها

ولى كف ضرغام أصول ببطشها ... وأشرى بها بين الورى وأبيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها ... وفي بطنها للمجد بين ربيع
أأجعلها تحت الرحى ثم أبتغى ... خلاصا لها انى اذن لرقيع
وما أنا الا المسك فى كل بلدة ... يضوع وأما عندكم فيضيع

﴿ وفيها ﴾ توفي جلال الدين الحسن صاحب الالموت ومقدم الاسماعيلية وولى بعده ابنه علاء الدين محمد ﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة ﴾ في هذه السنة استقل بدر الدين لولو بملك الموصل وتوفي الطفل الذى كان قد نصبه في المملكة وهو ناصر الدين محمود ابن الملك القاهر مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى بن اقسنقر وسمى لولو نفسه الملك الرحيم وكان قد اعتضد بالملك الاشرف ابن الملك العادل فدافع عنه ونصره وقلع لولو البيت الاتابكى بالكلية واستمر مالكا للموصل نيفا وأربعين سنة سوى ماتقدم له من الاستيلاء والتحكم في أيام أستاذه نور الدين أرسلان شاه وابنه الملك القاهر مسعود ﴿ وفي هذه السنة ﴾ سار الملك الاشرف الى خدمة أخيه الملك الكامل وأقام عنده بمصر متنزها الى ان خرجت هذه السنة ﴿ وفي هذه السنة ﴾ فوض الاتابك طغريل الخادم مدبر مملكة حلب الى الملك الصالح أحمد بن الظاهر أمر الثغر وبكاس فسار الملك الصالح من حلب واستولى عليهما وأضاف اليه الروج ومعرة ومصرين ﴿ وفي هذه السنة ﴾ قصد الملك المعظم عيسى صاحب دمشق حماة لان الملك الناصر صاحب حماة كان قد التزم له بمال يحمله اليه اذا ملك حماة فلم يف له فقصد الملك المعظم حماة ونزل بقبرين وغلقت ابواب حماة فقصدها الملك المعظم وجرى بينهم قتال قليل ثم ارتحل الملك المعظم الى سلمية فاستولى على حواصلها وولى عليها ثم توجه الى المعرة فاستولى عليها وأقام فيها واليا من جهته وقرر أمورها ثم عاد الى سلمية فأقام بها حتى خرجت هذه السنة على قصد منازلة حماة ﴿ وفي هذه السنة ﴾ حج من اليمن الملك المسعود يوسف الملقب اطسز وهو اسم تركى والعامة تسميه اقسيس وكان قد استولى على اليمن سنة اثنتى عشرة وستمائة وقبض على سليمان شاه بن شاهنشاه بن عمر بن شاهنشاه ابن أيوب وحج في هذه السنة * فلما وقف الملك المسعود في هذه السنة بعرفة وتقدمت

اعلام الخليفة الامام الناصر لترفع على الجبل تقدم الملك المسعود بعساكره ومنع من ذلك وأمر بتقديم اعلام أبيه السلطان الملك الكامل على اعلام الخليفة فلم يقدر أصحاب الخليفة على منعه من ذلك ثم عاد الملك المسعود الى اليمن وبلغ ذلك الخليفة فعظم عليه وأرسل يشكو الى الملك الكامل فاعتذر عن ذلك فقبل عذره وأقام الملك المسعود في اليمن مدة يسيرة ثم عاد الى مكة ليستولى عليها فقابله الحسن بن قتادة فانتصر الملك المسعود وانهزم الحسن بن قتادة واستقرت مكة في ملك الملك المسعود وولى عليها وذلك في ربيع الاول من سنة عشرين وستمائة ثم عاد الى اليمن (وفيها) توفي الشيخ يونس بن يوسف بن مساعد شيخ الفقراء المعروفة باليونسية وكان رجلا صالحا وله كرامات وكانت وفاته بقرية القنية من أعمال دارا وقد ناهز تسعين سنة وقبره مشهور هناك ﴿ ثم دخلت سنة عشرين وستمائة ﴾ والاشرف بديار مصر عند أخيه الملك الكامل وأخوهما الملك المعظم بسلمية مستول عليها وعلى المعرة عازم على حصار حماة وبلغ الملك الاشرف مافعله أخوه المعظم بصاحب حماة فعظم عليه ذلك واتفق مع أخيه الكامل على الانكار على الملك المعظم وترحيله فارسل اليه الملك الكامل ناصح الدين الفارسى فوصل الى الملك المعظم وهو بسلمية وقال له السلطان يأمرك بالرحيل فقال السمع والطاعة وكانت اطماعه قد قويت على الاستيلاء على حماة فرحل مغضبا على اخويه الكامل والاشرف ورجعت المعرة وسلمية للناصر وكان الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب مقيما عند الملك الكامل بالديار المصرية كما تقدم ذكره وكان الملك الكامل يؤثر تمليكه حماة لكن الملك الاشرف غير مجيب الى ذلك لانتماء الملك الناصر صاحب حماة اليه وجرى بين الكامل والاشرف في ذلك مراجعات كثيرة آخرها انهما اتفقا على نزع سلمية من يد الناصر قليج ارسلان وتسليمها الى أخيه الملك المظفر فتسلمها الملك المظفر وأرسل اليها وهو بمصر نائبا من جهته حسام الدين أبا على بن محمد بن على الهذبانى واستقر بيد الملك الناصر حماة والمعرة وبعرين ثم سار الاشرف من مصر واستصحب معه خلعة وسناجق سلطانية من أخيه الملك الكامل للملك العزيز صاحب حلب وعمره يومئذ عشر سنين ووصل الاشرف بذلك الى حلب وأركب الملك العزيز في دست السلطنة ﴿ وفي هذه السنة ﴾ لما وصل الملك الاشرف بالخلعة المذكورة الى حلب اتفق مع الملك الاشرف كبراء الدولة الحلبية على تخريب قلعة اللاذقية فارسلوا عسكرا وهدموها الى الارض

ذكر أحوال غياث الدين اخى جلال الدين ابنى خوارزم شاه محمد

كان لجلال الدين منكبرنى أخ يقال له غياث الدين تيز شاه وكان قد ملك غياث الدين

المذكور كرمان * فلما توجه جلال الدين منكبرنى الى الهند كما تقدم ذكره في سنة سبع عشرة تغلب غياث الدين على الرى واصفهان وهمذان وغير ذلك من عراق العجم وهى البلاد المعروفة ببلاد الجبل فخرج على غياث الدين خاله يعيان طابسى وكان أكبر أمرائه وأقربهم اليه فاقتتل مع غياث الدين فانهزم يعيان طابسى ومن معه وأقام غياث الدين في بلاده مؤيدا منصورا

﴿ ذكر حادثة غريبة ﴾

كان أهل مملكة الكرج قد مات ملكهم ولم يبق من بيت الملك غير امرأة فملكوها وطلبوا لها رجلا يتزوجها ويقوم بالملك ويكون من أهل بيت المملكة فلم يجدوا فيهم أحدا يصلح لذلك وكان صاحب ارزن الروم مغيث الدين طغريل شاه بن قليج ارسلان السلجوقى من بيت كبير مشهور فارسل يخطب الملكة لولده ليتزوجها فامتنعوا من اجابته الا ان يتنصر فامر ولده فتنصر وسار الى الكرج وتزوج ملكتهم وكانت هذه الملكة تهوى مملوكا لها ويعلم ابن طغريل شاه بذلك وتكامن فدخل يوما الى البيت فوجد المملوك نائماً معها في الفراش فلم يصبر المذكور على ذلك فانكر عليها فاخذته زوجته واعتقلته في بعض القلاع ثم أحضرت رجلين كانا قد وصفا لها بحسن الصورة فتزوجت أحدهما ثم فارقته وأحضرت انسانا من كنجة مسلما وهويته وسألته ان يتنصر لتتزوج به فلم يجب الى ذلك وترددت الرسل بينهما في ذلك مدة فلم يجبها الى التنصر

﴿ ذكر وفاة ملك الغرب ﴾

(في هذه السنة) توفي يوسف المستنصر ملك الغرب ابن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن * وقد تقدم ذكر ولايته في سنة عشر وستمائة وكان يوسف المذكور منهمكا في اللذات فدخل الوهن على الدولة بسبب ذلك ولم يخلف يوسف المذكور ولدا فاجتمع كبراء الدولة وأقاموا عم أبيه لكبر سنه وهو عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ولقبوه المستضىء وكان عبد الواحد المذكور قد صار فقيرا بمراكش وقاسى الدهر * فلما تولى اشتغل باللذات والتنعم في المآكل والملابس من غير ان يشرب خمرا ثم خلع عبد الواحد المذكور بعد تسعة أشهر من ولايته وقتل وملك بعده ابن أخيه عبد الله وتلقب بالعادل وهو عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن (ثم دخلت سنة احدى وعشرين وستمائة) في هذه السنة وصل التتر الى قرب تبريز وأرسلوا الى صاحبها أزبك بن البهلوان يقولون له ان كنت في طاعتنا فارسل من عندك من الخوارزمية الينا فاوقع أزبك بمن عنده من الخوارزمية وقتل بعضهم وأسر الباقين وأرسلهم الى التتر مع تقدمة عظيمة فكفوا عن

بلاد أزبك وعادوا الى بلاد خراسان ﴿وفيها﴾ استولى غياث الدين تيز شاه أخو جلال الدين بن خوارزم شاه على غالب مملكة فارس وكان صاحب فارس يقال له الاتابك سعد بن دكلا وأقام غياث الدين بشيراز وهى كرسى مملكة فارس ولم يبق مع الاتابك سعد من فارس غير الحصون المنيعة ثم اصطلح غياث الدين مع الاتابك سعد على أن يكون لسعد بعض بلاد فارس ولغياث الدين الباقى

(ذكر عصيان المظفر غازي بن العادل على اخيه الملك الاشرف)

كان الملك الاشرف قد أنعم على أخيه الملك المظفر غازى بخلاط وهى مملكة عظيمة وهى اقليم أرمينية وكان قد حصل بين الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبين أخويه الكامل والاشرف وحشة بسبب ترحيله عن حماة كما قدمنا ذكره فارسل المعظم وحسن لاخيه المظفر غازى صاحب خلاط العصيان على أخيه الملك الاشرف فاجاب الملك المظفر الى ذلك وخالف أخاه الملك الاشرف وكان قد اتفق مع المعظم والمظفر غازى صاحب اربل مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كجك وكان بدر الدين لولو متنميا الى الملك الاشرف فسار مظفر الدين صاحب أربل وحصر الموصل عشرة أيام وكان نزوله على الموصل ثالث عشر جمادى الآخرة من هذه السنة ليشغل الملك الاشرف عن قصد أخيه بخلاط ثم رحل مظفر الدين عن الموصل لحصانتها فلم يلتفت الملك الاشرف الى محاصرة الموصل وسار الى خلاط وحصر أخاه شهاب الدين غازى فسلمت اليه مدينة خلاط وانحصر أخوه غازى بقلعتها الى الليل فنزل من القلعة الى أخيه الملك الاشرف واعتذر اليه فقبل عذره وعفى عنه وأقره على ميافارقين وارتجع باقى البلاد منه وكان استيلاء الملك الاشرف على خلاط وأخذها من أخيه في جمادى الآخرة من هذه السنة (ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة)

(ذكر وصول جلال الدين من الهند الى البلاد)

قد تقدم في سنة سبع عشرة وستمائة ذكر هروب جلال الدين من غزنة لما قصده جنكزخان وانه دخل بلاد الهند فلما كانت هذه السنة قدم من الهند الى كرمان ثم الى أصفهان واستولى عليها وعلى باقى عراق العجم ثم سار الى فارس وانتزعها من أخيه غياث الدين تيزشاه بن محمد وأعادها الى صاحبها اتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس وصار اتابك سعد المذكور وغياث الدين تيزشاه أخو جلال الدين تحت حكم جلال الدين وفي طاعته ثم استولى جلال الدين على خوزستان وكاتب الخليفة الامام الناصر ثم سار جلال الدين حتى قارب بغداد ووصل الى يعقوبا وخاف أهل بغداد منه واستعدوا للحصار ونهبت الخوارزمية البلاد وامتلأت أيديهم من الغنائم وقوى أمر جلال الدين وجميع عسكره

الخوارزمية ثم سار الى قريب أربل فصالحه صاحبها مظفر الدين ودخل في طاعته ثم سار جلال الدين الى أذربيجان وكرسى مملكتها تبريز فاستولى على تبريز وهرب صاحب أذربيجان وهو مظفر الدين أزبك بن البهلوان ابن الدكز وكان أزبك المذكور قد قوى أمره لما قتل طغريل آخر الملوك السلجوقية ببلاد العجم فاستقل أزبك المذكور في المملكة وكان أزبك المذكور لايزال مشغولا بشرب الخمر وليس له التفات الى تدبير المملكة فلما استولى جلال الدين على تبريز هرب أزبك الى كنجة وهى من بلاد أران قرب بردعه ومتاخمة لبلاد الكرج واستقل السلطان جلال الدين بملك أذربيجان وكثرت عساكره واستفحل أمره ثم جرى بين جلال الدين وبين الكرج قتال شديد انهزم فيه الكرج وتبعهم الخوارزمية يقتلونهم كيف شاؤا واتفق انه ثبت على قاضى تبريز وقوع الطلاق من أزبك بن البهلوان بن الدكز على زوجته بنت السلطان طغريل آخر الملوك السلجوقية المقدم ذكره فتزوج جلال الدين ببنت طغريل المذكور وأرسل جيشا الى مدينة كنجة ففتحوها فهرب مظفر الدين أزبك بن محمد البهلوان من كنجة الى قلعة هناك ثم هلك وتلاشى أمره

ذكر وفاة الملك الافضل نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف

(في هذه السنة) توفي الملك الافضل المذكور وليس بيده غير سميساط فقط وكان موته فجأة وعمره سبع وخمسون سنة وكان الملك الافضل فاضلا حسن السيرة وتجمعت فيه الفضائل والاخلاق الحسنة وكان مع ذلك قليل الحظ وله الاشعار الحسنة فمنها يعرض الى سوء حظه قوله

يامن يسود شعره بخضابه ... لعساه من أهل الشيبة يحصل
هافاختضب بسواد حظى مرة ... ولك الامان بانه لا ينصل

ولما أخذت منه دمشق كتب الى بعض أصحابه كتابا منه أما أصحابنا بدمشق فلا علم لى بأحد منهم وسبب ذلك

أى صديق سألت عنه فنى ... الذل وتحت الخمول في الوطن
وأى ضد سألت حالته ... سمعت مالا تحبه أذنى

(ذكر وفاة الامام الناصر)

وفي أول شوال من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدة خلافته نحو سبع وأربعين سنة وعمى في آخر عمره وكان موته بالدوسنطاريا وهو الامام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضئ حسن ابن المستنجد يوسف ابن المقتفى محمد ابن

المستظهر أحمد ابن المقتدى عبد الله ابن الامير ذخيرة الدين محمد ابن القائم عبد الله ابن القادر أحمد ابن الامير اسحق ابن المقتدر جعفر ابن المكتفى على ابن المعتضد أحمد ابن الامير الموفق قيل اسمه طلحة وقيل محمد ابن المتوكل جعفر ابن المعتصم محمد ابن الرشيد هرون ابن المهدى محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب بن هاشم وكان عمر الامام الناصر نحو سبعين سنة وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً لهم خرب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد وكان يتشيع وكان منصرف الهمة الى رمي البندق والطيور المناسيب ويلبس سراويلات الفتوة ومنع رمى البندق الامن ينسب اليه فأجابه الناس الى ذلك الا انسانا واحدا يقال له ابن السفت وهرب من بغداد الى الشام وقد نسب الامام الناصر انه هو الذى كاتب التتر وأطمعهم في البلاد بسبب ما كان بينه وبين خوارزم شاه محمد بن تكش من العداوة ليشغل خوارزم شاه بهم عن قصد العراق

(ذكر خلافة ابنه الظاهر)

وهو خامس ثلاثينهم ولما توفي الامام الناصر بويع ولده الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد فاظهر العدل وازال الكوس وأخرج المحبوسين وظهر للناس وكان الناصر ومن قبله لا يظهرون الا نادرا ولم تطل مدته في الخلافة غير تسعة أشهر (ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة) فيها سار الملك المعظم عيسى بن العادل صاحب دمشق ونازل حمص وكان قد اتفق مع جلال الدين بن خوارزم شاه ومع مظفر الدين صاحب أربل على أن يكونوا يدا واحدة وكان الملك الاشرف ببلاده الشرقية ثم رحل المعظم عن حمص الى دمشق بسبب كثرة ما مات من خيله وخيل عسكره وورد عليه أخوه الملك الاشرف طلبا للصلح وقطعا للفتن فبقى مكرما ظاهرا وهو في الباطن كالاسير معه وأقام الملك الاشرف عند أخيه المعظم الى ان انقضت هذه السنة وأما الملك الكامل فانه كان بمصر وقد تخيل من بعض عسكره فما أمكنه الخروج عنها (وفي هذه السنة) فتح السلطان جلال الدين تفليس من الكرج وهى من المدن العظام (وفي هذه السنة) سار جلال الدين ونازل خلاط وهى منازلته الاولى فطال القتال بينهم وكان نائب الاشرف بخلاط الحاجب حسام الدين على الموصلى وكان نزوله عليها ثالث عشر ذى القعدة ورحل عنها لسبع بقين من ذى الحجة من هذه السنة بسبب كثرة الثلوج

(ذكر وفاة الخليفة الظاهر بأمر الله)

وفي رابع عشر رجب من هذه السنة توفي الخليفة الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله وكان متواضعا محسنا الى الرعية جدا وأبطل عدة مظالم منها انه كان بخزانة

الخليفة صنجة زائدة يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التى يتعامل بها الناس وكان زيادة الصنجة في كل دينار حبة فخرج توقيع الظاهر بابطال ذلك وأوله (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وعمل صنجة المخزن مثل صنجة المسلمين وكان مضادا لابيه الناصر في كثير من أحواله منها ان مدة خلافة أبيه كانت طويلة ومدة خلافته كانت قصيرة وكان أبوه متشيعا وكان الظاهر سنيا وكان أبوه ظالماً جماعا للمال وكان الظاهر في غاية العدل وبذل الاموال للمحبوسين على الديون وللعلماء

(ذكر خلافة المستنصر)

وهو سادس ثلاثينهم ولما توفي الظاهر ولي الخلافة بعده ولده الاكبر المستنصر بالله أبو جعفر المنصور وكان للظاهر ولد آخر يقال له الخفاجى في غاية الشجاعة وبقى حيا حتى أخذت التتر بغداد وقتل مع من قتل ولما تولى المستنصر الخلافة سلك في العدل والاحسان مسلك أبيه الظاهر

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) سار علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم الى بلاد الملك المسعود الارتكى صاحب آمد فنزل كيقباذ بملطية وهى من بلاد كيقباذ وأرسل عسكرا ففتحوا حصن منصور وحصن الكختا وكانا لصاحب آمد المذكور (وفيها) في خامس عشر الحجة نازل جلال الدين مدينة خلاط وهى للملك الاشرف وبها نائبه حسام الدين على الحاجب وهى منازلته الثانية وجرى بينهم قتال شديد وأدركه البرد فرحل عنها في السنة المذكورة (ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة) والملك الكامل بديار مصر وجلال الدين خوارزم شاه مالك أذربيجان واران وبعض بلاد الكرج وعراق العجم وغيرها وهو موافق الملك المعظم على حرب أخويه الكامل والاشرف والرسل لا تنقطع بين المعظم وجلال الدين والملك الاشرف مقيم كالاسير عند أخيه الملك المعظم ولما رأى الملك الاشرف حاله مع أخيه المعظم وانه لا خلاص له منه الا باجابته الى ما يريد اجابه كالمكره الى ما طلبه منه وحلف له أن يعاضده ويكون معه على أخيهما الملك الكامل وأن يكون معه على صاحبى حماة وحمص فلما حلف له على ذلك أطلقه الملك المعظم فرحل الملك الاشرف في جمادى الآخرة من هذه السنة فكانت مدة مقامه مع المعظم نحو عشرة أشهر ولما استقر الملك الاشرف ببلاده رجع عن جميع ما تقرر بينه وبين أخيه الملك المعظم وتأول في أيمانه التى حلفها انه مكره ولما تحقق الملك الكامل اعتضاد أخيه الملك المعظم بجلال الدين

خاف من ذلك وكاتب الانبرطور ملك الفرنج في أن يقدم الى عكا ليشغل سر أخيه المعظم عما هو فيه ووعد الانبرطور بأن يعطيه القدس فسار الانبرطور الى عكا فبلغ المعظم ذلك فكاتب أخاه الاشرف واستعطفه (وفي هذه السنة) انتزع الاتابك طغريل الشغر وبكاس من الملك الصالح أحمد ابن الملك الظاهر وعوضه عنها بعينتاب والراوندان (وفيها) سار الحاجب حسام الدين على نائب الملك الاشرف بخلاط بعساكر الملك الاشرف الى بلاد جلال الدين واستولى على خوى وسلماس ونقجوان

(ذكر وفاة الملك المعظم صاحب دمشق)

(في هذه السنة) في ذى القعدة توفي الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب بقلعة دمشق بالدوسنطاريا وعمره تسع وأربعون سنة وكانت مدة ملكه دمشق تسع سنين وشهورا وكان شجاعا وكان عسكره في غاية التجمل وكان يجامل أخاه الملك الكامل ويخطب له ببلاده ولا يذكر اسمه معه وكان الملك المعظم قليل التكلف جدا في غالب الاوقات لا يركب بالسناجق السلطانية وكان يركب وعلى رأسه كلوته صفر أبلاشاش ويتخرق الاسواق من غير أن يطرق بين يديه كما جرت عادة الملوك ولما كثر مثل هذا منه صار الانسان اذا فعل أمرا لا يتكلف له يقال قد فعله بالمعظمى وكان عالماً فاضلا في الفقه والنحو وكان شيخه في النحو تاج الدين زيد بن الحسن الكندى وفي الفقه جمال الدين الحصيرى وكان حنفيا متعصبا لمذهبه وخالف جميع أهل بيته فانهم كانوا شافعية ولما توفي الملك المعظم ترتب في مملكته وأعمالها بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود وقام بتدبير مملكته مملوك والده وأستاذ داره الامير عز الدين أيبك المعظمى وكان لايبك المذكور صرخد

(ذكر وفاة ملك المغرب وأخبار الذين تملكوا بعده)

(وفي هذه السنة) خلع العادل عبد الله بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وقد تقدم ذكر ولايته في سنة عشرين وستمائة بعد خلع عبد الواحد وقتله وفي أيام العادل عبد الله المذكور كانت الوقعة بين المسلمين والفرنج بالاندلس على طليطله انهزمت فيها المسلمون هزيمة قبيحة وهذه الوقعة هي التى هدت دعائم الاسلام بالاندلس ولما خلع عبد الله العادل المذكور حبس ثم خنق ونهب المصموديون قصره بمراكش واستباحوا حرمه ثم ملك بعده يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ويحيى يومئذ ماخط عذاره ولما تمت بيعة يحيى وصل الخبر انه قد قام بأشبيلية ادريس ابن يعقوب المنصور وهو أخو العادل عبد الله وتلقب ادريس بالمأمون وجميعهم كانوا يتلقبون بأمير المؤمنين وتعقد البيعة لهم بالخلافة ولما استقر أمر ادريس المأمون المذكور في أشبيلية

ثارت جماعة من أهل مراكش وانضم اليهم العرب ووثبوا على يحيى بن محمد الناصر بمراكش فهرب يحيى الى الجبل ثم اتصل بعرب المعقلى فغدروا به وقتلوه وخطب للمأمون ادريس في مراكش واستقر أمره في الخلافة بالبرين بر الاندلس وبر العدوة ثم خرج على المأمون ادريس المذكور بشرق الاندلس المتوكل بن هود واستولى على الاندلس ففارق ادريس الاندلس وسار من أشبيلية وعبر البحر ووصل الى مراكش وخرجت الاندلس حينئذ عن ملك بنى عبد المؤمن ولما استقر المأمون ادريس في ملك مراكش تتبع الخارجين على من تقدمه من الخلفاء فقتلهم عن آخرهم وسفك دماء كثيرة حتى سموه لذلك حجاج المغرب وكان المأمون ادريس المذكور فصيحا عالماً بالاصول والفروع ناظما ناثرا أمر باسقاط اسم مهديهم ابن تومرت من الخطبة على المنابر وعمل في ذلك رسالة طويلة أفصح فيها بتكذيب مهديهم المذكور وضلاله ثم ثار على ادريس المذكور أخوه بسبته فسار ادريس من مراكش اليه وحصره بسبته ثم بلغ ادريس وهو محاصر سبته ان بعض أولاد محمد الناصر بن يعقوب المنصور قد دخل الى مراكش فرحل ادريس عن سبته وسار الى مراكش فمات في الطريق بين سبته ومراكش ولما مات المأمون ادريس ملك بعده ابنه عبد الواحد ابن المأمون ادريس وتلقب المذكور بالرشيد ثم توفي الرشيد عبد الواحد ابن المأمون ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن غريقا في صهريج بستان له بحضرة مراكش في سنة أربعين وستمائة وكان الرشيد عبد الواحد المذكور حسن السياسة وكان أبوه ادريس قد أبطل اسم مهديهم من الخطبة فأعاده عبد الواحد المذكور وقمع العرب الا انه تخلى للذاته لما استقر أمره ولم يخطب للرشيد عبد الواحد المذكور بأفريقية ولا بالغرب الاوسط ولما مات الرشيد عبد الواحد المذكور ملك بعده أخوه على ابن ادريس وتلقب بالمعتضد أمير المؤمنين وكان أسود اللون وكان مدحوضا في حياة والده وسجنه في بعض الاوقات وقدم عليه أخاه الصغير عبد الواحد المذكور واستمر المعتضد على بن ادريس المذكور حتى قتل وهو محاصر قلعة بالقرب من تلمسان في صفر من سنة ست وأربعين وستمائة ثم ملك بعد المعتضد الاسود المذكور أبو حفص عمر بن أبى ابراهيم بن يوسف في شهر ربيع الآخر من سنة ست وأربعين وستمائة وتلقب بالمرتضى * وفي الحادى والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستمائة دخل الواثق أبو العلاء ادريس المعروف بابى دبوس مراكش وهرب المرتضى الى ازمور من نواحى مراكش فقبض عليه عامله بها وبعث الى الواثق بذلك فأمره الواثق بقتله فقتله في العشر الاخير من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وستين وستمائة بموضع يقال له كتامة بعده عن مراكش ثلاثة أيام وأقام الواثق أبو دبوس ثلاث سنين وقتل في

الحروب التى كانت بينه وبين بنى مرين ملوك تلمسان وانقرضت دولة بنى عبد المؤمن وكان قتل الواثق أبى دبوس المذكور في المحرم سنة ثمان وستين وستمائة بموضع بينه وبين مراكش مسيرة ثلاثة أيام في جهتها الشمالية واستولى بنو مرين على ملكهم وقد حصل الاختلاف في نسب أبى دبوس فانى وجدت في بعض الكتب المؤلفة في هذا الفن ان أبا دبوس هو ابن ادريس المأمون ثم وجدت نسبه في وفيات الاعيان انه هو نفسه اسمه ادريس بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن على ماسنذكره ان شاء الله تعالى ﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة﴾ في هذه السنة أرسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن أخيه الملك الناصر داود ابن الملك المعظم صاحب دمشق حصن الشوبك فلم يعطه الملك الناصر ذلك ولا أجابه اليه فسار الملك الكامل من مصر في هذه السنة في رمضان الى الشام ونزل على تل العجول بظاهر غزة وولى على نابلس والقدس وغيرهما من بلاد ابن أخيه الملك الناصر داود المذكور صاحب دمشق حينئذ وكان صحبة الملك الكامل الملك المظفر محمود بن السلطان الملك المنصور صاحب حماة وهو موعود من الملك الكامل انه ينتزع حماة من أخيه الناصر قليج أرسلان ابن الملك المنصور ويسلمها اليه * ولما قصد الملك الكامل انتزاع بلاد الملك الناصر ابن المعظم صاحب دمشق استنجد الناصر داود بعمه الملك الاشرف وأرسل اليه وهو ببلاده الشرقية فقدم الملك الاشرف الى دمشق ودخل هو والناصر داود الى قلعة دمشق راكبين * قال القاضى جمال الدين بن واصل كنت اذذاك حاضرا بدمشق ورأيت الملك الاشرف راكبا مع ابن أخيه وعلى رأس الملك الاشرف شاش علم كبير ووسطه مشدود بمنديل وكان وصول الاشرف الى دمشق في العشر الاخير من رمضان من هذه السنة ووصل الى خدمته بدمشق الملك المجاهد شيركوه فانه كان من المنتمين الى الملك الاشرف ثم وقع الاتفاق ان يسير الناصر داود وشيركوه مع الملك الاشرف الى نابلس فيقيم الناصر داود بنابلس ويتوجه الملك الاشرف الى أخيه الكامل الى غزة شافعا في ابن أخيهما الناصر داود ففعلوا ذلك ولما وصل الملك الاشرف الى أخيه الكامل وقع اتفاقهما في الباطن على أخذ دمشق من ابن أخيهما الناصر داود وتعويضه عنها بحران والرها والرقة من بلاد الملك الاشرف وان تستقر دمشق للملك الاشرف ويكون له الى عقبة أفيق وما عدا ذلك من بلاد دمشق يكون للملك الكامل وان ينتزع حماة من الملك الناصر قليج أرسلان ويعطى الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور وان ينتزع سلمية من المظفر محمود وكانت اقطاعه لما كان مقيما بمصر عند الملك الكامل ويعطى لشيركوه صاحب حمص وخرجت السنة والاشرف عند

أخيه الكامل بظاهر غزة وقد اتفقا على ذلك

ذكر غير ذلك

﴿وفي هذه السنة﴾ عاود التتر الى قصد البلاد التى بيد جلال الدين بن خوارزم شاه وجرت بينه وبينهم حروب كثيرة كان في أكثرها الظفر للتتر (وفيها) قدم الايمبراطور الى عكا بجموعه وكان الملك الكامل قد أرسل اليه فخر الدين ابن الشيخ يستدعيه الى قصد الشام بسبب أخيه المعظم فوصل الايمبراطور وقد مات المعظم فنشب به الملك الكامل ولما وصل الايمبراطور استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب فعمر الفرنج سورها واستولوا عليها والايمبراطور معناه ملك الامراء بالفرنجية وانما اسم الايمبراطور المذكور فرديك وكان صاحب جزيرة صقلية ومن البر الطويل بلاد انبولية والانبردية * قال القاضى جمال الدين بن واصل لقد رأيت تلك البلاد لما توجهت رسولا من الملك الظاهر بيبرس الصالحى الى الايمبراطور ملك تلك البلاد قال وكان الايمبراطور من بين ملوك الفرنج فاضلا محبا للحكمة والمنطق والطب مائلا الى المسلمين لان منشأه بجزيرة صقلية وغالب أهلها مسلمون وترددت الرسل بين الملك الكامل وبين الايمبراطور الى ان خرجت هذه السنة (وفي هذه السنة) بعد فراغ جلال الدين من التتر قصد جلال الدين المذكور بلاد خلاط ونهب القرى وقتل وخرب البلاد وفعل الافعال القبيحة (وفيها) خاف غياث الدين تيزشاه من أخيه جلال الدين ففارقه واستجار بالاسماعيلية (ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة) ولما جرى بين السلطان الملك الكامل وبين أخيه الملك الاشرف الاتفاق على نزع دمشق من الناصر داود وبلغ الناصر داود ذلك وهو بنابلس فرحل الى دمشق وكان قد لحقه بالغور عمه الملك الاشرف وعرفه ماأمر به عمه الملك الكامل وانه لايمكنه الخروج عن مرسومه فلم يلتفت الناصر داود الى ذلك وسار الى دمشق وسار الاشرف في أثره وحصره بدمشق والملك الكامل مشتغل بمراسلة الايمبراطور * ولما طال الامر ولم يجد الملك الكامل بدا من المهادنة أجاب الايمبراطور الى تسليم القدس اليه على ان تستمر أسواره خرابا ولا يعمرها الفرنج ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع الاقصى ويكون الحكم في الرساتيق الى والى المسلمين ويكون لهم من القرايا ماهو على الطريق من عكا الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك وتحالفا عليه وتسلم الايمبراطور القدس في هذه السنة في ربيع الآخر على هذه القاعدة التى ذكرناها وكان ذلك والملك الناصر محصور بدمشق وعمه الاشرف محاصره بامر الملك الكامل فأخذ الناصر داود في التشنيع على عمه بذلك وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف سبط

أبى الفرج ابن الجوزى وكان واعظا وله قبول عند الناس فأمره الناصر داود بعمل مجلس وعظ يذكر فيه فضائل بيت المقدس وما حل بالمسلمين من تسليمه الى الفرنج ففعل ذلك وكان مجلسا عظيما * ومن جملة ماأنشد قصيدة تائية ضمنها بيت دعبل الخزاعى وهو

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

فارتفع بكاء الناس وضجيجهم

ذكر انتزاع دمشق

ولما عقد الملك الكامل الهدنة مع الايمبراطور وخلا سره من جهة الفرنج سار الى دمشق ووصل اليها في جمادى الاولى من هذه السنة واشتد الحصار على دمشق ووصل الى الملك الكامل رسول الملك العزيز صاحب حلب وخطب بنت الملك الكامل فزوجه بنته فاطمة خاتون التى هى من الست السوداء أم ولده أبى بكر العادل بن الكامل ثم استولى الملك الكامل على دمشق وعوض الناصر داود عنها بالكرك والبلقاء والصلت والاغوار والشوبك وأخذ الملك الكامل لنفسه البلاد الشرقية التى كانت عينت للناصر وهى حران والرها وغيرهما التى كانت بيد الملك الاشرف ثم نزل الناصر داود عن الشوبك وسأل عمه الكامل في قبولها فقبلها وتسلم دمشق الملك الاشرف وتسلم الكامل من الاشرف البلاد الشرقية المذكورة

ذكر وفاة الملك المسعود صاحب اليمن ابن الملك الكامل ابن الملك العادل بن ايوب

﴿ في هذه السنة ﴾ توفي الملك المسعود يوسف الملقب اطسز المعروف باقسيس وكان قد مرض باليمن فكره المقام بها وعزم على مفارقة اليمن وسار الى مكة وهى له كما تقدم ذكره فتوفي بمكة ودفن بالمعلى وعمره ست وعشرون سنة وكانت مدة ملكه اليمن أربع عشرة سنة وكان الملك المسعود لما سار من اليمن قد استخلف على اليمن على بن رسول وسنذكر بقية أخباره ان شاء الله تعالى ووصل الخبر بوفاة الملك المسعود الى أبيه الملك الكامل وهو على حصار دمشق فجلس للعزاء وخلف الملك المسعود ولدا صغيرا اسمه أيضا يوسف وبقى يوسف المذكور حتى مات في سلطنة عمه الملك الصالح أيوب صاحب مصر وخلف يوسف ولدا صغيرا اسمه موسى ولقب الملك الاشرف وهو الذى أقامه الترك في مملكة مصر بعد قتل الملك المعظم ابن الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل على ماسنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر

(ذكر القبض على الحاجب على نائب الملك الاشرف بخلاط وقتله)

(وفي هذه السنة) أرسل الملك الاشرف مملوكه عز الدين أيبك الاشرفي وهو أكبر أمير عنده الى خلاط فقبض على الحاجب على الموصلى وحبسه ثم قتله وكان حسام الدين على الحاجب المذكور من أهل الموصل وخدم الملك الاشرف فجعله نائبه بخلاط فاحسن الى الرعية وحفظ البلد واستولى على عدة بلاد من أذربيجان مثل نقجوان وغيرها على ماتقدم ذكره فقبض عليه الملك الاشرف وقتله قيل ان ذلك لذنب منه لم يطلع عليه الناس واطلع عليه الملك الكامل والملك الاشرف وهذا الحاجب حسام الدين المذكور كان كثير الخير والمعروف بنى الخان الذى بين حران ونصيبين وبنى الخان الذى بين حمص ودمشق وهو الخان المعروف بخان برج العطش وهرب مملوك لحسام الدين الحاجب المذكور لما قتل استاذه ولحق بجلال الدين * فلما ملك جلال الدين خلاط على ماسنذكره قبض على ايبك المذكور وسلمه الى المذكور فقتله وأخذ بثار استاذه

ذكر استيلاء الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد على حماة

ولما سلم الملك الكامل دمشق الى أخيه الملك الاشرف سار من دمشق ونزل على مجمع المروج ثم نزل سلمية وأرسل عسكرا نازلوا حماة وبها صاحبها الملك الناصر قليج أرسلان وكان فيه جبن ولو عصى بحماة وطلب عنها عوضاً كثيراً لاجابه الملك الكامل اليه ولكنه خاف وكان في العسكر الذين نازلوه شيركوه صاحب حمص فارسل الناصر صاحب حماة يقول لشيركوه انى أريد أن أخرج اليك بالليل لتحضرنى عند السلطان الملك الكامل وخرج الملك الناصر قليج أرسلان ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب المذكور الى شيركوه في العشر الاخير من رمضان هذه السنة وأخذه شيركوه ومضى به الى الملك الكامل وهو نازل على سلمية فحين رأى الملك الكامل قليج أرسلان المذكور شتمه وأمر باعتقاله وان يتقدم الى نوابه بحماة بتسليمها الى الملك الكامل فارسل الناصر قليج أرسلان علامته الى نوابه بحماة أن يسلموها الى عسكر السلطان الملك الكامل فامتنع من ذلك الطواشيان بشر ومرشد المنصوريان وكان بقلعة حماة أخ للملك الناصر يلقب الملك المعز ابن الملك المنصور صاحب حماة فملكوه حماة وقالوا للملك الكامل لانسلم حماة لغير أحد من أولاد تقى الدين فارسل الملك الكامل يقول للملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب حماة اتفق مع غلمان أيبك وتسلم حماة وكان الملك المظفر نازلا على حماة من جملة العسكر الكاملى فراسل الملك المظفر الحكام بحماة فحلفوا له وواعدوا الملك المظفر أن يحضر بجماعته خاصة وقت السحر الى باب النصر ليفتحوه له فحضر الملك المظفر سحر الليلة التى عينوها ففتحوا له باب النصر

ودخل الملك المظفر ومضى الى دار الوزير المعروفة بدار الاكرام داخل باب المغار وهى الآن مدرسة تعرف بالخاتونية وقفتها عمة مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر المذكور وحضر أهل حماة وهنؤا الملك المظفر بملك حماة وكان ذلك في العشر الاخير من رمضان من هذه السنة وكان مدة ملك الملك الناصر قليج أرسلان حماة تسع سنين الا نحو شهرين وأقام الملك المظفر في دار الاكرام يومين وصعد في اليوم الثالث الى القلعة وتسلمها وجاء عيد الفطر من هذه السنة والملك المظفر مالك حماة وعمره يومئذ نحو سبع وعشرين سنة لان مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان أخوه الملك الناصر قليج أرسلان أصغر منه بسنة * ولما ملك الملك المظفر حماة فوض تدبير أمورها صغيرها وكبيرها الى الامير سيف الدين على الهدبانى وكان سيف الدين على ابن أبى على المذكور قد خدم الملك المظفر بعد ابن عمه حسام الدين ابن أبى على الذى كان نائب الملك المظفر بسلمية لما سلمت اليه وهو بمصر عند الملك الكامل ثم حصل بين الملك المظفر وبين حسام الدين ابن أبى على وحشة ففارقه حسام الدين المذكور واتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل وحظى عنده وصار استاذ داره وخدم ابن عمه سيف الدين على المذكور الملك المظفر وكان يقول له اشتهى أراك صاحب حماة واكون بعين واحدة فاصيب عين سيف الدين على على حصار حماة لما نازلها عسكر الملك الكامل وبقى بفرد عين فحظى عند الملك المظفر لذلك ولكفاية سيف الدين المذكور وحسن تدبيره * ولما استقر الملك المظفر في ملك حماة انتزع الملك الكامل سلمية منه وسلمها الى شيركوه صاحب حمص على ما كان وقع عليه الاتفاق من قبل ذلك ثم ان الملك الكامل رسم للملك المظفر أن يعطى أخاه الملك الناصر قليج أرسلان بارين بكمالها فامتثل ذلك وسلم قلعة بارين الى أخيه الملك الناصر ولم يبق بيد الملك المظفر غير حماة والمعرة وكان بحماة تقدير أربعمائة ألف درهم للملك الناصر وكان قد رسم الملك الكامل للملك المظفر أن يعطى المال المذكور أخاه الملك الناصر فماطل المظفر في ذلك ولم يحصل للملك الناصر من ذلك شئ ولما استقر الملك المظفر بحماة مدحه الشيخ شرف الدين عبد العزيز محمد بن عبد المحسن الانصارى الدمشقى بقصيدة من جملتها

تناهى اليك الملك واشتد كاهله ... وحل بك الراجى فحطت رواحله
ترحلت عن مصر فاحل ربعها ... ولما حللت الشام روض ماحله
وعزت حماة في حمى أنت غاية ... بصولته تحمى كليب ووائله
وقد طال ما ظلت بتدبير اهوج ... يخيب مرجيه ويحرم سائله

ولما

ولما استقر الملك المظفر في ملك حماة رحل الملك الكامل عن سلمية الى البلاد الشرقية التى أخذها من أخيه الملك الاشرف عوضا عن دمشق فنظر في مصالحها ثم سافر الملك المظفر من حماة ولحق الملك الكامل وهو بالشرق وعقد له الملك الكامل العقد هناك على ابنته غازية خاتون بنت الملك الكامل وهى شقيقة الملك المسعود صاحب اليمن وهى والدة الملك المنصور صاحب حماة وأخيه الملك الافضل نور الدين على ابنى الملك المظفر محمود ثم عاد الملك المظفر الى حماة وقد قضيت أمانيه بملك حماة ووصلته بخاله الملك الكامل وكان يتمنى ذلك لما كان بالديار المصرية وكان يصحبه وهو بمصر رجل من أهلها يقال له الزكى القومصى فاتفق وهما بمصر وقد جرى ذكر ملك الملك المظفر حماة وزواجه بنت خاله الملك الكامل فانشده الزكى القومصى

متى أراك كما أهوى وأنت ومن ... تهوى كانكما روحان في بدن
هناك أنشد والاقدار مصغية ... هنيت بالملك والاحباب والوطن

فقال له الملك المظفر ان صار ذلك يا زكى أعطيتك الف دينار مصرية * فلما ملك الملك المظفر حماة أعطى الزكى ماوعده به * ولما فرغ الملك الكامل من تقرير أمر البلاد الشرقية وهى حران وما معها من البلاد مثل رأس عين والرها وغير ذلك عاد الى الديار المصرية (وفي هذه السنة) أرسل الملك الاشرف أخاه صاحب بصرى الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل بعسكر فنازل بعلبك وبها صاحبها الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب واستمر الحصار عليه (وفيها) سار جلال الدين ملك الخوارزمية وحاصر خلاط وبها أيبك نائب الملك الاشرف الى ان خرجت هذه السنة (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة)

ذكر عمارة شميميش

(في هذه السنة) شرع صاحب حمص شيركوه في عمارة قلعة شميميش وكان لما سلم اليه الملك الكامل سلمية قد استأذنه في عمارة تل شميميش قلعة فاذن له بذلك ولما أراد شيركوه عمارته أراد الملك المظفر صاحب حماة منعه من ذلك ثم لم يمكنه ذلك لكونه بامر الملك الكامل

ذكر استيلاء الملك الاشرف على بعلبك

(وفي هذه السنة) سلم الملك الامجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب بعلبك الى الملك الاشرف لطول الحصار عليه وعوضه الملك الاشرف عنها الزبدانى وقصير دمشق الذى هو شماليها ومواضع أخر وتوجه الملك الامجد وأقام بداره التى داخل باب النصر بدمشق المعروفة بدار السعادة وهى التى ينزلها النواب

ذكر مقتل الملك الامجد

لما أخذت منه بعلبك ونزل بداره المذكورة كان قد حبس بعض مماليكه في مرقد عنده بالدار وجلس الملك الامجد قدام باب المرقد يلعب بالنرد ففتح المملوك المذكور الباب ومعه سيف وضرب به استاذه الملك الامجد فقتله ثم طلع المملوك الى سطح الدار وألقى نفسه الى وسطها فمات ودفن الملك الامجد بمدرسة والده التي على الشرف وكانت مدة ملكه بعلبك تسعا وأربعين سنة لان عم أبيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ملكه بعلبك سنة ثمان وسبعين وخمسمائة لما مات أبوه فرخشاه وانتزعت منه هذه السنة فذلك خمسون سنة الا سنة وكان الملك الامجد أشعر بني أيوب وشعره مشهور

ذكر ملك جلال الدين خلاط

﴿ في هذه السنة ﴾ لما طال حصار جلال الدين على خلاط واشتد مضايقتها هجما بالسيف وفعل في أهلها مايفعلونه التتر من القتل والاسترقاق والنهب ثم قبض على نائب الملك الاشرف بها وهو مملوكه أيبك وسلمه الى مملوك حسام الدين الحاجب على الموصل فقتله وأخذ بثار أستاذه

ذكر كسرة جلال الدين بن الملك الاشرف

ولما جرى من جلال الدين ماجرى من أخذ خلاط اتفق صاحب الروم كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان والملك الاشرف ابن الملك العادل فجمع الملك الاشرف عساكر الشام وسار الى سيواس واجتمع فيها بملك بلاد الروم علاء الدين كيقباذ المذكور وسار الى جهة خلاط والتقى الفريقان في التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة فولى الخوارزميون وجلال الدين منهزمين وهلك غالب عسكره قتلا وترديا من رؤس جبال كانت في طريقهم وضعف جلال الدين بعدها وقويت غليه التتر وارتجع الملك الاشرف خلاط وهي خراب يباب ثم وقعت المراسلة بين الملك الاشرف وكيقباذ وجلال الدين وتصالحوا وتحالفوا على مابأيديهم وان لايتعرض أحد منهم الى مايد الآخر (وفي هذه السنة) استولى الملك المظفر غازى ابن الملك العادل على ارزن من ديار بكر وهي غير ارزن الروم وكان صاحب ارزن ديار بكر يقال له حسام الدين من بيت قديم في الملك فاخذها منه الملك المظفر غازى المذكور وعوضه عن ارزن بمدينة حانى وهذا حسام الدين من بيت كبير يقال لهم بيت الاحدب وارزن لم تزل بايديهم من أيام السلطان ملك شاه السلجوقى الى الآن فسبحان من لايزول ملكه (وفيها) جمت الفرنج من حصن الاكراد وقصدوا حماة فخرج اليهم الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب

حماة والتقاهم عند قرية بين حماة وبارين يقال لها افيون وكسرهم كسرة عظيمة ودخل الملك المظفر محمود حماة مؤيدا منصورا (وفيها) ولد الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب (ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة) والسلطان الملك الكامل بديار مصر وأخوه الملك الاشرف بدمشق في ملاذه وقد تخلى عن البلاد الشرقية فان حران وما معها صارت لاخيه الملك الكامل وخلاط صارت خرابا يبابا ولم يكن للملك الاشرف ابن ذكر فاقتنع بدمشق واشتغل باللهو والملاذ (وفيها) سار الملك الاشرف من دمشق الى عند أخيه الملك الكامل وأقام عنده بالديار المصرية متنزها

ذكر قصة التتر في بلاد الاسلام

(وفي هذه السنة) عاودت التتر قصد بلاد الاسلام وسفكوا وخربوا مثل ما تقدم ذكره وكان قد ضعف جلال الدين لقبح سيرته وسوء تدبيره ولم يترك له صديقا من ملوك الاطراف وعادى الجميع وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلف عليه لما حصل لجلال الدين من فساد عقله وسببه انه كان له مملوك يحبه محبة شديدة واتفق موت ذلك المملوك فحزن عليه حزناً شديداً لم يسمع بمثله وأمر أهل توريز بالخروج والنواح واللطم عليه ثم انه لم يدفنه وبقى يستصحب ذلك المملوك الميت معه حيث سار وهو يلطم ويبكى وكان اذا قدم اليه الطعام يرسل منه الى المملوك الميت ولا يتجاسر أحد أن يتفوه انه ميت فكانوا يحملون اليه الطعام ويقولون انه يقبل الارض وهو يقول انى الآن أصلح مما كنت فانف أمراؤه من ذلك وخرج بعضهم عن طاعته فضعف أمر جلال الدين لذلك ولكسرته من الملك الاشرف فتمكنت التتر من البلاد واستولوا على مراغة وهو استيلاؤهم الثانى

ذكر قتل جلال الدين

ولما تمكن التتر من بلاد اذربيجان سار جلال الدين يريد ديار بكر ليسير الى الخليفة ويلتجئ اليه ويعتضد بملوك الاطراف على التتر ويخوفهم عاقبة أمرهم فنزل بالقرب من آمد فلم يشعر الا والتتر قد كبسوه ليلا وخالطوا مخيمه فهرب جلال الدين وقتل على مانشرحه ان شاء الله تعالى * ولما قتل تمكنت التتر من البلاد وساقوا حتى وصلوا في هذه السنة الى الفرات واضطرب الشام بسبب وصولهم الى الفرات ثم شنوا الغارات في ديار بكر والجزيرة وفعلوا من القتل والتخريب مثل ماتقدم (ومن تاريخ ظهور التتر) تصنيف كاتب انشاء جلال الدين النسوى المنشى المقدم الذكر في سنة ست عشرة وستمائة مااخترناه وأثبتناه من أخبار خوارزم شاه محمد وابنه جلال الدين لملازمة النسوى المذكور جلال الدين في جميع سفراته وغزواته الى ان كبس التتر جلال الدين

والمنشى المذكور كان معه فلذلك كان أخبر بأحوال جلال الدين ووالده من غيره
قال محمد المنشى المذكور ان خوارزم شاه محمد بن تكش عظم شأنه واتسع ملكه
وكان له أربعة أولاد قسم البلاد بينهم أكبرهم جلال الدين منكبرنى وفوض
اليه ملك غزنة وباميان والغور وبست وتكاباد وزميز داور وما يليها من الهند وفوض
خوارزم وخراسان ومازندران الى ولده قطب الدين ازلاغ شاه وجعله ولى
عهده ثم في آخر وقت عزله عن ولاية العهد وفوضها الى جلال الدين منكبرنى
وفوض كرمان وكبش ومكران الى ولده غياث الدين تيز شاه * وقد تقدمت أخباره
وفوض العراق الي ولده ركن الدين غورشاه يحيى وكان أحسن أولاده خلقاً
وخلقاً وقتل المذكور التتر بعد موت أبيه وضرب لكل واحد منهم النوب الخمس في أوقات
الصلوات على عادة الملوك السلجوقية وانفرد أبوهم خوارزم شاه محمد بنوبة ذى القرنين
وانها تضرب وقتى طلوع الشمس وغروبها وكانت دبادبه سبعا وعشرين دبدبة من الذهب
قدرصعت بأنواع الجوهر وكذا باقى الآلات النوبتية وجعل سبعة وعشرين ملكا يضربونها
في أول يوم قرعت وكانوا من أكابر الملوك أولاد السلاطين منهم طغريل بن أرسلان
السلجوقى وأولاد غياث الدين صاحب الغور والملك علاء الدين صاحب باميان والملك تاج
الدين صاحب بلخ وولده الملك الاعظم صاحب ترمذ والملك سنجر صاحب بخارى وأشباههم
وكانت أم خوارزم شاه محمد تركان خاتون من قبيلة بياووت وهى فرع من فروع يمسك
وكانت بنت ملك من ملوكهم تزوج بها تكش بن أرسلان بن اطسز بن محمد بن أنوشتكين
غرشه فلما صار الملك الى ولده محمد بن تكش قدم الى والدته تركان خاتون قبائل يمسك
من الترك فعظم شأن ابنها السلطان محمد بهم وتحكمت أيضا بسببهم تركان خاتون في الملك
فلم يملك ابنها اقليما الا وأفرد لخاصها منه ناحية جليلة وكانت ذات مهابة ورأى وكانت تنتصف
للمظلوم من الظالم وكانت جسورة على القتل وعظم شأنها بحيث اذا ورد توقيعان عنها وعن
السلطان ابنها تنظر الى تاريخهما فيعمل بالاخير منهما وكان طغر توقيعها عصمة الدنيا والدين
آلغ تركان ملكة نساء العالمين وعلامتها اعتصمت بالله وحده وكانت تكتبها بقلم غليظ
وتجود الكتابة قال المؤلف المذكور ثم ان خوارزم شاه محمد لما هرب من التتر بما وراء النهر
وعبر جيحون ثم سار الى خراسان والتتر تتبعه ثم هرب من خراسان ووصل الى عراق
العجم ونزل عند بسطام أحضر عشرة صناديق ثم قال انها كلها جواهر لا تعلم قيمتها ثم
أشار الى صندوقين منها وقال ان فيهما من الجواهر مايساوى خراج الارض بجملتها ثم أمر
بحملها الى قلعة أزدهن وهى من أحصن قلاع الارض وأخذ خط النائب بها بوصول
الصناديق المذكورة مختومة فلما استولى جنكزخان على تلك البلاد حملت اليه الصناديق

المذكورة بختومها ثم ان التتر أدركوا السلطان محمد المذكور فهرب وركب في المركب ولحقه
التتر ورموه بالنشاب ونجا السلطان منهم وقد حصل له مرض ذات الجنب قال ووصل الى
جزيرة في البحر وأقام بها فريدا طريدا لا يملك طارفا ولا تليدا والمرض يزداد وكان
في أهل مازندران اناس يتقربون اليه بالمأكول وما يشتهيه فقال في بعض الايام انى اشتهى
يكون عندى فرس يرعى حول خيمتى وقد ضربت له خيمة صغيرة فاهدى اليه فرس أصفر
وكان للسلطان محمد المذكور ثلاثون ألف جشار من الخيل وكان اذا أهدى اليه أحد شيئا
وهو على تلك الحالة في الجزيرة من مأكول وغيره يطلق لذلك الشخص شيئا ولم يكن
عنده من يكتب التواقيع فيتولى ذلك الرجل كتابة توقيعه بنفسه وكان يعطى مثل السكين
والمنديل علامة باطلاق البلاد والاموال فلما تولى ابنه جلال الدين أمضى جميع ما أطلقه
والده بالتواقيع والعلائم ثم أدركت السلطان محمد المنية وهو بالجزيرة على تلك الحالة فغسله
شمس الدين محمود بن بلاغ الجاويش ومقرب الدين مقدم الفراشين ولم يكن عنده مايكفن
به فكفن بقميصه ودفن بالجزيرة في سنة سبع عشرة وستمائة بعد ان كان بابه مزدحم
ملوك الارض وعظمائها يشتدرون بجنابه ويتفاخرون بلثم ترابه ورقى الى درجة الملوكية
جماعة من مماليكه وحاشيته فصار طشتداره وركبداره وسلحداره وجنداره وغيرهم من
أرباب الوظائف كلهم ملوكا وكان في أعلامهم علامات سود يعرفون بها فعلامة الدوادار
الدواه والسلحدار القوس وعلامة الطشتدار المسينة والجمدار النفجه وعلامة أميراخور
النعل وعلامة الجاويشية قبة ذهب وكان يمد السماط بين يديه ويأكل الناس ويرفع من
الطعام الذى في صدر السماط الى بين يدى الاكابر اذا قعدوا على السماط للاكل وكانت
الزبادى كلها ذهبية وفضية وكان السلطان محمد المذكور يختص بأمور لا يشاركه فيها أحد
منها المجتر منشورا على رأسه اذا ركب ومنها اللكح وهى أنبوبة تتخذ من الذهب الاحمر
بين أذنى مركوب السلطان يخرج منها المعرفة وتشد الى طرف اللجام ومنها الاعلام السود
والسروج السود والنفج السود محمولة على اكتاف الجمدارية ولا تحمل لغيره على الكتف
ومنها ان جنائبه كانت تجر قدامه وجنائب غيره من الملوك كانت تجر وراءهم ومنها ان
اذناب خيله تلف من أوساطها مقدار شبرين ومنها الجلوس بين يديه على الركبتين لمن
يريد مخاطبته قال المؤلف المذكور ثم سار جلال الدين بعد موت أبيه السلطان محمد من
الجزيرة الى خوارزم ثم هرب من التتر ولحق بغزنة وجرى بينه وبين التتر من القتال
فهرب جلال الدين من غزنة الى الهند فلحقه جنكزخان على ماء السند وتصافقا صبيحة
يوم الاربعاء لثمان خلون من شوال سنة ثمان عشرة وستمائة وكانت الكرة أولا على جنكزخان
ثم عادت على جلال الدين وحال بينهما الليل وولى جلال الدين منهزما وأسر ولد جلال

الدين وهو ابن سبع أو ثمان سنين وقتل بين يدى جنكزخان صبرا ولما عاد جلال الدين الى حافة ماء السند كسيرا رأى والدته وأم ولده وجماعة من حرمه يصحن بالله عليك اقتلنا أو خلصنا من الاسر فأمر بهن فغرقن وهذه من عجائب البلايا ونوادر المصائب والرزايا ثم اقتحم جلال الدين وعسكره ذلك النهر العظيم فنجا منهم الى ذلك السبر تقدير أربعة آلاف رجل حفاة عراة ورمى الموج جلال الدين مع ثلاثة من خواصه الى موضع بعيد وفقده أصحابه ثلاثة أيام وبقى أصحابه لفقده حائرين وفي تيه الفكر سائرين الى أن اتصل بهم جلال الدين فاعتدوا بقدمه عيدا وظنوا انهم أنشوا خلقا جديدا ثم جرى بين جلال الدين وبين أهل تلك البلاد وقائع انتصر فيها جلال الدين ووصل الى لهاوور من الهند ولما عزم جلال الدين على العود الى جهة العراق استناب بهلوان أزبك على ما كان يملكه من بلاد الهند واستناب معه حسن قراق ولقبه وفاملك وفي سنة سبع وعشرين وستمائة طرد وفاملك بهلوان أزبك واستولى وفاملك على ما كان يليه البهلوان من بلاد الهند ثم ان جلال الدين عاد من الهند ووصل الى كرمان في سنة احدى وعشرين وستمائة وقاسى هو وعسكره في البرارى القاطعة بين كرمان والهند شدائد ووصل معه أربعة آلاف رجل بعضهم ركاب ابقار وبعضهم ركاب حمير ثم سار جلال الدين الى خورستان واستولى عليها ثم استولى على أذربيجان ثم استولى على كنجة وسائر بلاد أران ثم ان جلال الدين نقل أباه من الجزيرة الى قلعة أزدهن ودفنه بها ولما استولى التتر على القلعة المذكورة نبشوه وأحرقوه وهذا كان فعلهم في كل ملك عرفوا قبره فانهم نبشوا محمود بن سبكتكين من غزنة وأحرقوا عظامه ثم ذكر ماتقدمت الاشارة اليه من استيلاء جلال الدين على خلاط وغير ذلك ثم ذكر نزوله على جسر قريب آمد وارساله يستنجد الملك الاشرف ابن الملك العادل فلم ينجده وعزم جلال الدين على المسير الى أصفهان ثم اثنى عزمه عنه وبات بمنزله وشرب تلك الليلة فسكر سكرا خماره دوار الرأس وتقطع الانفاس وأحاط التتر به وبعسكره مصبحين

فمساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب
ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب

وأحاطت اطلاب التتر بخركاة جلال الدين وهو نائم سكران فحمل بعض عسكره وهو ارخان وكشف التتر عن الخركاة ودخل بعض الخواص وأخذ بيد جلال الدين وأخرجه وعليه طاقية بيضاء فاركبه الفرس وساق ارخان مع جلال الدين وتبعه التتر فقال جلال الدين لارخان انفرد عنى بحيث تشتغل التتر بتبع سوادك وكان ذلك خطأ منه فان ارخان تبعه جماعة من العسكر وصاروا تقدير أربعة آلاف فارس وقصد أصفهان واستولى عليها مدة ولما

انفرد جلال الدين عن ارخان ساق الى باسورة آمد فلم يمكن من الدخول الى آمد فسار الى قرية من قرى ميا فارقين طالبا شهاب الدين غازى ابن الملك العادل صاحب ميافارقين ثم لحقه التتر في تلك القرية فهرب جلال الدين الى جبل هناك وبه اكراد يتخطفون الناس فأخذوه وشلحوه وأرادوا قتله فقال جلال الدين لاحدهم انى أنا السلطان فاستبقنى أجعلك ملكا فأخذه الكردى وأتى به الى امرأته وجعله عندها ومضى الكردى الى الجبل لاحضار ماله هناك فحضر شخص كردى ومعه حربة وقال للمرأة لم لا تقتلون هذا الخوارزمى فقالت المرأة لا سبيل الى ذلك فقد أمنه زوجى فقال الكردى انه السلطان وقد قتل لى أخا بخلاط خبرا منه وضربه بالحربة فقتله وكان جلال الدين أسمرا قصيرا تركى السارة والعبارة وكان يتكلم بالفارسية أيضاً ويكاتب الخليفة على مبدأ الامر على ما كان يكاتبه به أبوه خوارزم شاه محمد فكان يكتب خادمه المطواع منكبرنى ثم بعد أخذ خلاط كاتبه بعبده وكان يكتب الى ملك الروم وملوك مصر والشام اسمه واسم أبيه ولم يرض أن يكتب لاحد منهم خادمه أو أخوه أو غير ذلك وكانت علامته على تواقيعه النصرة من الله وحده وكان اذا كاتب صاحب الموصل أو اشباهه يكتب له هذه العلامة تعظيما عن ذكر اسمه وكان يكتب العلامة بقلم غليظ وكان جلال الدين يخاطب بخزاوند عالم أى صاحب العالم وكان مقتله في منتصف شوال من هذه السنة أعنى سنة ثمان وعشرين وستمائة وهذا مانقلناه من تاريخ محمد المنشى وهو ممن كان في خدمة جلال الدين الى ان قتل وكان كاتب الانشاء الذى له وكان محظيا متقدما عنده

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) انتهى التاريخ الكامل تأليف الشيخ عز الدين على المعروف بابن الاثير الجزرى المنقول غالب هذا المختصر منه فانه ألفه من هبوط آدم الى سنة ثمان وعشرين وستمائة وتوفي عز الدين ابن الاثير المذكور في سنة ثلاثين وستمائة على ماسنذكره ان شاء الله تعالى بعد آخر تاريخه بسنتين (وفيها) في ذى القعدة توفي بالقاهرة أبو الحسن يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور الزواوى النحوى الحنفى كان أحد أئمة عصره في النحو واللغة وسكن دمشق زمانا طويلا وصنف تصانيف مفيدة منها منظومته الالفية المشهورة وكان مولده سنة أربع وستين وخمسمائة والزواوى منسوب الى زواوة وهى قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال أفريقية (ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة) والسلطانان الكامل والاشرف بالديار المصرية والملك المظفر بحماة مالكها ومعها المعرة وأخوه الملك الناصر قليج أرسلان ببارين مالكها والعزيز محمد بن الظاهر غازى قد استقل بملك حلب والتتر قد استولوا على بلاد العجم كلها والخليفة المستنصر بالعراق ثم ارتحل في هذه السنة

الملك الكامل وأخوه الملك الاشرف من ديار مصر وسارا الى البلاد الشرقية فسار الملك الكامل الى الشوبك واحتفل له الملك الناصر داود ابن المعظم عيسى ابن الملك العادل ابى بكر بن أيوب احتفالا عظيما بالضيافات والاقامات والتقادم وحصل بينهما الاتحاد التام وكان نزول الملك الكامل باللجون قرب الكرك وهى منزلة الحجاج في العشر الاخير من شعبان هذه السنة ووصل اليه باللجون صاحب حماة الملك المظفر محمود ملتقيا وسافر الناصر داود مع الملك الكامل بعسكره الى دمشق واستصحب الملك الكامل معه ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب وجعل نائبه بمصر ولده وولى عهده الملك العادل سيف الدين أبا بكر ابن الملك الكامل ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ثم سار الملك الكامل ونزل سلمية واجتمع معه ملوك أهل بيته في جمع عظيم ثم سار بهم الى آمد وحصرها وتسلمها من صاحبها الملك المسعود ابن الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق ومحمد بن قرا ارسلان المذكور هو الذى ملكه السلطان صلاح الدين آمد بعد انتزاعها من ابن نيسان وكان سبب انتزاع الملك الكامل آمد من الملك المسعود المذكور لسوء سيرة الملك المسعود وتعرضه لحريم الناس وكان له عجوز قوادة يقال لها الازاء كانت تؤلف بينه وبين نساء الناس الاكابر ونساء الملوك ولما نزل الملك المسعود الى خدمة الملك الكامل وسلم آمد وبلادها اليه ومن جملة معاقلها حصن كيفا وهو في غاية الحصانة أحسن الملك الكامل الى الملك المسعود وأعطاه اقطاعا جليلة بديار مصر ثم بدت منه أمور اعتقله الملك الكامل بسببها ولم يزل الملك المسعود معتقلا الى ان مات الملك الكامل فخرج من الاعتقال واتصل بحماة فاحسن اليه الملك المظفر محمود صاحب حماة ثم سافر الملك المسعود المذكور الى الشرق واتصل بالتتر فقتلوه ولما تسلم الملك الكامل آمد وبلادها رتب فيها النواب من جهته وجعل فيها ولده الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وجعل معه شمس الدين صواب العادلى وخرجت هذه السنة والملك الكامل بالشرق ولما خرج الملك الكامل من مصر في هذه السنة خرج صحبته بنتاه فاطمة خاتون زوجة الملك العزيز صاحب حلب وغازية خاتون زوجة الملك المظفر صاحب حماة بنتا الملك الكامل وحملت كل منهما الى بعلها واحتفل لدخولهما بحماة وحلب (وفي هذه السنة) ظنا توفي على ابن رسول النائب على اليمن واستقر مكانه ولده عمر بن على (ثم دخلت سنة ثلاثين وستمائة) في هذه السنة رجع السلطان الملك الكامل من البلاد الشرقية بعد ترتيب أمورها وسار الى ديار مصر ورجع كل ملك الى بلده

ذكر استيلاء الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب حلب على شيزر

وكانت شيزر بيد شهاب الدين يوسف بن مسعود بن سابق الدين عثمان بن الداية وكان

سابق الدين عثمان بن الداية المذكور واخوته من أكابر أمراء نور الدين محمود بن زنكى ثم اعتقل الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين الشهيد سابق الدين عثمان ابن الداية وشمس الدين أخاه فانكر السلطان صلاح الدين عليه ذلك وجعله حجة لقصد الشام وانتزاعه من الملك الصالح اسمعيل فاتصل أولاد الداية بخدمة السلطان صلاح الدين وصاروا من أكبر أمرائه وكانت شيزر اقطاع سابق الدين المذكور فاقره السلطان صلاح الدين عليها وزاده أبا قيس لما قتل صاحبها حماردكن ثم ملك شيزر بعده ولده مسعود بن عثمان حتى مات وصارت لولده شهاب الدين يوسف المذكور الى هذه السنة فسار الملك العزيز صاحب حلب بامر الملك الكامل وحاصر شيزر وقدم اليه وهو على حصارها الملك المظفر محمود صاحب حماة مساعدا له فسلم شهاب الدين يوسف شيزر الى الملك العزيز ونزل الى خدمته فتسلمها في هذه السنة وهنى الملك العزيز يحيى بن خالد بن قيسرانى بقوله

يامالكا عم اهل الارض نائله ... وخص احسانه الدانى مع القاصى
لما رأت شيزر آيات نصرك في ... ارجائها القت العاصى الى العاصى

ثم ولى الملك العزيز على شيزر وأحسن الى الملك المظفر محمود صاحب حماة ورحل كل منهما الى بلده (وفي هذه السنة) استأذن الملك المظفر محمود صاحب حماة الملك الكامل في انتزاع بارين من أخيه قليج ارسلان لانه خشى ان يسلمها الى الفرنج لضعف قليج ارسلان عن مقاومتهم فاذن الملك الكامل له في ذلك فسار الملك المظفر من حماة وحاصر بارين وانتزعها من أخيه قليج ارسلان ابن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولما نزل قليج ارسلان الى أخيه الملك المظفر أحسن اليه وسأله في الاقامة عنده بحماة فامتنع وسار الى مصر فبذل له الملك الكامل اقطاعا جليلا وأطلق له أملاك جده بدمشق ثم بدا منه مالا يليق من الكلام فاعتقله الملك الكامل الى ان مات قليج ارسلان المذكور في الحبس سنة خمس وثلاثين وستمائة قبل موت الملك الكامل بايام

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة توفي مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كجك وقد تقدم ذكر ملكه اربل بعد موت أخيه نور الدين يوسف بن زين الدين على في سنة ست وثمانين وخمسمائة لما كانا في خدمة السلطان صلاح الدين في الجهاد بالساحل فبقى مالكها من تلك السنة الى هذه السنة ولما مات مظفر الدين المذكور لم يكن له ولد فوصى باربل وبلادها للخليفة المستنصر فتسلمها الخليفة بعد موت مظفر الدين المذكور وكان مظفر الدين ملكا شجاعا وفيه عسف في استخراج الاموال من الرعية وكان يحتفل بمولد النبى

صلى الله عليه وسلم وينفق فيه الاموال الجليلة (وفيها) في شعبان توفي الشيخ عز الدين
على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزرى
ولد بجزيرة ابن عمر في رابع جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ونشأ بها ثم
سار الى الموصل مع والده واخوته وسمع بها من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب
الطوسى ومن في طبقته وقدم بغداد مرارا حاجا ورسولا من صاحب الموصل وسمع
من الشيخين يعيش بن صدقة وعبد الوهاب بن على الصوفي وغيرهما ثم رحل الى الشام
والقدس وسمع هناك من جماعة ثم عاد الى الموصل وانقطع في بيته للتوفيز على العلم وكان
اماما في علم الحديث وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيرا بانساب العرب وأخبارهم
صنف في التاريخ كتابا كبيرا سماه الكامل وهو المنقول منه غالب هذا المختصر ابتدأ فيه
من أول الزمان الى سنة ثمان وعشرين وستمائة وله كتاب أخبار الصحابة في ست مجلدات
واختصر كتاب الانساب للسمعانى وهو الموجود في أيدى الناس دون كتاب السمعانى
وورد الى حلب في سنة ست وعشرين وستمائة ونزل عند الطواشى طغريل الاتابك بحلب
فاكرمه اكراما زائدا ثم سافر الى دمشق سنة سبع وعشرين ثم عاد الى حلب في سنة
ثمان وعشرين ثم توجه الى الموصل فتوفي بها في التاريخ المذكور ونسبة الجزيرة الى ابن
عمر وهو رجل من أهل برقعيد من أعمال الموصل اسمه عبد العزيز بن عمر بنى هذه
المدينة فاضيفت اليه ﴿ ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وستمائة ﴾ في هذه السنة في المحرم
توفي شهاب الدين طغريل الاتابك بحلب

﴿ ذكر مسير السلطان الملك الكامل من مصر الى قتال كيقباذ ملك بلاد الروم ﴾

في هذه السنة وقع من كيقباذ بن كيخسرو ملك بلاد الروم التعرض الى بلاد خلاط
فرحل الملك الكامل بعساكره من مصر واجتمعت عليه الملوك من أهل بيته ونزل شمالى
سلمية في شهر رمضان من هذه السنة ثم سار بجموعه ونزل على النهر الازرق في حدود
بلد الروم وقد ضرب في عسكره سنة عشر دهليزا لستة عشر ملكا في خدمته منهم اخوته
الملك الاشرف موسى صاحب دمشق والملك المظفر غازى صاحب ميافارقين والملك الحافظ
ارسلان شاه صاحب قلعة جعبر والصالح اسمعيل أولاد الملك العادل والملك المعظم توران شاه
ابن السلطان صلاح الدين كان قد أرسله ابن أخيه الملك العزيز صاحب حلب مقدما على
عسكر حلب الى خدمة السلطان الملك الكامل والملك الزاهر صاحب البيرة داود بن
السلطان صلاح الدين وأخوه الملك الافضل موسى صاحب صميصات ابن السلطان صلاح
الدين وكان قد ملكها بعد أخيه الملك الافضل على والملك المظفر محمود صاحب حماة ابن

الملك المنصور محمد والملك الصالح أحمد صاحب عينتاب ابن الملك الظاهر صاحب حلب
والملك الناصر داود صاحب الكرك بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل والملك
المجاهد شيركوه صاحب حمص بن محمد بن شيركوه وكان قد حفظ كيقباذ ملك بلاد
الروم الدربندات بالرجال والمقاتلة فلم يتمكن السلطان من الدخول الى بلاد الروم من
جهة النهر الازرق وأرسل بعض العسكر الى حصن منصور وهو من بلاد كيقباذ فهدموه
ورحل السلطان وقطع الفرات وسار الى السويدا وقدم جاسته تقدير ألفين وخمسمائة
فارس مع الملك المظفر صاحب حماة فسار الملك المظفر بهم الى خرتبرت وسار كيقباذ
ملك الروم اليهم واقتتلوا فانهزم العسكر الكاملى وانحصر الملك المظفر صاحب حماة في
خرتبرت مع جملة من العسكر وجد كيقباذ في حصارهم والملك الكامل بالسويدا وقد أحس
من الملوك الذين في خدمته بالمخامرة والتقاعد فان شيركوه صاحب حمص سعى اليهم
وقال ان السلطان ذكر انه متى ملك بلاد الروم فرقه على الملوك من أهل بيته عوض
ما بايديهم من الشام وياخذ الشام جميعه لينفرد بملك الشام ومصر فتقاعدوا عن القتال
وفسدت نياتهم وعلم الملك الكامل بذلك فما أمكنه التحرك الى قتال كيقباذ لذلك ودام
الحصار على الملك المظفر صاحب حماة فطلب الامان فامنه كيقباذ ونزل اليه الملك المظفر
فاكرمه كيقباذ وخلع عليه ونادمه وتسلم كيقباذ خرتبرت وأخذها من صاحبها وكان من
الارتقية قرايب أصحاب ماردين وكان قد دخل في طاعة الملك الكامل وصارت خرتبرت
من بلاد كيقباذ وكان نزول المظفر صاحب حماة من خرتبرت يوم الاحد لسبع بقين من
ذى القعدة وأقام عند كيقباذ يومين ثم أطلقه وسار من عنده لخمس بقين من ذى القعدة
من هذه السنة أعنى سنة احدى وثلاثين وستمائة ووصل بمن معه الى الملك الكامل وهو
بالسويدا من بلاد آمد ففرح به وقوى نفرة السلطان الملك الكامل يومئذ من الناصر داود
صاحب الكرك فالزمه بطلاق بنته فطلقها الناصر داود وأثبت الملك الكامل طلاقها منه
(وفي هذه السنة) استتم بناء قلعة المعرة وكان قد أشار سيف الدين على بن أبى على
الهذبانى على الملك المظفر صاحب حماة ببنائها فبناها وتمت الآن وشحنها بالرجال والسلاح
ولم يكن ذلك مصلحة لان الحلبيين حاصروها فيما بعد وأخذوها وخربت المعرة بسببها
(وفي هذه السنة) توفي سيف الدين الآمدى وكان فاضلا في العلوم العقلية والاصولين
وغيرها واسمه على بن أبى على بن محمد بن سالم الثعلبى وكان في مبتدأ أمره حنبليا ثم
انتقل وصار فقيها شافعيا واشتغل بالاصول وصنف في أصول الفقه وأصول الدين
والمعقولات عدة مصنفات وأقام بمصر مدة وتصدر في الجامع وفي المدرسة الملاصقة
لتربة الشافعى وتحامل عليه الفقهاء الفضلاء وعملوا محضرا ونسبوه فيه الى انحلال العقيدة

ومذهب الفلاسفة وحملوا المحضر الى بعض الفقهاء الفضلاء ليكتب خطه حسبما وضعوا خطوطهم به فكتب

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

ولما جرى ذلك استتر الآمدى المذكور وسار الى حماة وأقام فيها مدة ثم عاد الى دمشق حتى توفي بها في هذه السنة وكانت ولادته في سنة احدى وخمسين وخمسمائة (وفيها) توفي الصلاح الاربلى وكان فاضلا شاعرا أميرا محظيا عند الملكين الكامل والاشرف ابنى الملك العادل (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة) والملك الكامل بالبلاد الشرقية وقد اثنى عزمه عن قصد بلاد الروم للتخاذل الذى حصل في عسكره ثم رحل وعاد الى مصر وعاد كل واحد من الملوك الى بلده (وفيها) توفي الملك الزاهر داود صاحب البيرة ابن السلطان صلاح الدين وكان قد مرض في العسكر الكاملى فحمل الى البيرة مريضا وتوفي بها وملك البيرة بعده ابن أخيه الملك العزيز محمد صاحب حلب وكان الزاهر المذكور شقيق الظاهر صاحب حلب (وفيها) توفي القاضى بهاء الدين بن شداد في صفر وكان عمره نحو ثلاث وتسعين سنة وصحب السلطان صلاح الدين وكان قاضى عسكره ولما توفي صلاح الدين كان عمر القاضى المذكور نحو خمسين سنة ونال القاضى بهاء الدين المذكور من المنزلة عند أولاد صلاح الدين وعند الاتابك طغريل مالم ينلها أحد ولم يكن في أيامه من اسمه شداد بل لعل ذلك في نسب أمه فاشتهر به وغلب عليه وأصله من الموصل وكان فاضلا دينا وكان اقطاعه على الملك العزيز مايزيد على مائة ألف درهم في السنة (وفيها) لما سارت الملوك الى بلادهم من خدمة الملك الكامل وصل الملك المظفر صاحب حماة ودخلها لخمس بقين من ربيع الاول من هذه السنة واتفق مولد ولده الملك المنصور محمد بعد مقدمه بيومين في الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الاول من هذه السنة أعنى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة فتضاعف السرور بقدوم الوالد والولد قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد قصيدة طويلة في ذلك فمنها

غدا الملك محروس الذرى والقواعد باشرف مولود لاشرف والد
حبينا به يوم الخميس كأنه خميس بدا للناس في شخص واحد
وسميته باسم النبى محمد وجديه فاستوفى جميع المحامد

أى باسم جديه الملك الكامل محمد والد والدته والملك المنصور محمد صاحب حماة والد والده ومنها

كانى به في سدة الملك جالسا وقد ساد في أوصافه كل سائد
ووافاك من أبنائه وبنيهم بانجم سعد نورها غير خامد

ألا أيها الملك المظفر دعوتى ستورى بهازندى ويشتد ساعدى
هنيئا لك الملك الذى بقدومه ترحل عنا كل هم معاود

﴿ وفيها ﴾ لما تفرقت العساكر الكاملية قصد كيقباذ بن كيخسرو صاحب بلاد الروم حران والرها وحاصرهما واستولى عليهما وكانا للسلطان الملك الكامل (وفيها) توفي بالقاهرة القاسم بن عمر بن على الحموى المصرى الدار المعروف بابن الفارض وله أشعار جيدة منها قصيدته التى عملها على طريقة الفقراء وهى مقدار ستمائة بيت (ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستمائة) في هذه السنة سار الناصر داود من الكرك الى بغداد ملتجئا الى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف من عمه الملك الكامل وقدم الى الخليفة تحفا عظيمة وجواهر نفيسة فاكرمه الخليفة المستنصر وخلع عليه وعلى أصحابه وكان الناصر داود يظن ان الخليفة يستحضره في ملا من الناس كما استحضر مظفر الدين صاحب أربل فلم يحصل له ذلك وألح في طلب ذلك من الخليفة فلم يجبه فعمل الناصر المذكور قصيدة يمدح المستنصر فيها ويعرض بصاحب أربل واستحضاره ويطلب الاسوة به وهى قصيدة طويلة منها

فأنت الامام العدل والمفرق الذى به شرفت أنسابه ومناصبه
جمعت شتيت المجد بعد افتراقه وفرقت جمع المال فانهال كاتبه
ألا ياأمير المؤمنين ومن غدت على كاهل الجوزاء تعلو مراتبه
أيحسن في شرع المعالى ودينها وأنت الذى تعزى اليك مذاهبه
بأنى أخوض الدو والدو مقفر سآريه مغبرة وسباسبه
وقد رصد الاعداء لى كل مرصد فكلهم نحوى تدب عقاربه

ومنها

وتسمح لى بالمال والجاه بغيتى وما الجاه الا بعض ماأنت واهبه
ويأتيك غيرى من بلاد قريبة له الأمن فيها صاحب لايجانبه
فيلقى دنوا منك لم ألق مثله ويحظى وما أحظى بما أنا طالبه
وينظر من لالآء قدسك نظرة فيرجع والنور الامامى صاحبه
ولو كان يعلونى بنفس ورتبة وصدق ولاء لست فيه أصاقبه
لكنت أسلى النفس عما أرومه وكنت أذود العين عما يراقبه
ولكنه مثلى ولو قلت اننى أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه
وما أنا ممن يملأ المال عينه ولابسوى التقريب تقضى مآربه

وكان الخليفة متوقفا على استحضار الناصر داود رعاية لخاطر الملك الكامل فجمع بين

المصلحتين واستحضره ليلا ثم عاد الملك الناصر الى الكرك (وفي هذه السنة) سار السلطان الملك الكامل من مصر الى البلاد الشرقية واسترجع حران والرها من يد كيقباذ صاحب بلاد الروم وأمسك أجناد كيقباذ ونوابه الذين كانوا بهما وقيدهم وأرسلهم الى مصر فلم يستحسن ذلك منه ثم عاد الملك الكامل الى دمشق وأقام عند أخيه الملك الاشرف حتى خرجت هذه السنة (وفى هذه السنة) توفي شرف الدين محمد بن نصر بن عنين الزرعى الشاعر المشهور وكان شاعرا مفلقا وكان يكثر هجو الناس عمل قصيدة خمسمائة بيت سماها مقراض الاعراض لم يسلم منها أحد من أهل دمشق ونفاه السلطان صلاح الدين الى اليمن فمدح صاحبها طغتكين بن أيوب وحصل له منه أموال كثيرة عمل بها ابن عنين متجرا وقدم به الى مصر وصاحبها حينئذ العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين فلما أخذت من ابن عنين زكاة مامعه على عادة التجار قال في العزيز

ما كل من يتسمى بالعزيز لها ... أهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيز بن بون في فعالهما ... هذاك يعطى وهذا يأخذ الصدقه

ثم سار ابن عنين المذكور الى دمشق ولازم الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبقى عنده وتوفي بدمشق في هذه السنة وديوانه مشهور (ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة) فيها عاد السلطان الملك الكامل الى الديار المصرية

ذكر وفاة الملك العزيز صاحب حلب

(وفي هذه السنة) كان قد خرج الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى حارم للصيد ورمى البندق واغتسل بماء بارد فحم ودخل الى حلب وقد قويت به الحمى واشتد مرضه وتوفي في ربيع الاول من هذه السنة وكان عمره ثلاث وعشرين سنة وشهورا وكان حسن السيرة في رعيته ولما توفي تقرر في الملك بعده ولده الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد وعمره نحو سبع سنين وقام بتدبير الدولة شمس الدين لولو الارمنى وعز الدين عمر بن مجلى وجمال الدولة اقبال الخاتونى والمرجع في الامور الى والدة الملك العزيز ضيفة خاتون بنت الملك العادل (وفي هذه السنة) توفي علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو صاحب بلاد الروم وملك بعده ابنه غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلمش بن أرسلان بن سلجوق (وفي هذه السنة) قويت الوحشة بين الملك الكامل وبين أخيه الملك الاشرف وكان ابتداؤها مافعله شيركوه صاحب حمص لما قصد الملك الكامل بلاد الروم فاتفق الملك الاشرف مع صاحبة حلب ضيفة خاتون

أخت الملك الكامل ومع باقى الملوك على خلاف الملك الكامل خلا الملك المظفر صاحب حماة فلما امتنع تهدده الملك الاشرف بقصد بلاده وانتزاعها منه فقدم خوفا من ذلك الى دمشق وحلف للملك الاشرف ووافقه على قتال الملك الكامل وكاتب الملك الاشرف كيخسرو صاحب بلاد الروم واتفق معه على قتال أخيه الملك الكامل ان خرج من مصر وأرسل الملك الاشرف يقول للناصر داود صاحب الكرك انك ان وافقتنى جعلتك ولى عهدى وأوصيت لك بدمشق وزوجتك بابنتى فلم يوافقه الناصر على ذلك لسوء حظه ورحل الى الديار المصرية الى خدمة الملك الكامل وصار معه على ملوك الشام فسر به الملك الكامل وجدد عقده على ابنته عاشورا التى طلقها منه واركب الناصر داود بسناجق السلطنة ووعده انه ينتزع دمشق من الملك الاشرف أخيه ويعطيه اياها وأمر الملك الكامل أمراء مصر وولده الملك العادل أبا بكر ابن الملك الكامل فحملوا الغاشية بين يدى الملك الناصر داود وبالغ في اكرامه (وفي هذه السنة) توجه عسكر حلب مع الملك المعظم توران شاه عم الملك العزيز فحاصروا بغراس وكان قد عمرها الداويه بعد ماافتحها السلطان صلاح الدين وخربها وأشرف عسكر حلب على أخذها ثم رحلوا عنها بسبب الهدنة مع صاحب انطاكية ثم ان الفرنج أغاروا على ربض درباك وهى حينئذ لصاحب حلب فوقع بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والاسر وعاد عسكر حلب بالاسرى ورؤس الفرنج وكانت هذه الوقعة من أجل الوقائع (وفي هذه السنة) استخدم الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وهو بالبلاد الشرقية وهى آمد وحصن كيفا وحران وغيرها نائبا عن أبيه الخوارزمية عسكر جلال الدين منكبرنى فانهم بعد قتله ساروا الى كيقباذ ملك بلاد الروم وخدموا عنده وكان فيهم عدة مقدمين مثل بركب خان وكشلوخان وصاروخان وفرخان وبردى خان * فلما مات كيقباذ وتولى ابنه كيخسرو قبض على بركب خان وهو أكبر مقدميهم ففارقت الخوارزمية حينئذ خدمته وساروا عن الروم ونهبوا ما كان على طريقهم فاستمالهم الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل واستأذن أباه في استخدامهم فاذن له واستخدمهم * (ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة) * وقد استحكمت الوحشة بين الاخوين الكامل والاشرف وقد لحق الملك الاشرف الذرب وضعف بسببه وعهد بالملك الى أخيه الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل صاحب بصرى

ذكر وفاة الملك الاشرف

(وفي هذه السنة) توفي الملك الاشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب وكان قد مرض بالذرب واشتد به حتى توفي في المحرم من هذه السنة وتملك دمشق أخوه الصالح اسماعيل بعهد منه وكان مدة ملك الاشرف دمشق ثمان سنين

وشهورا وعمره نحو ستين سنة وكان مفرط السخاء يطلق الاموال الجليلة النفيسة وكان ميمون النقيبة لم تنهزم له راية وكان سعيدا ويتفق له أشياء خارقة للعقل وكان حسن العقيدة وبنى بدمشق قصورا ومتنزهات حسنة وكان منهمكا في اللذات وسماع الاغانى فلما مرض أقلع عن ذلك وأقبل على الاستغفار الى ان توفي ودفن في تربته بجانب الجامع ولم يخلف من الاولاد الا بنتا واحدة تزوجها الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل وكان سبب الوحشة بينه وبين أخيه الملك الكامل بعد ما كان بينهما من المصافاة ان الملك الاشرف لم يبق بيده غير دمشق وبلادها وكانت لا تفي بما يحتاجه وما يبذله وقت قدوم أخيه الملك الكامل الى دمشق وأيضا لما فتح الملك الكامل آمد وبلادها لم يزده منها شيئاً وأيضا بلغه ان الملك الكامل يريد ان ينفرد بمصر والشام وينتزع دمشق منه فتغير بسبب ذلك ولما استقر الملك الصالح اسماعيل في ملك دمشق كتب الى الملوك من أهله والى كيخسرو صاحب بلاد الروم في اتفاقهم معه على أخيه الملك الكامل فوافقوه على ذلك الا الملك المظفر صاحب حماة وأرسل الملك المظفر رسولا الى الملك الكامل يعرفه انتماءه اليه وانه انما وافق الملك الاشرف خوفا منه فقبل الملك الكامل عذره وتحقق صدق ولائه ووعده بانتزاع سلمية من صاحب حمص وتسليمها اليه

﴿ ذكر مسير السلطان الملك الكامل الى دمشق واستيلائه عليها ووفاته ﴾

وما يتعلق بذلك * لما بلغ الملك الكامل وفاة أخيه الملك الاشرف سار الى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك وهو لا يشك ان الملك الكامل يسلم اليه دمشق لما كان قد تقرر بينهما * وأما الملك الصالح اسمعيل فانه استعد للحصار ووصل اليه نجدة الحلبيين وصاحب حمص ونازل الملك الكامل دمشق وأخرج الملك الصالح اسمعيل النفاطين فاحرق العقيبة جميعها وما بها من خانات وأسواق وفي مدة الحصار وصل من عند صاحب حمص رجالة يزيدون على خمسين راجلا نجدة للصالح اسمعيل وظفر بهم الملك الكامل فشنقهم بين البساتين عن آخرهم وحال نزول الملك الكامل على دمشق أرسل توقيعا للملك المظفر صاحب حماة بسلمية فتسلمها الملك المظفر واستقرت نوابه بها وكان نزول الملك الكامل على دمشق في جمادى الاولى من هذه السنة في قوة الشتاء ثم سلم الملك الصالح اسمعيل دمشق الى أخيه الملك الكامل وتعوض عنها بعلبك والبقاع مضافاً الى بصرى وكان قد ورد من الخليفة المستنصر محيي الدين يوسف ابن الشيخ جمال الدين ابن الجوزى رسولا للتوفيق بين الملوك فتسلم الملك الكامل دمشق لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى وكان الملك الكامل شديد الحنق على شيركوه صاحب حمص

فأمر العسكر فبرزوا لقصد حمص وأرسل الى صاحب حماة وأمره بالمسير اليها فبرز الملك المظفر من حماة ونزل على الرستن واشتد خوف شيركوه صاحب حمص وتخضع الملك الكامل وأرسل اليه نساءه ودخلن على الملك الكامل فلم يلتفت الى ذلك ثم بعد استقرار الملك الكامل في دمشق لم يلبث غير أيام حتى مرض واشتد مرضه وكان سببه انه لما دخل قلعة دمشق أصابه زكام فدخل الحمام وسكب عليه ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة الى معدته وتورمت منها وحصل له حمى ونهاه الاطباء عن القيء وخوفوه منه فلم يقبل وتقيأ فمات لوقته وعمره نحو ستين سنة وكانت وفاته لتسع بقين من رجب من هذه السنة أعني سنة خمس وثلاثين وستمائة وكان بين موته وموت أخيه الملك الاشرف نحو ستة أشهر وكانت مدة ملكه لمصر من حين مات أبوه عشرين سنة وكان بها نائبا قبل ذلك قريباً من عشرين سنة فحكم في مصر نائباً وملكا نحو أربعين سنة وأشبه حاله حال معاوية بن أبي سفيان فانه حكم في الشام نائبا نحو عشرين وملكا نحو عشرين وكان الملك الكامل ملكا جليلا مهيبا حازما حسن التدبير أمنت الطرق في أيامه وكان يباشر تدبير المملكة بنفسه واستوزر في أول ملكه وزير أبيه صفي الدين بن شكر فلما مات ابن شكر لم يستوزر أحدا بعده وكان يخرج الملك الكامل بنفسه فينظر في أمور الجسور عند زيادة النيل واصلاحها فعمرت في أيامه ديار مصر أتم العمارة وكان محبا للعلماء ومجالستهم وكانت عنده مسائل غريبة في الفقه والنحو يمتحن بها الفضلاء اذا حضروا في خدمته وكان كثير السماع للاحاديث النبوية تقدم عنده بسببها الشيخ عمر بن دحية وبنى له دار الحديث بين القصرين في الجانب الغربى وكانت سوق الآداب والعلوم عنده نافقة رحمه الله تعالى وكان أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه من أكابر دولته وهم الامير فخر الدين ابن الشيخ واخوته عماد الدين وكمال الدين ومعين الدين أولاد الشيخ المذكور وكل من أولاد الشيخ المذكور حاز فضيلتي السيف والقلم فكان يباشر التدريس ويتقدم على الجيش * ولما مات السلطان الملك الكامل بدمشق كان معه بها الملك الناصر داود صاحب الكرك فاتفق آراء الامراء على تحليف العسكر للملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل وهو حينئذ نائب أبيه بمصر فحلف له جميع العسكر وأقاموا في دمشق الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائبا عن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل وتقدمت الامراء الى الملك الناصر داود بالرحيل عن دمشق وهددوه ان أقام فرحل الملك الناصر داود الى الكرك وتفرقت العساكر فسار أكثرهم الى مصر وتأخر مع الجواد يونس بعض العسكر ومقدمهم عماد الدين ابن الشيخ وبقي يباشر الامور مع الملك الجواد * ولما بلغ شيركوه صاحب

حمص وفاة الملك الكامل فرح فرحاً عظيما وأتاه فرج ما كان يطمع نفسه به وأظهر سرورا عظيماً ولعب بالكرة على خلاف العادة وهو في عشر السبعين * وأما الملك المظفر صاحب حماة فانه حزن لذلك حزنا عظيما ورحل من الرستن وعاد الى حماة وأقام فيها للعزاء وأرسل صاحب حمص ارتجع سلمية من نواب الملك المظفر وقطع القناة الواصلة من سلمية الى حماة فيبست بساتينها ثم عزم على قطع النهر العاصى عن حماة فسد مخرجه من بحيرة قدس التى بظاهر حمص فبطلت نواعير حماة والطواحين وذهب ماء العاصى في أودية بجوانب البحيرة ثم لما لم يجد له الماء مسلكا عاد فهدم ما عمله صاحب حمص وجرى كما كان أولا وكذلك كان قد حصل لصاحب حلب ولعسكرها الخوف من الملك الكامل فلما بلغهم موته أمنوا من ذلك

ذكر استيلاء الحلبيين على المعرة وحصارهم حماة

ولما بلغ الحلبيين موت الكامل اتفقت آراؤهم على أخذ المعرة ثم أخذ حماة من الملك المظفر صاحب حماة لموافقته الملك الكامل على قصدهم ووصل عسكر حلب الى المعرة وانتزعوها من يد الملك المظفر صاحب حماة وحاصروا قلعتها وخرجت المعرة حينئذ عن ملك الملك المظفر صاحب حماة ثم سار عسكر حلب ومقدمهم المعظم توران شاه بن صلاح الدين الى حماة بعد استيلائهم على المعرة ونازلوا حماة وبها صاحبها الملك المظفر ونهب العسكر الحلبي بلاد حماة واستمر الحصار على حماة حتى خرجت هذه السنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) عقد لسلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو العقد على غازية خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب وهى صغيرة حينئذ وتولى القبول عن ملك بلاد الروم قاضى دوقات ثم عقد الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب العقد على أخت كيخسرو وهى ملكة خاتون بنت كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان وأم ملكة خاتون المذكورة بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب وكان قد زوجها الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بكيقباذ المذكور وخطب لغياث الدين كيخسرو بحلب (وفيها) خرجت الخوارزمية عن طاعة الملك الصالح أيوب بعد موت أبيه الملك الكامل ونهبوا البلاد (وفيها) سار لولو صاحب الموصل وحاصر الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل بسنجار فارسل الملك الصالح واسترضى الخوارزمية وبذل لهم حران والرها فعادوا الى طاعته واتفق مع بدر الدين لولو صاحب الموصل فانهزم لولو وعسكره هزيمة قبيحة وغنم عسكر الملك الصالح منهم شيئاً كثيرا * وفي هذه السنة * جرى بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين الملك الجواد يونس المتولى على

دمشق مصاف بين جينين ونابلس انتصر فيه الملك الجواد يونس وانهزم الملك الناصر داود هزيمة قبيحة وقوى الملك الجواد بسبب هذه الوقعة وتمكن من دمشق ونهب عسكر الملك الناصر وأثقاله (وفي أواخر) هذه السنة ولد والدى الملك الافضل نور الدين على ابن الملك المظفر صاحب حماة *(ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة)* في هذه السنة رحل عسكر حلب المحاصرة لحماة بعد مولد الملك الافضل وكان قد طالت مدة حصارهم لحماة وضجروا فتقدمت اليهم ضيفة خاتون صاحبة حلب بنت الملك العادل بالرحيل عنها فرحلوا وضاق الامر على الملك المظفر في هذا الحصار وانفق فيه أموالا كثيرة واستمرت بالمعرة في يد الحلبيين وسلمية في يد صاحب حمص ولم يبق بيد الملك المظفر غير حماة وبعرين * ولما جرى ذلك خاف الملك المظفر ان تخرج بعرين بسبب قلعتها فتقدم بهدمها فهدمت الى الارض في هذه السنة

ذكر استيلاء الملك الصالح ايوب على دمشق

(وفي هذه السنة) في جمادى الآخرة استولى الملك الصالح أيوب ابن السلطان الملك الكامل على دمشق وأعمالها بتسليم الملك الجواد يونس وأخذ العوض عنها سنجار والرقة وعانة وكان سبب ذلك ان الملك العادل ابن الملك الكامل صاحب مصر لما علم باستيلاء الملك الجواد على دمشق أرسل اليه عماد الدين ابن الشيخ لينتزع دمشق منه وان يعوض عنها اقطاعاً بمصر فمال الجواد يونس الى تسليمها الى الملك الصالح حسبما ذكرناه وجهز على عماد الدين ابن الشيخ من وقف له بقصة فلما أخذها عماد الدين منه ضربه ذلك الرجل بسكين فقتله * ولما وصل الملك الصالح أيوب الى دمشق وصل معه الملك المظفر صاحب حماة معاضدا له وكان قد لاقاه الى اثناء الطريق واستقر الملك الصالح أيوب المذكور في ملك دمشق وسار الجواد يونس الى البلاد الشرقية المذكورة فتسلمها * ولما استقر ملك الملك الصالح بدمشق وردت عليه كتب المصريين يستدعونه الى مصر ليملكها وسأله الملك المظفر صاحب حماة في منازلة حمص وأخذها من شيركوه فبرز الى الثنية وكان قد نازلت الخوارزمية وصاحب حماة حمص فارسل شيركوه مالا كثيرا وفرقه في الخوارزمية فرحلوا عنه الى البلاد الشرقية ورحل صاحب حماة الى حماة ثم كر الملك الصالح عائدا الى دمشق طالبا مصر وسار من دمشق الى خربة اللصوص وعيد بها عيد رمضان ووصل اليه بعض عساكر مصر مقفزين * ولما خرج الملك الصالح من دمشق جعل نائبه فيها ولده الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح وشرع الملك الصالح يكاتب عمه الصالح اسماعيل صاحب بعلبك ويستدعيه اليه وعمه اسماعيل المذكور يحتج ويعتذر عن الحضور

ويظهر له انه معه وهو يعمل في الباطن على ملك دمشق وأخذها من الصالح أيوب وكان قد سافر الملك الناصر صاحب الكرك الى مصر واتفق مع الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل على قتال الملك الصالح أيوب ووصل أيضا في هذه السنة محيي الدين ابن الجوزى رسولا من الخليفة ليصلح بين الاخوين العادل صاحب مصر والصالح أيوب المستولى على دمشق وهذا محيي الدين هو الذى حضر ليصلح بين الكامل والاشرف فاتفق انه مات في حضوره في سنة أربع وثلاثين وخمس وثلاثين أربعة من السلاطين العظماء وهم الملك الكامل صاحب مصر وأخوه الاشرف صاحب دمشق والعزيز صاحب حلب وكيقباذ صاحب بلاد الروم فقال في ذلك ابن المسجف أحد شعراء دمشق

يا امام الهدى أبا جعفر المنـ ـصور يامن له الفخار الأثيل
ماجرى من رسولك الآن محيي الـ ـدين في هذه البلاد قليل
جاء والارض بالسلاطين تزهى وغدا والديار منهم طلول
اقفر الروم والشآم ومصر أفهذا مغسل أم رسول

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة) في هذه السنة في صفر سار الملك الصالح اسماعيل صاحب بعلبك ومعه شيركوه صاحب حمص بجموعهما وهجموا دمشق وحصروا القلعة وتسلمها الصالح اسماعيل وقبض على المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح أيوب وكان الملك الصالح أيوب بنابلس لقصد الاستيلاء على ديار مصر وكان قد بلغه سعى عمه اسماعيل في الباطن وكان للصالح أيوب طبيب يثق به يقال له الحكيم سعد الدين الدمشقى فارسله الصالح أيوب الى بعلبك ومعه قفص من حمام نابلس ليطالعه باخبار الصالح صاحب بعلبك وحال وصول الحكيم المذكور علم به صاحب بعلبك فاستحضره وأكرمه وسرق الحمام التى لنابلس وجعل موضعها حمام بعلبك ولم يشعر الطبيب المذكور بذلك فصار الطبيب المذكور يكتب ان عمك اسماعيل قد جمع وهو في نية قصد دمشق ويطبق فيقعد الطير ببعلبك فيأخذ الصالح اسماعيل البطاقة ويزور على الحكيم ان عمك اسماعيل قد جمع ليعاضدك وهو واصل اليك ويسرجه على حمام نابلس فيعتمد الصالح أيوب على بطاقة الحكيم ويترك مايرد اليه من غيره من الاخبار واتفق أيضا ان الملك المظفر صاحب حماة علم بسعى الصالح اسماعيل صاحب بعلبك في أخذ دمشق مع خلوها ممن يحفظها فجهز نائبه سيف الدين على بن أبي على ومعه جماعة من عسكر حماة وغيرهم وجهز معه من السلاح والمال شيئاً كثيرا ليصل الى دمشق ويحفظها لصاحبها وأظهر الملك المظفر وابن أبي على انهما قد اختصما وان ابن أبي

على قد غضب واجتمع معه هذه الجماعة وقد قصدوا فراق صاحب حماة لانه يريد ان يسلم حماة للفرنج كل ذلك خوفا من صاحب حمص شيركوه لئلا يقصد ابن أبي على ويمنعه فلم تخف عن شيركوه هذه الحيلة ولما وصل ابن أبي على الى بحيرة حمص قصده شيركوه وأظهر انه مصدقه فيما ذكر وسأله الدخول الى حمص ليضيفه وأخذ ابن أبي على معه وأرسل من استدعى باقى أصحاب ابن أبي على الى الضيافة فمنهم من سمع ودخل الى حمص ومنهم من هرب فسلم فلما حصلوا عنده بحمص قبض على ابن أبي على وعلى جميع من دخل حمص من الحمويين واستولى على جميع ماكان معهم من السلاح والخزانة وبقى يعذبهم ويطلب منهم أموالهم حتى استصفاها ومات ابن أبي على وغيره في حبسه بحمص والذى سلم وبقى الى بعد موت شيركوه خاص ولما جرى ذلك ضعف الملك المظفر صاحب حماة ضعفا كثيرا * وأما الملك الصالح أيوب فلما بلغه قصد عمه اسمعيل دمشق رحل من نابلس الى الغور فبلغه استيلاء عمه على قلعة دمشق واعتقال ولده المغيث عمر فقصدت نيات عساكره عليه وشرعت الامراء ومن معه من الملوك يحركون نقاراتهم ويرحلون مفارقين الصالح أيوب الى الصالح اسمعيل بدمشق فلم يبق عند الصالح أيوب بالغور غير مماليكه واستاذ داره حسام الدين ابن أبي على وأصبح الملك الصالح أيوب لايدرى مايفعل ولاله موضع يقصده فقصد نابلس ونزل بها بمن بقي معه وسمع الناصر داود بذلك وكان قد وصل من مصر الى الكرك فنزل بعسكره وأمسك الملك الصالح أيوب وأرسله الى الكرك واعتقله بها وأمر بالقيام في خدمته بكل مايختاره. ولما اعتقل الصالح أيوب بالكرك تفرق عنه باقى أصحابه ومماليكه ولم يبق منهم معه غير عدة يسيرة ولما جرى ذلك أرسل أخو الصالح الملك العادل أبو بكر صاحب مصر يطلبه من الملك الناصر داود فلم يسلمه الناصر داود فارسل الملك العادل وتهدد الملك الناصر باخذه بلاده فلم يلتفت الى ذلك

ذكر غير ذلك

(وفي هذه السنة) بعد اعتقال الملك الصالح بالكرك قصد الناصر داود القدس وكان الفرنج قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل فحاصرها وفتحها وخرب القلعة وخرب برج داود أيضاً فانه لما خربت القدس أولا لم يخرب برج داود فخربه في هذه المرة (وفي هذه السنة) توفي الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص بن ناصر الدين محمد ابن شيركوه بن شاذى وكانت مدة ملكه بحمص نحو ست وخمسين سنة لان صلاح الدين ملكه حمص سنة احدى وثمانين وخمسمائة بعد موت أبيه محمد بن شيركوه وكان عمره يومئذ نحو اثنتى عشرة سنة وكان شيركوه المذكور عسوفا لرعيته وملك حمص

بعده ولده الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه (وفي هذه السنة) استولى بدر الدين لولو صاحب الموصل على سنجار وأخذها من الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل

ذكر خروج الملك الصالح أيوب من الاعتقال والقبض على أخيه الملك العادل صاحب مصر وملك الملك الصالح ايوب ديار مصر

(وفي هذه السنة) في أواخر رمضان أفرج الملك الناصر داود صاحب الكرك عن ابن عمه الملك الصالح أيوب واجتمعت عليه مماليكه وكاتبه اليها زهير وسار الناصر داود وصحبته الصالح أيوب الى قبة الصخرة وتحالفا بها على ان تكون ديار مصر للصالح ودمشق والبلاد الشرقية للناصر داود * ولما تملك الصالح أيوب لم يف للناصر بذلك وكان يتأول في يمينه انه كان مكرها ثم سارا الى غزة * فلما بلغ العادل صاحب مصر ظهور أمر أخيه الصالح عظم عليه وعلى والدته ذلك وبرز بعسكر مصر ونزل على بلبيس لقصد الناصر داود والصالح أخيه وأرسل الى عمه الصالح اسمعيل المستولى على دمشق ان يبرز ويقصدهما من جهة الشام وان يستأصلهما فسار الصالح اسمعيل بعساكر دمشق ونزل الفوار فبينا الناصر داود والصالح أيوب في هذه الشدة وهما بين عسكرين قد أحاطا بهما اذ ركبت جماعة من المماليك الاشرفية ومقدمهم أيبك الاسمر وأحاطوا بدهليز الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل وقبضوا عليه وجعلوه في خيمة صغيرة وعليه من يحفظه وأرسلوا الى الملك الصالح أيوب يستدعونه فاتاه فرج لم يسمع بمثله وسار الملك الصالح أيوب والملك الناصر داود الى مصر وبقي في كل يوم يلتقي الملك الصالح فوج بعد فوج من الامراء والعسكر وكان القبض على الملك العادل ليلة الجمعة ثامن ذي القعدة من هذه السنة فكانت مدة ملكه نحو سنتين ودخل الملك الصالح أيوب الى قلعة الجبل بكرة الاحد لست بقين من الشهر المذكور وزينت له البلاد وفرح الناس بمقدمه وحصل للملك المظفر صاحب حماة من السرور والفرح بملك الملك الصالح مصر مالا يمكن شرحه فانه مازال على ولائه حتى انه لما أمسك بالكرك كان يخطب له بحماة وبلادها * ولما استقر الملك الصالح أيوب في ملك مصر وصحبته الناصر داود حصل عند كل واحد منهما استشعار من صاحبه وخاف الناصر داود ان يقبض عليه فطلب دستورا وتوجه الى بلاده الكرك وغيرها

(ذكر وفاة صاحب ماردين)

(في هذه السنة) وقيل في سنة ست وثلاثين توفي ناصر الدين ارتق أرسلان ابن ايلغازى

ابن ابى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق صاحب ماردين وكان يلقب الملك المنصور وملك المذكور ماردين بعد أخيه حسام الدين بولق أرسلان حسبما تقدم ذكره في سنة ثمانين وخمسمائة وبقي ارتق أرسلان متغلبا عليه مملوك والده البقش حتى قتله ارتق أرسلان في سنة احدى وستمائة واستقل ارتق ارسلان بملك ماردين حتى توفي في هذه السنة ولما مات الملك المنصور ارتق أرسلان ملك بعده ابنه الملك السعيد نجم الدين غازى بن ارتق أرسلان المذكور حتى توفي في سنة ثلاث وخمسين وستمائة ظنا ثم ملك بعده في السنة المذكورة ابنه الملك المظفر قرا أرسلان بن غازى بن ارتق أرسلان وكانت وفاة المظفر قرا أرسلان المذكور سنة احدى وتسعين وستمائة ظنا ثم ملك بعده ولده الاكبر شمس الدين داود ابن قرا أرسلان سنة وتسعة أشهر ثم توفي وملك بعده أخوه الملك المنصور نجم الدين غازى بن قرا أرسلان في سنة ثلاث وتسعين وستمائة ظنا ونقلت وفيات المذكورين حسبما هو مشروح من تقويم حل ماردين ذكر فيه تواريخ بنى ارتق ولم أتحقق صحة ذلك وسنذكر في سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وفاة الملك المنصور غازى المذكور في سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة) في هذه السنة قبض الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل بعد استقراره في ملك مصر على أيبك الاسمر مقدم المماليك الاشرفية وعلى غيره من الامراء والمماليك الذين قبضوا على أخيه وأودعهم الحبوس وأخذ في انشاء مماليكه وشرع الملك الصالح أيوب المذكور من هذه السنة في بناء قلعة الجزيرة واتخذها مسكنا لنفسه (وفيها) نزل الملك الحافظ أرسلان شاه ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب عن قلعة جعبر وبالس وسلمهما الى أخته ضيفة خاتون صاحبة حلب وتسلم عوض ذلك اعزاز وبلادا معها تساوى مانزل عنه وكان سبب ذلك ان الملك الحافظ المذكور أصابه فالج وخشى من أولاده وتغلبهم عليه ففعل ذلك لانه كان ببلاد قريبة الى حلب لايمكنهم التعرض اليه (وفي هذه السنة) كثرعبث الخوارزمية وفسادهم بعد مفارقة الملك الصالح أيوب البلاد الشرقية وساروا الى قرب حلب فخرج اليهم عسكر حلب مع الملك المعظم تورانشاه ابن صلاح الدين ووقع بينهم القتال فانهزم الحلبيون هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير منهم الملك الصالح ابن الملك الافضل ابن السلطان صلاح الدين وأسر مقدم الجيش الملك المعظم المذكور واستولى الخوارزميون على ثقال الحلبيين وأسروا منهم عدة كثيرة ثم كانوا يقتلون بعضهم ليشترى غيره نفسه منهم بماله فأخذوا بذلك شيئاً كثيرا ثم نزل الخوارزمية بعد ذلك على جبلان وكثر عبثهم وفسادهم ونهبهم في بلاد حلب وجفل أهل الحواضر والبلاد ودخلوا مدينة حلب واستعد أهلها للحصار وارتكب الخوارزمية من الزنا والفواحش والقتل ماارتكبوه التتر ثم سارت الخوارزمية الى منبج

وهجموها بالسيف يوم الخميس لتسع بقين من ربيع الاول من هذه السنة وفعلوا من القتل والنهب مثل ما تقدم ذكره ثم رجعوا الى بلادهم وهى حران وما معها بعد ان أخربوا بلد حلب

(ذكر عود الخوارزمية الى بلد حلب وغيرها)

ثم ان الخوارزمية رحلوا من حران وقطعوا الفرات من الرقة ووصلوا الى الجبول ثم الى تل اعزاز ثم الى سرمين ثم الى المعرة وهم ينهبون مايجدونه فان الناس جفلوا من بين أيديهم وكان قد وصل الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص ومعه عسكر من عسكر الصالح اسمعيل المستولى على دمشق نجدة للحلبيين فاجتمع الحلبيون مع صاحب حمص المذكور وقصدوا الخوارزمية واستمرت الخوارزمية على ماهم عليه من النهب حتى نزلوا على شيزر ونزل عسكر حلب على تل السلطان ثم رحلت الخوارزمية الى جهة حماة ولم يتعرضوا الى نهب لانتماء صاحبها الملك المظفر الى الملك الصالح أيوب ثم سارت الخوارزمية الى سلمية ثم الى الرصافة طالبين الرقة وسار عسكر حلب من تل السلطان اليهم ولحقتهم العرب فارمت الخوارزمية ما كان معهم من المكاسب وسيبوا الاسرى ووصلت الخوارزمية الى الفرات في أواخر شعبان في هذه السنة ولحقهم عسكر حلب وصاحب حمص ابراهيم قاطع صفين فعمل لهم الخوارزمية ستائر ووقع القتال بينهم الى الليل فقطع الخوارزمية الفرات وساروا الى حران فسار عسكر حلب الى البيرة وقطعوا الفرات منها وقصدوا الخوارزمية واتقعوا قريب الرها لتسع بقين من رمضان هذه السنة فولى الخوارزمية منهزمين وركب صاحب حمص وعسكر حلب أقفيتهم يقتلون ويأسرون الى ان حال الليل بينهم ثم سار عسكر حلب الى حران فاستولوا عليها وهربت الخوارزمية الى بلد عانة وبادر بدر الدين لولو صاحب الموصل الى نصيبين ودارا وكانتا للخوارزمية فاستولى عليهما وخلص من كان بهما من الاسرى وكان منهم الملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين أسيرا في بلدة دارا من حين أسروه في كسرة الحلبيين فحمله بدر الدين لولو الى الموصل وقدم له ثيابا وتحفا وبعث به الى عسكر حلب واستولى عسكر حلب على الرقة والرها وسروج ورأس عين وما مع ذلك واستولى صاحب حمص المنصور ابراهيم على بلد الخابور ثم سار عسكر حلب ووصل اليهم نجدة من الروم وحاصروا الملك المعظم ابن الملك الصالح أيوب بآمد وتسلموها منه وتركوا له حصن كيفا وقلعة الهيثم ولم يزل ذلك بيده حتى توفي أبوه الملك الصالح أيوب بمصر وسار اليها المعظم المذكور على ماسنذكره ان شاء الله تعالى وبقى ولد المعظم وهو الملك الموحد عبد الله ابن المعظم توران شاه ابن الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب

مالكا لحصن كيفا الى أيام التتر وطالت مدته بها

(ذكر ما كان من الملك الجواد يونس)

(في هذه السنة) كان هلاك الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل وصورة ماجرى له انه كان قد استولى بعد ملك دمشق على سنجار وعانة فباع عانة من الخليفة المستنصر بمال تسلمه منه وسار لولو صاحب الموصل وحاصر سنجار ويونس المذكور غائب عنها واستولى عليها ولم يبق بيد يونس من البلاد شئ فسار على البرية الى غزة وأرسل الى الملك الصالح أيوب صاحب مصر يسأله في المصير اليه فلم يجبه الى ذلك فسار يونس حينئذ ودخل الى عكا وأقام مع الفرنج فأرسل الصالح اسمعيل صاحب دمشق حينئذ وبذل مالا للفرنج وتسلم الملك الجواد يونس المذكور من الفرنج واعتقله ثم خنقه (وفي هذه السنة) ولى الملك الصالح أيوب الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام القضاء بمصر والوجه القبلي وكان عز الدين المذكور بدمشق فلما قوى خوف الصالح اسماعيل صاحب دمشق من ابن أخيه الصالح أيوب صاحب مصر سلم الصالح اسماعيل صفد والشقيف الى الفرنج ليعضدوه ويكونوا معه على ابن أخيه الصالح أيوب فعظم ذلك على المسلمين وأكثر الشيخ عز الدين بن عبد السلام التشنيع على الصالح اسمعيل بسبب ذلك وكذلك جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب ثم خافا من الصالح اسمعيل فسار عز الدين ابن عبد السلام الى مصر وتولى بها القضاء كرها وسار جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب الى الكرك وأقام عند الملك الناصر داود صاحب الكرك ونظم له مقدمته الكافية في النحو ثم بعد ذلك سافر ابن الحاجب الى الديار المصرية (ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة) والصالح اسمعيل صاحب دمشق والمنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وصاحبة حلب متفقون على عداوة الملك الصالح أيوب صاحب مصر ولم يوافقهم صاحب حماة على ذلك واخلص في الانتماء الى صاحب مصر (وفي هذه السنة) اتفقت الخوارزمية مع الملك المظفر غازى صاحب ميا فارقين ابن الملك العادل (وفيها) في شعبان أصاب جد الملك المظفر صاحب حماة الفالج وهو جالس بين أصحابه في قلعة حماة وبقى أياما لا يتكلم ولا يتحرك وكان ذلك في أواخر فصل الشتاء وأرجف الناس بموته وقام بتدبير المملكة مملوكه وأستاذ داره سيف الدين طغريل ثم خف مرض الملك المظفر وفتح عينيه وصار يتكلم باللفظة واللفظتين لايكاد يفهم وكان العاطب الجانب الايمن منه وبعث اليه الصالح صاحب مصر طبيبا حاذقا نصرانيا يقال له النفيس ابن طليب فلم تنجع فيه المداواة واستمر على ذلك الى ان توفي بعد سنتين وكسر على ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفي هذه السنة) في ذى الحجة توفي الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه ابن الملك العادل بن أيوب باعزاز

وهى التى تعوضها عن قلعة جعبر ونقل الى حلب فدفن في الفردوس وتسلم نواب الملك الناصر يوسف صاحب حلب قلعةاعزاز وأعمالها (وفيها) في شعبان توفي الشيخ العلامة كمال الدين موسى بن يونس بن محمد بن منعه بن مالك الفقيه الشافعى كان امام وقته في مذهب الشافعى وغيره وكان يشتغل الحنفيون عليه في مذهب أبى حنيفة ويحل الجامع الكبير في مذهب أبى حنيفة وكان متقنا علم المنطق والطبيعى والالهى وكان اماما مبرزا في العلم الرياضى واتقن المجسطى وأقليدس والموسيقى والحساب بأنواعه وكان أهل الذمة يقرؤن عليه التوراة والانجيل وشرح لهم هذين الكتابين شرحا يعترفون انهم لا يجدون من يوضح لهم مثله وكان اماما في العربية والتصريف وكان يقرى كتاب سيبويه والمفصل وغيرهما وكذلك كان اماما في التفسير والحديث وقدم الشيخ أثير الدين الابهرى واسمه المفضل بن عمر بن المفضل الى الموصل واشتغل على الشيخ كمال الدين المذكور وكان الشيخ أثير الدين الابهرى المذكور حينئذ اماما مبرزا في العلوم ومع ذلك يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه ويقرأ عليه قال القاضى شمس الدين ابن خلكان ولقد شاهدت بعينى أثير الدين الابهرى وهو يقرأ المجسطى على الشيخ كمال الدين بن يونس المذكور واستمر سنين عديدة يشتغل عليه وكان الاثير اذ ذاك صاحب تصانيف يشتغل فيها الناس وقصد تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الفقيه الشافعى الشيخ كمال الدين المذكور وسأله في أن يقرئه المنطق سرا وتردد ابن الصلاح الى الشيخ كمال الدين مدة يقرأ عليه المنطق ولا يفهمه فقال له ابن يونس المذكور يافقيه المصلحة عندى ان تترك الاشتغال بهذا الفن فقال له ابن الصلاح ولم ذلك فقال لان الناس يعتقدون فيك الخير وهم ينسبون كل من اشتغل بهذا الفن الى فساد الاعتقاد فكانك تفسد عقائدهم فيك ولا يصح لك من هذا الفن شئ فقبل ابن الصلاح اشارته وترك قراءته وكان الشيخ كمال الدين بن يونس المذكور يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه وكانت تعتريه غفلة لاستيلاء الفكرة عليه فعمل فيه بعضهم

أجدك ان قد جاد بعد التعبس ... غزال يوصل لى وأصبح مونسى
وعاطيته صهباء من فيه مزجها ... كرقة شعرى أو كدين ابن يونس

وكانت ولادته في صفر سنة احدى وخمسين وخمسمائة بالموصل وبها توفي في التاريخ المذكور رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة أربعين وستمائة) وفي هذه السنة كان بين الخوارزمية ومعهم الملك المظفر غازى صاحب ميافارقين وبين عسكر حلب ومعهم المنصور ابراهيم صاحب حمص مصاف قريب الخابور عند المجدل في يوم الخميس لثلاث بقين من صفر هذه السنة فولى المظفر غازى والخوارزمية منهزمين أقبح هزيمة ونهب منهم عسكر حلب

شيأ كثيرا ونهبت وطاقات الخوارزمية ونساؤهم أيضا ونزل الملك المنصور ابراهيم في خيمة الملك المظفر غازى واحتوى على خزانته ووطاقه ووصل عسكر حلب وصاحب حمص الى حلب في مستهل جمادى الاولى مؤيدين منصورين

﴿ ذكر وفاة الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب وهى والدة الملك العزيز ﴾

وفي هذه السنة في ليلة الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى توفيت ضيفة خاتون بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب وكان مرضها قرحة في مراق البطن وحمى ودفنت بقلعة حلب وكان مولدها سنة احدى أو اثنتين وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب حين كانت حلب لابيها الملك العادل قبل أن ينتزعها منه أخوه السلطان صلاح الدين ويعطيها ابنه الظاهر غازى فاتفق مولدها ووفاتها بقلعة حلب ولما ولدت كان عند أبيها الملك العادل ضيف فسماها ضيفة فكانت مدة عمرها نحو تسع وخمسين سنة وكان الملك الظاهر صاحب حلب قد تزوج قبل ضيفة خاتون باختها غازية وتوفيت فلما توفيت غازية تزوج باختها ضيفة خاتون المذكورة وكانت ضيفة خاتون قد ملكت حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز وتصرفت في الملك تصرف السلاطين وقامت بالملك أحسن قيام وكانت مدة ملكها نحو ست سنين ولما توفيت كان عمر ابن ابنها الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز نحو ثلاث عشرة سنة فاشهد عليه انه بلغ وحكم واستقل بمملكة حلب وما هو مضاف اليها والمرجع في الامور الى جمال الدين اقبال الاسود الخصى الخاتونى

ذكر وفاة المستنصر بالله

وفي هذه السنة توفي المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الظاهر محمد بن الامام الناصر أحمد بكرة الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة الا شهرا وكان حسن السيرة عادلا في الرعية وهو الذى بنى المدرسة ببغداد المسماة بالمستنصرية على شط دجلة من الجانب الشرقى مما يلى دار الخلافة وجعل لها أوقافا جليلة على أنواع البر ولما مات المستنصر اتفق آراء أرباب الدولة مثل الدوادار والشرابى على تقليد الخلافة ولده عبد الله ولقبوه المستعصم بالله وهو سابع ثلاثينهم وآخرهم وكنيته أبو أحمد بن المستنصر بالله منصور وكان عبد الله المستعصم ضعيف الرأى فاستبد كبراء دولته بالامر وحسنوا له قطع الاجناد وجمع المال ومداراة التتر ففعل ذلك وقطع أكثر العساكر ﴿ ثم دخلت سنة احدى وأربعين وستمائة ﴾ في هذه السنة قصدت التتر بلاد غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم فارسل واستنجد بالحلبيين فارسلوا اليه نجدة مع ناصح الدين الفارسى وجمع العساكر من كل جهة والتقى مع التتر فانهزمت عساكر الروم هزيمة قبيحة وقتل التتر وأسروا منهم

خلقا كثيرا وتحكمت التتر في البلاد واستولوا أيضا على خلاط وآمد وبلادهما وهرب غياث الدين كيخسرو الى بعض المعاقل ثم أرسل الى التتر وطلب الامان ودخل في طاعتهم ثم توفي غياث الدين كيخسرو المذكور بعد ذلك في سنة أربع وخمسين وستمائة حسبما نذكره ان شاء الله تعالى وخلف صغيرين وهما ركن الدين وعز الدين ثم هرب عز الدين الى قسطنطينية وبقى ركن الدين في الملك تحت حكم التتر والحاكم البرواناه معين الدين سليمان والبرواناه لقبه وهو اسم الحاجب بالعجمى ثم ان البرواناه قتل ركن الدين وأقام في الملك ولدا له صغيرا (وفيها) كانت المراسلة بين الصالح أيوب صاحب مصر والصالح اسمعيل صاحب دمشق في الصلح وأن يطلق الصالح اسمعيل المغيث فتح الدين عمر ابن الملك الصالح أيوب وحسام الدين بن أبى على الهذبانى وكانا معتقلين عند الملك الصالح اسمعيل فاطلق حسام الدين بن أبى على وجهزه الى مصر واستمر الملك المغيث ابن الصالح أيوب في الاعتقال واتفق الصالح اسمعيل مع الناصر داود صاحب الكرك واعتضد بالفرنج وسلما أيضا الى الفرنج عسقلان وطبرية فعمر الفرنج قلعتيهما وسلما أيضا اليهم القدس بما فيه من المزارات قال القاضى جمال الدين بن واصل ومررت اذ ذاك بالقدس متوجها الى مصر ورأيت القسوس وقد جعلوا على الصخرة قناني الخمر للقربان (ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وستمائة)

ذكر المصاف الذي كان بين عسكر مصر ومعهم الخوارزمية وبين عسكر دمشق ومعهم الفرنج وصاحب حمص

في هذه السنة وصلت الخوارزمية الى غزة باستدعاء الملك الصالح أيوب لنصرته على عمه الصالح اسمعيل وكان مسيرهم على حارم والروج الى أطراف بلاد دمشق حتى وصلوا الى غزة ووصل اليهم عدة كثيرة من العساكر المصرية مع ركن الدين بيبرس مملوك الملك الصالح أيوب وكان من أكبر مماليكه وهو الذى دخل معه الحبس لما حبس في الكرك وأرسل الملك الصالح اسمعيل عسكر دمشق مع الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وسار صاحب حمص جريدة ودخل عكا فاستدعى الفرنج على ما كان قد وقع عليه اتفاقهم ووعدهم بجزء من بلاد مصر فخرجت الفرنج بالفارس والراجل واجتمعوا أيضا بصاحب حمص وعسكر دمشق والكرك ولم يحضر الناصر داود ذلك والتقى الفريقان بظاهر غزة فولى عسكر دمشق وصاحب حمص ابراهيم والفرنج منهزمين وتبعهم عسكر مصر والخوارزمية فقتلوا منهم خلقا عظيما واستولى الملك الصالح أيوب صاحب مصر على غزة والسواحل والقدس ووصلت الاسرى والرؤس الى مصر ودقت بها البشائر عدة أيام ثم أرسل الملك الصالح صاحب مصر باقى عسكر مصر مع معين

الدين ابن الشيخ واجتمع اليه من بالشام من عسكر مصر والخوارزمية وساروا الى دمشق وحاصروها وبها صاحبها الملك الصالح اسمعيل وابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وخرجت هذه السنة وهم محاصروها

ذكر وفاة صاحب حماة

في هذه السنة توفي جد الملك المظفر صاحب حماة تقى الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب يوم السبت ثامن جمادى الاولى من هذه السنة أعنى سنة اثنتين وأربعين وستمائة وكانت مدة مملكته لحماة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام كان منها مريضا بالفالج سنتين وتسعة أشهر وأياما وكانت وفاته وهو مفلوج بحمى حادة عرضت له وكان عمره ثلاثا وأربعين سنة لان مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان شهما شجاعا فطنا ذكيا وكان يحب أهل الفضائل والعلوم استخدم الشيخ علم الدين قيصر المعروف بتماسيف وكان مهندسا فاضلا في العلوم الرياضية فبنى للملك المظفر المذكور ابراجا بحماة وطاحونا على النهر العاصى وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة قال القاضى جمال الدين بن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها ولما مات الملك المظفر صاحب حماة ملك بعده ولده الملك المنصور محمد بن الملك المظفر محمود المذكور وعمره حينئذ عشر سنين وشهر واحد وثلاثة عشر يوما والقائم بتدبير المملكة سيف الدين طغريل مملوك الملك المظفر ومشاركه الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد المعروف بشيخ الشيوخ والطواشى مرشد والوزير بهاء الدين بن التاج ومرجع الجميع الى والدة الملك المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامل (وفيها) بلغ الملك الصالح نجم الدين أيوب وفاة ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر في حبس الصالح اسمعيل صاحب دمشق فاشتد حزن الصالح أيوب عليه وحنقه على الصالح اسمعيل (وفي هذه السنة) توفي الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب ميافارقين واستقر بعده في ملكه ولده الملك الكامل ناصر الدين محمد بن غازى (وفيها) سير من حماة الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن نصر الله المعروف بيتسه ببنى المغيرك رسولا الى الخليفة ببغداد وصحبته تقدمة من السلطان الملك المنصور صاحب حماة (وفيها) توفي القاضى شهاب الدين ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن على بن محمد الشافعى عرف بابن أبى الدم قاضى حماة وكان قد توجه في الرسلية الى بغداد فمرض في المعرة وعاد الى حماة مريضا فتوفي بها وهو الذى ألف التاريخ الكبير المظفرى وغيره (ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

وستمائة) فيها سير الصالح اسمعيل وزيره أمين الدولة الذى كان سامريا وأسلم الى العراق مستشفعا بالخليفة ليصلح بينه وبين ابن أخيه فلم يجب الخليفة الى ذلك وكان أمين الدولة غالبا على الملك الصالح اسمعيل المذكور بحيث لايخرج عن رأيه

ذكر استيلاء الملك الصالح أيوب على دمشق

وفيها تسلم عسكر الملك الصالح أيوب ومقدمهم معين الدين ابن الشيخ دمشق من الصالح اسمعيل بن الملك العادل وكان محصورا معه بدمشق ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص فتسلم دمشق على أن يستقر بيد الملك الصالح اسمعيل بعلبك وبصرى والسواد ويستقر بيد صاحب حمص حمص وماهو مضاف اليها فاجابهما معين الدين ابن الشيخ الى ذلك ووصل الى دمشق حسام الدين ابن أبى على بمن كان معه من العسكر المصرى واتفق بعد تسليم دمشق ان معين الدين ابن الشيخ مرض وتوفي بها وبقى حسام الدين بن أبى على نائبا بدمشق للملك الصالح أيوب ثم ان الخوارزمية خرجوا عن طاعة الملك الصالح أيوب فانهم كانوا يعتقدون انهم اذا كسروا الصالح اسمعيل وفتحوا دمشق يحصل لهم من البلاد والاقطاعات مايرضى خاطرهم فلما لم يحصل لهم ذلك خرجوا عن طاعة الملك الصالح أيوب وصاروا مع الملك الصالح اسمعيل وانضم اليهم الناصر داود صاحب الكرك وساروا الى دمشق وحصروها وغلت بها الاقوات وقاسى أهلها شدة عظيمة لم يسمع بمثلها وقام حسام الدين ابن أبى على الهذبانى في حفظ دمشق أتم قيام وخرجت السنة والامر على ذلك

ذكر غير ذلك من الحوادث

وفي هذه السنة قصدت التتر بغداد وخرجت عساكر بغداد للقائهم ولم يكن للتتر بهم طاقة فولى التتر منهزمين على أعقابهم تحت الليل ﴿ وفي هذه السنة ﴾ توفيت ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين بدمشق بدار العقيق وكانت قد جاوزت ثمانين سنة وبنت مدرسة للحنابلة بجبل الصالحية (وفيها) توفي الشيخ تقى الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن الصلاح الفقيه المحدث (وفيها) توفي علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد السخاوى شرح قصيدة الشاطبى في القرا آت وشرح المفصل للزمخشرى وسمى شرحه المفضل في شرح المفصل وله مجموع سماه كتاب سفر السعاده وسفير الافاده ذكر فيه مسائل مشكلة في النحو وعدة من أبيات المعانى ولغة غريبة (وفى هذه السنة) لما تسلم دمشق الملك الصالح أيوب تسلمت نواب الملك المنصور صاحب حماة سلمية وانتزعوها من صاحب حمص واستقرت سلمية في هذه السنة في ملك الملك المنصور صاحب حماة (وفيها) توفي الشيخ موفق الدين أبو البقاء يعيش بن محمد بن على الموصلى الاصل الحلبى المولد والمنشأ النحوى ويعرف بابن الصائغ وكان ظريفا حسن المحاضرة

شرح المفصل شرحا مستوفي ليس في الشروح مثله وله غير ذلك وولد في رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بحلب وتوفي بها في التاريخ المذكور ودفن بالمقام (ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة)

ذكر كسرة الخوارزمية على القصب واستيلاء الصالح أيوب على بعلبك

كنا قد ذكرنا اتفاق الخوارزمية مع الصالح اسمعيل والناصر داود ومحاصرتهم دمشق وبها حسام الدين بن أبى على ولما وقع ذلك اتفق الحلبيون والملك المنصور ابراهيم صاحب حمص وصاروا مع الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وقصدوا الخوارزمية فرحلت الخوارزمية عن دمشق وساروا الى نحو الحلبيين وصاحب حمص والتقوا على القصب في هذه السنة فانهزمت الخوارزمية هزيمة قبيحة تشتت شملهم بعدها وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان وحمل رأسه الى حلب ومضت طائفة من الخوارزميين مع مقدمهم كشلوخان الخوارزمى فلحقوا بالتتر وصاروا معهم وانقطع منهم جماعة وتفرقوا في الشام وخدموا به وكفى الله الناس شرهم ولما وصل خبر كسرتهم الى الملك الصالح أيوب بديار مصر فرح فرحا عظيما ودقت البشائر بمصر وزال ماكان عنده من الغيظ على ابراهيم صاحب حمص وحصل بينهما التصافي بسبب ذلك وأما الصالح اسمعيل فانه سار الى الملك الناصر يوسف صاحب حلب واستجار به وأرسل الصالح أيوب يطلبه فلم يسلمه الملك الناصر اليه ولما جرى ذلك رحل حسام الدين بن أبى على الهذبانى بمن عنده من العسكر بدمشق ونازل بعلبك وبها أولاد الصالح اسمعيل وحاصرها وتسلمها بالامان وحمل أولاد الصالح اسمعيل الى الملك الصالح أيوب بديار مصر فاعتقلوا هناك وكذلك بعث بامين الدولة وزير الملك الصالح اسمعيل وأستاذ داره ناصر الدين يغمور فاعتقلا بمصر أيضا وزينت القاهرة ومصر ودقت البشائر بهما لفتح بعلبك واتفق في هذه الايام وفاة صاحب عجلون وهو سيف الدين بن قليج فتسلم الملك الصالح أيوب عجلون أيضا ولما جرى ماذكرناه أرسل الملك الصالح أيوب عسكرا مع الامير فخر الدين يوسف ابن الشيخ وكان فخر الدين ابن الشيخ قد اعتقله الملك العادل أبو بكر ابن الملك الكامل ثم لما ملك الملك الصالح أيوب مصر أفرج عنه وأمره بملازمة بيته فلازمه مدة ثم قدمه في هذه السنة على العسكر وجهزه الى حرب الملك الناصر داود صاحب الكرك فسار فخر الدين المذكور واستولى على جميع بلاد الملك الناصر وولى عليها وسار الى الكرك وحاصرها وخرب ضياعها وضعف الملك الناصر ضعفا بالغا ولم يبق بيده غير الكرك وحدها

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة حبس الصالح أيوب مملوكه بيبرس وهو الذى كان معه لما اعتقل في الكرك وسببه ان بيبرس المذكور مال الى الخوارزمية والى الناصر داود وصار معهم على أستاذه لما جرده الى غزة كما تقدم ذكره فارسل أستاذه الصالح أيوب واستماله فوصل اليه فاعتقله في هذه السنة وكان آخر العهد به (وفيها) أرسل الملك المنصور ابراهيم صاحب حمص ابن شيركوه وطلب دستورا من الملك الصالح أيوب ليصل الى بابه وينتظم في سلك خدمته وكان قد حصل بابراهيم المذكور السل وسار على تلك الحالة من حمص متوجها الى الديار المصرية ووصل الى دمشق فقوى به المرض وتوفي في دمشق فنقل الى حمص ودفن بها وملك بعده ولده الملك الاشرف مظفر الدين موسى ابن الملك المنصور ابراهيم المذكور (وفي هذه السنة) بعد فتوح دمشق وبعلبك استدعى الملك الصالح أيوب خدمة حسام الدين بن أبى على الى مصر وأرسل موضعه نائبا بدمشق الامير جمال الدين بن مطروح ولما وصل حسام الدين بن أبى على الى مصر استنابه الملك الصالح بها وسار الملك الصالح أيوب الى دمشق ثم سار منها الى بعلبك ثم عاد الى دمشق ووصل الى خدمة الملك الصالح أيوب بدمشق الملك المنصور محمد صاحب حماة والملك الاشرف موسى صاحب حمص فاكرمهما وقربهما ثم أعطاهما الدستور فعادا الى بلادهما واستمر الملك الصالح بالشام حتى خرجت هذه السنة (وفي هذه السنة) توفي عماد الدين داود بن موشك بالكرك وكان جامعا لمكارم الاخلاق *(ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة)* وفيها عاد الملك الصالح نجم الدين أيوب من الشام الى الديار المصرية (وفيها) فتح فخر الدين ابن الشيخ قلعتى عسقلان وطبرية والملك الصالح بالشام بعد محاصرتهما مدة وكنا قد ذكرنا تسليمهما الى الفرنج في سنة احدى وأربعين وستمائة فعمروهما واستمرتا بايدى الفرنج حتى فتحتا في هذه السنة (وفيها) سلم الاشرف صاحب حمص شميميس للملك الصالح أيوب فعظم ذلك على الحلبيين لئلا يحصل الطمع للملك الصالح في ملك باقى الشام (وفيها) توفي الملك العادل أبو بكر ابن السلطان الملك الكامل بالحبس وأمه الست السوداء تعرف ببنت الفقيه نصر وكان مسجونا من حين قبض عليه ببلبيس الى هذه الغاية فكان مدة مقامه بالسجن نحو ثمان سنين وكان عمره نحو ثلاثين سنة وخلف ولدا صغيرا وهو الملك المغيث فتح الدين عمر وهو الذى ملك الكرك فيما بعد ثم قتله الملك الظاهر بيبرس على ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفي هذه السنة) توجه الطواشى مرشد المنصورى ومجاهد الدين أمير جندار من حماة الى حلب وأحضرا بنت الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر صاحب حلب وهى عائشة خاتون زوج الملك المنصور

صاحب حماة وحضرت معها أمها فاطمة خاتون بنت السلطان الملك الكامل ابن الملك العادل ووصلت الى حماة في العشر الاوسط من رمضان من هذه السنة أعنى سنة خمس وأربعين وستمائة ووصلت في تجمل عظيم واحتفل للقائها بحماة احتفالا عظيما (وفي هذه السنة) توفي علاء الدين قرا سنقر الساقى العادلى أحد مماليك الملك العادل بن أيوب وصارت مماليكه بالولاء للملك الصالح أيوب ومنهم سيف الدين قلاوون الصالحى الذى صار له ملك مصر والشام على ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) توفي عمر بن محمد بن عبد الله المعروف بالشلوبينى باشبيلية كان فاضلا اماما في النحو شرح الجزولية وصنف في النحو غير ذلك وكان فيه مع هذه الفضيلة التامة بله وغفلة وكنيته أبو على والشلوبينى نسبة الى شلوبين وهو حصن منيع من حصون الاندلس من معاملة سواحل غرناطة على بحر الروم منه عمر الشلوبينى المذكور هذا مانص عليه ابن سعيد المغربى في كتابه الكبير المسمى بالمغرب في أخبار أهل المغرب في المجلدة الخامسة عشرة بعد ذكر غرناطة قال وقد وصف حصن شلوبين المذكور ومنه الشيخ أبو على عمر الشلوبينى قال وقرأت عليه النحو وكان امام نحاة أهل المغرب وكان في طبقة أبى على الفارسى ومن هنا يتحقق ان الذى نقله القاضى شمس الدين ابن خلكان ومن تابعه ان الشلوبين هو الابيض الاشقر بلغة أهل الاندلس وهم محض لعدم وقوفهم على كتاب المغرب في حلى أهل المغرب المذكور (ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة) فيها أرسل الملك الناصر صاحب حلب عسكرا مع شمس الدين لولو الارمنى فحاصروا الملك الاشرف موسى بحمص مدة شهرين فسلم اليهم حمص وتعوض عنها بتل باشر مضافا الى مابيده من تدمر والرحبة ولما بلغ الملك الصالح نجم الدين أيوب ذلك شق عليه وسار الى الشام لارتجاع حمص من الحلبيين وكان قد حصل له مرض وورم في مأبطه ثم فتح وحصل منه ناصور ووصل الملك الصالح الى دمشق وأرسل عسكرا الى حمص مع حسام الدين ابن أبى على فخر الدين ابن الشيخ فنازلوا حمص وحصروها ونصبوا عليها منجنيقا مغربيا يرمى بحجر زنته مائة وأربعون رطلا بالشامى مع عدة منجنيقات أخر وكان الشتاء والبرد قويا واستمر عليها الحصار واتفق حينئذ وصول الخبر الى الملك الصالح وهو بدمشق بوصول الفرنج الى جهة دمياط وكان أيضا قد قوى مرضه ووصل أيضا نجم الدين الباذراى رسول الخليفة وسعى في الصلح بين الملك الصالح والحلبيين وان تستقر حمص بيد الحلبيين فاجاب الملك الصالح الى ذلك وأمر العسكر فرحلوا عن حمص بعد ان أشرفوا على أخذها ثم رحل الملك الصالح عن دمشق في محفة لقوة مرضه واستناب بدمشق جمال الدين بن يغموروعزل ابن مطروح وأرسل حسام الدين ابن أبى على قدامه ليسبقه الى مصر ويتوب عنه بها

(وفيها) في يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة أعنى سنة ست وأربعين وستمائة توفي أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس المعروف بابن الحاجب الملقب جمال الدين وكان والده عمر حاجبا للامير عز الدين بن موسك الصلاحى وكان كرديا واشتغل ولده أبو عمرو المذكور بالقاهرة في صغره بالقرآن والفقه على مذهب مالك بن أنس وبالعربية وبرع في علومه وأتقنها ثم انتقل الى دمشق ودرس بجامعها واكب الخلق على الاشتغال عليه ثم عاد الى القاهرة ثم انتقل الى الاسكندرية فتوفي بها وكان مولد الشيخ أبى عمرو المذكور في أواخر سنة سبعين وخمسمائة باسنا بليدة بالصعيد وكان الشيخ أبو عمرو المذكور متفننا في علوم شتى وكان الاغلب عليه علم العربية وأصول الفقه صنف في العربية مقدمته الكافية واختصر كتاب الاحكام للآمدى في أصول الفقه فطبق ذكر هذين الكتابين أعنى الكافية ومختصره في أصول الفقه جميع البلاد خصوصا بلاد العجم وأكب الناس على الاشتغال بهما الى زماننا هذا وله غيرهما عدة مصنفات (وفيها) أعنى في سنة ست وأربعين وستمائة توفي عز الدين أيبك المعظمى في محبسه بالقاهرة وكان المذكور قد ملك صرخد في سنة ثمان وستمائة حسبما تقدم ذكره في السنة المذكورة وقال ابن خلكان انه ملك صرخد في سنة احدى عشرة وستمائة قال لان أستاذه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب حج في السنة المذكورة وأخذ صرخد من صاحبها ابن قراجا وأعطاها مملوكه أيبك المذكور والظاهر ان الاول أصح واستمرت في يد أيبك الى سنة أربع وأربعين وستمائة فاخذها الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل من أيبك المذكور وامسك ايبك في السنة المذكورة وحمله الى القاهرة وحبسه في دار الطواشى صواب واستمر معتقلا بها حتى توفي معتقلا في هذه السنة في أوائل جمادى الاولى ودفن خارج باب النصر في تربة شمس الدولة ثم نقل الى الشام ودفن في تربة كان قد انشاها بظاهر دمشق على الشرف الاعلى مطلة على الميدان الاخضر الكبير رحمه الله تعالى هكذا نقلت ذلك من وفيات الاعيان (ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة)

(ذكر ملك الفرنج دمياط ونزول الملك الصالح اشمون طناخ)

وفي هذه السنة سار ريد افرنس وهو من أعظم ملوك الفرنج وريد بلغتهم هو الملك أى ملك افرنس وافرنس امة عظيمة من امم الفرنج وكان جمع ريد افرنس نحو خمسين الف مقاتل وشتى في جزيرة قبرس ثم سار ووصل في هذه السنة الى دمياط وكان قد شحنها الملك الصالح بآلات عظيمة وذخائر وافرة وجعل فيها بنى كنانة وهم مشهورون بالشجاعة وكان قد أرسل الملك الصالح فخر الدين ابن الشيخ بجماعة كثيرة من العسكر

ليكونوا قبالة الفرنج بظاهر دمياط ولما وصلت الفرنج عبر فخر الدين ابن الشيخ من البر الغربى الى البر الشرقي ووصل الفرنج الى البر الغربى لتسع بقين من صفر هذه السنة ولما جرى ذلك هربت بنو كنانة وأهل دمياط منها واخلوا دمياط وتركوا أبوابها مفتحة فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا على مابها من الذخائر والسلاحات وكان هذا من أعظم المصائب وعظم ذلك على الملك الصالح وأمر بشنق بنى كنانة فشنقوا عن آخرهم ووصل الملك الصالح الى المنصورة ونزل بها يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر هذه السنة وقد اشتد مرضه وهو السل والقرحة التى كانت به وقد ايس منه

(ذكر استيلاء الملك الصالح ايوب على الكرك)

وفي هذه السنة سار الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابى بكر ابن أيوب من الكرك الى حلب لما ضاقت عليه الامور مستجيرا بالملك الناصر صاحب حلب وكان قد بقى عند الناصر داود من الجوهر مقدار كثير قال كان يساوى مائة الف دينار اذا بيع بالهوان فلما وصل الى حلب سير الجوهر المذكور الى بغداد وأودعه عند الخليفة المستعصم ووصل اليه خط الخليفة بتسليمه فلم تقع عينه عليه بعد ذلك ولما سار الناصر داود عن الكرك استناب عليها ابنه عيسى ولقبه الملك المعظم وكان له ولدان آخران أكبر من عيسى المذكور هما الامجد حسن والظاهر شاذى فغضب الاخوان المذكوران من تقديم اخيهما عيسى عليهما وبعد سفر ابيهما قبضا على أخيهما عيسى وتوجه الامجد حسن الى الملك الصالح أيوب وهو مريض على المنصورة وبذل له تسليم الكرك على اقطاع له ولاخيه بديار مصر فاحسن اليه الصالح أيوب واعطاهما اقطاعا أرضاهما وأرسل الى الكرك وتسلمها يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة وفرح الملك الصالح بالكرك فرحا عظيما مع ماهو فيه من المرض لما كان في خاطره من صاحبها

(ذكر وفاة الملك الصالح ايوب)

وفي هذه السنة توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب في ليلة الاحد لاربع عشرة ليلة مضت من شعبان هذه السنة أعنى سنة سبع وأربعين وستمائة وكانت مدة مملكته للديار المصرية تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوما وكان عمره نحو أربع وأربعين سنة وكان مهيبا عالي الهمة عفيفا طاهر اللسان والذيل شديد الوقار كثير الصمت وجمع من المماليك الترك مالم يجتمع لغيره من أهل بيته حتى كان أكثر أمراء عسكره مماليكه ورتب جماعة من المماليك الترك حول دهليزه وسماهم البحرية وكان لا يجسر أن يخاطبه أحد الاجوابا ولا يتكلم أحد بحضرته ابتداء

وكانت القصص توضع بين يديه مع الخدام فيكتب بيده عليها وتخرج للموقعين وكان لا يستقل أحد من أهل دولته بأمر من الامور الا بعد مشاورته بالقصص وكان غاويا بالعمارة بنى قلعة الجزيرة وبنى الصالحية وهى بلدة بالسايح وبنى له بها قصورا للتصيد وبنى قصرا عظيما بين مصر والقاهرة يسمى بالكبش وكانت أم الملك الصالح أيوب المذكور جارية سوداء تسمى ورد المنى غشيها السلطان الملك الكامل فحملت بالملك الصالح وكان للملك الصالح ثلاثة أولاد أحدهم فتح الدين عمر توفي في حبس الصالح اسماعيل وكان قد توفي ولده الآخر قبله ولم يكن قد بقى له غير المعظم تورانشاه بحصن كيفا ومات الملك الصالح ولم يوص بالملك الى أحد فلما توفي أحضرت شجر الدر وهى جارية الملك الصالح فخر الدين ابن الشيخ والطواشى جمال الدين محسنا وعرفتهما بموت السلطان فكتموا ذلك خوفا من الفرنج وجمعت شجر الدر الامراء وقالت لهم السلطان يأمركم أن تحلفوا له ثم من بعده لولده الملك المعظم تورانشاه المقيم بحصن كيفا وللامير فخر الدين ابن الشيخ بأتابكية العسكر وكتبت الى حسام الدين بن أبى على وهو النائب بمصر بمثل ذلك فحلفت الامراء والاجناد والكبراء بالعسكر وبمصر وبالقاهرة على ذلك في العشر الاوسط من شعبان هذه السنة وكان بعد ذلك تخرج الكتب والمراسم وعليها علامة الملك الصالح وكان يكتبها خادم يقال له السهيلى فلا يشك أحد في انه خط السلطان فأرسل فخر الدين ابن الشيخ قاصدا لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا ولما جرى ذلك شاع بين الناس موت السلطان ولكن أرباب الدولة لا يجسرون أن يتفوهوا بذلك وتقدم الفرنج عن دمياط الى المنصورة وجرى بينهم وبين المسلمين في مستهل رمضان من هذه السنة وقعة عظيمة استشهد فيها جماعة من كبار المسلمين ونزلت الفرنج بحر مساح ثم قربوا من المسلمين ثم ان الفرنج كبسوا المسلمين على المنصورة بكرة الثلاث لخمس مضين من ذى القعدة وكان فخر الدين يوسف ابن الشيخ صدر الدين ابن حمويه في الحمام بالمنصورة فركب مسرعا وصادفه جماعة من الفرنج فقتلوه وكان سعيدا في الدنيا ومات شهيدا ثم حملت المسلمون والترك البحرية على الفرنج فردوهم على أعقابهم واستمرت بهم الهزيمة وأما الملك المعظم تورانشاه فانه سار من حصن كيفا ووصل الى دمشق في رمضان من هذه السنة وعيد بها عيد الفطر ووصل الى المنصورة يوم الخميس لتسع بقين من ذى القعدة من هذه السنة أعنى سنة سبع وأربعين وستمائة ثم اشتد القتال بين المسلمين والفرنج برا وبحرا ووقعت مراكب المسلمين على الفرنج وأخذوا منهم اثنين وثلاثين مركبا منها تسع شوانى فضعفت الفرنج لذلك وأرسلوا يطلبون القدس وبعض الساحل وأن يسلموا دمياط الى المسلمين فلم تقع الاجابة الى ذلك

(ذكر غير ذلك)

(وفي هذه السنة) وقع الحرب بين صاحب الموصل بدر الدين لولو وبين الملك الناصر صاحب حلب فأرسل اليه الملك الناصر عسكرا والتقوا مع المواصلة بظاهر نصيبين فانهزمت المواصلة هزيمة قبيحة واستولى الحلبيون على اثقال لولو صاحب الموصل وخيمه وتسلم الحلبيون نصيبين وأخذوها من صاحب الموصل ثم ساروا الى دارا فنازلوها وتسلموها وخربوها بعد حصار ثلاثة أشهر ثم تسلموا قرقيسيا وعادوا الى حلب (ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة)

﴿ ذكر هزيمة الفرنج وأسر ملكهم ﴾

لما أقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة فنيت أزوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فان المسلمين قطعوا الطريق الواصل من دمياط اليهم فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا ليلة الاربعاء لثلاث مضين من المحرم متوجهين الى دمياط وركب المسلمون اكتافهم ولما استقر صباح الاربعاء خالطهم المسلمون وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت عدة القتلى من الفرنج ثلاثين ألفا على ماقيل وانحاز ريد افرنس ومن معه من الملوك الى بلد هناك وطلبوا الامان فأمنهم الطواشى محسن الصالحى ثم احتيط عليهم وأحضروا الى المنصورة وقيد ريد افرنس وجعل في الدار التى كان ينزلها كاتب الانشاء فخر الدين بن لقمان ووكل به الطواشى صبيح المعظمى ولما جرى ذلك رحل الملك المعظم بالعساكر من المنصورة ونزل بفارسكور ونصب بها برج خشب للملك المعظم

(ذكر مقتل الملك المعظم)

(وفي هذه السنة) يوم الاثنين لليلة بقيت من المحرم قتل الملك المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب وسبب ذلك ان المذكور أطرح جانب أمراء أبيه ومماليكه وكل منهم بلغه عنه من التهديد والوعيد مانفر قلبه منه واعتمد على بطانته الذين وصلوا معه من حصن كيفا وكانوا اطرافا أراذل فاجتمعت البحرية على قتله بعد نزوله بفارسكور وهجموا عليه بالسيوف وكان أول من ضربه ركن الدين بيبرس الذى صار سلطانا فيما بعد على ماسنذكره ان شاء الله تعالى فهرب الملك المعظم منهم الى البرج الخشب الذى نصب له بفارسكور على ماتقدم ذكره فأطلقوا في البرج النار فخرج الملك المعظم من البرج هاربا طالبا البحر ليركب في حراقته فحالوا بينه وبينها بالنشاب فطرح نفسه في البحر فأدركوه وأتموا قتله في نهار الاثنين المذكور وكانت مدة اقامته في المملكة من حين وصوله الى الديار المصرية شهرين

وأياما ولما جرى ذلك اجتمعت الامراء واتفقوا على أن يقيموا شجر الدر زوجة الملك الصالح في المملكة وأن يكون عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى المعروف بالتركمانى اتابك العسكر وحلفوا على ذلك وخطب لشجر الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل وكانت شجر الدر قد ولدت من الملك الصالح ولدا ومات صغيرا وكان اسمه خليل فسميت والدة خليل وكانت صورة علامتها على المناشير والتواقيع والدة خليل ولما استقر ذلك وقع الحديث مع ريد افرنس في تسليم دمياط بالافراج عنه فتقدم ريد افرنس الى من بها من نوابه في تسليمها فسلموها وصعد اليها العلم السلطانى يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر من هذه السنة أعنى سنة ثمان وأربعين وستمائة واطلق ريد افرنس فركب في البحر بمن سلم معه نهار السبت غد الجمعة المذكورة واقلعوا الى عكا ووردت البشرى بهذا الفتح العظيم الى سائر الاقطار وفي واقعة ريد افرنس المذكورة يقول جمال الدين يحيى بن مطروح أبياتا منها

قل للفرنسيس اذا جئته ... مقال صدق عن قؤول نصيح
أتيت مصرا تبتغى ملكها ... تحسب ان الزمر ياطبل ريح
وكل أصحابك أوردتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهم ... غير قتيل أو أسير جريح
وقل لهم ان أضمروا عودة ... لاخذ ثار أو لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشى صبيح

ثم عادت العساكر ودخلت القاهرة يوم الخميس تاسع صفر من السنة المذكورة وأرسل المصريون رسولا الى الامراء الذين بدمشق في موافقتهم على ذلك فلم يجيبوا اليه وكان الملك السعيد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل صاحب الصبيبة قد سلمها الى الملك الصالح أيوب فلما جرى ذلك قصد قلعة الصبيبة فسلمت اليه وكان من الملك السعيد ماسنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الملك المغيث الكرك)

كان الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب قد أرسله الملك المعظم تورانشاه لما وصل الى الديار المصرية الى الشوبك واعتقله بها وكان النائب على الكرك والشوبك بدر الدين الصوابى الصالحى فلما جرى ماذكرناه من قتل الملك المعظم ولما استقر عليه الحال بادر بدر الدين الصوابى المذكور فافرج عن المغيث وملكه القلعتين الكرك والشوبك وقام

في

في خدمته أتم قيام

(ذكر استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على دمشق)

ولما جرى ماذكرناه ولم يجب أمراء دمشق الى ذلك كاتب الامراء القيمرية الذين بها الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين فسار اليهم وملك دمشق ودخلها في يوم السبت لثمان مضين من ربيع الآخر من هذه السنة ولما استقر الناصر المذكور في ملك دمشق خلع على جمال الدين ابن يغمور وعلى الامراء القيمرية به وأحسن اليهم واعتقل جماعة من الامراء مماليك الملك الصالح وعصت عليه بعلبك وعجلون وشميميس مدة مديدة ثم سلمت جميعها اليه ولما ورد الخبر بذلك الى مصر قبضوا على من عندهم من القيمرية وعلى كل من اتهم بالميل الى الحلبيين

(ذكر سلطنة أيبك التركمانى)

ثم ان كبراء الدولة اتفقوا على اقامة عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى في السلطنة لانه اذا استقر أمر المملكة في امرأة على ماهو عليه الحال تفسد الامور فأقاموا أيبك المذكور وركب بالسناجق السلطانية وحملت الغاشية بين يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر من هذه السنة ولقب الملك المعز وأبطلت السكة والخطبة التى كانت باسم شجر الدر

(ذكر عقد السلطنة للملك الاشرف موسى ابن يوسف صاحب اليمن المعروف باقسيس)

ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب * ثم اجتمعت الامراء واتفقوا على انه لا بد من اقامة شخص من بنى أيوب في السلطنة واجتمعوا على اقامة موسى المذكور ولقبوه الملك الاشرف وأن يكون أيبك التركمانى اتابكه وأجلس الاشرف موسى المذكور في دست السلطنة وحضرت الامراء في خدمته يوم السبت لخمس مضين من جمادى الاولى من هذه السنة وكان بغزة حينئذ جماعة من عسكر مصر مقدمهم خاص ترك فسار اليهم عسكر دمشق فاندفعوا من غزة الى الصالحية بالساحل واتفقوا على طاعة المغيث صاحب الكرك وخطبوا له بالصالحية يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الآخرة من هذه السنة ولما جرى ذلك اتفق كبراء الدولة بمصر ونادوا بالقاهرة ومصر ان البلاد للخليفة المستعصم ثم جددت الايمان للملك الاشرف موسى بالسلطنة ولايبك التركمانى بالاتابكية وفي يوم الاحد لخمس مضين من رجب رحل فارس الدين اقطاى الصالحى الجمدار متوجها الى جهة غزة ومعه تقدير ألفى فارس وكان اقطاى المذكور مقدم البحرية

فلما وصل الى غزة اندفع من كان بها من جهة الملك الناصر بين يديه

﴿ ذكر تخريب دمياط ﴾

(وفي هذه السنة) اتفق آراء أكابر الدولة وهدموا سور دمياط في العشر الاخير من شعبان هذه السنة لما حصل للمسلمين عليها من الشدة مرة بعد أخرى وبنوا مدينة بالقرب منها في البر وسموها المنشية واسوار دمياط التي هدمت من عمارة المتوكل الخليفة العباسي

(ذكر القبض على الناصر داود)

(وفي هذه السنة) مستهل شعبان قبض الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب على الناصر داود الذي كان صاحب الكرك وبعث به الى حمص فاعتقل بها وذلك لاشياء بلغت الناصر يوسف عن المذكور خاف منها

(ذكر مسير السلطان الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الديار المصرية وكسرته)

(وفي هذه السنة) سار الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز بعساكره من دمشق وصحبته من ملوك أهل بيته الصالح اسماعيل بن العادل بن أيوب والاشرف موسى صاحب حمص وهو حينئذ صاحب تل باشر والرحبة وتدمر والمعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين وأخو المعظم المذكور نصرة الدين والامجد حسن والظاهر شاذى ابنا الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى بن العادل بن أيوب وتقي الدين عباس ابن الملك العادل بن أيوب ومقدم الجيش شمس الدين لولو الارمني واليه تدبير المملكة فرحلوا من دمشق يوم الاحد منتصف رمضان من هذه السنة ولما بلغ المصريين ذلك اهتموا لقتاله ودفعه وبرزوا الى السايح وتركوا الاشرف المسمى بالسلطان بقلعة الجبل وافرج أيبك التركماني حينئذ عن ولدي الصالح اسماعيل وهما المنصور ابراهيم والملك السعيد عبد الملك ابنا الصالح اسماعيل وكانا معتقلين من حين استيلاء الملك الصالح أيوب على بعلبك وخلع عليهما ليتوهم الناصر يوسف صاحب دمشق من أبيهما الصالح اسمعيل والتقى العسكران المصري والشامي بالقرب من العباسية في يوم الخميس عاشر ذي القعدة من هذه السنة فكانت الكسرة أولا على عسكر مصر فخامر جماعة من المماليك الترك العزيزية على الملك الناصر صاحب دمشق وثبت المعز أيبك التركماني في جماعة قليلة من البحرية فانضاف جماعة من العزيزية مماليك والد الملك الناصر الى ايبك التركماني ولما انكسرت المصريون وتبعتهم العساكر الشامية ولم يشكوا في النصر بقي الملك الناصر تحت السناجق السلطانية مع جماعة يسيرة من المتعممين لا يتحرك من موضعه فحمل المعز التركماني بمن معه عليه فولى الملك الناصر

منهزما طالبا جهة الشام ثم حمل أيبك التركماني المذكور على طاب شمس الدين لولو فهزمهم وأخذ شمس الدين لولو أسيرا فضربت عنقه بين يديه وكذلك أسر الامير ضياء الدين القيمري فضربت عنقه وأسر يومئذ الملك الصالح اسماعيل والاشرف صاحب حمص والمعظم تورانشاه بن صلاح الدين بن أيوب وأخوه نصرة الدين ووصل عسكر الملك الناصر في أثر المنهزمين الى العباسية وضربوا بها دهليز الملك الناصر وهم لا يشكون ان الهزيمة تمت على المصريين فلما بلغهم هروب الملك الناصر اختلفت آراؤهم فمنهم من أشار بالدخول الى القاهرة وتملكها ولو فعلوه لما كان بقي مع أيبك التركماني من يقاتلهم به وكان هرب فان غالب المصريين المنهزمين وصلوا الى الصعيد ومنهم من أشار بالرجوع الى الشام وكان معهم تاج الملوك بن المعظم وهو مجروح وكانت الوقعة يوم الخميس ووصل المنهزمون من المصريين الى القاهرة في غد الوقعة نهار الجمعة فلم يشك أهل مصر في ملك الملك الناصر ديار مصر وخطب له في الجمعة المذكورة بقلعة الجبل ومصر * وأما القاهرة فلم يقم فيها في ذلك النهار خطبة لاحد ثم وردت اليهم البشرى بانتصار البحرية ودخل أيبك التركماني والبحرية الى القاهرة يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة ومعه الصالح اسمعيل تحت الاحتياط وغيره من المعتقلين فحبسوا بقلعة الجبل وعقيب ذلك اخرج أيبك التركماني أمين الدولة وزير الصالح اسماعيل واستاذ داره يغمور وكانا معتقلين من حين استيلاء الصالح أيوب على بعلبك فشنقهما على باب قلعة الجبل رابع عشر ذي القعدة وفي ليلة الاحد السابع والعشرين من ذي القعدة هجم جماعة على الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك العادل بن أيوب وهو بمص قصب سكر وأخرجوه الى ظاهر قلعة الجبل من جهة القرافة فقتلوه ودفن هناك وعمره قريب من خمسين سنة وكانت أمه رومية من حظايا الملك العادل (وفي هذه السنة) بعد هزيمة الملك الناصر صاحب الشام سار فارس الدين اقطاي بثلاثة آلاف فارس الى غزة فاستولى عليها ثم عاد الى الديار المصرية

ذكر قتل صاحب اليمن

(وفي هذه السنة) وثب على الملك المنصور عمر صاحب اليمن جماعة من مماليكه فقتلوه وهو عمر بن علي بن رسول وكان والده علي بن رسول استاذ دار الملك المسعود ابن السلطان الملك الكامل * فلما سار الملك المسعود قاصدا الشام ومات بمكة على ماتقدم ذكره استناب استاذ داره علي بن رسول المذكور باليمن فاستقر نائبا بها لبني أيوب وكان لعلي المذكور اخوة فاحضروا الى مصر وأخذوا رهائن خوفا من تغلب علي بن رسول على اليمن واستمر المذكور نائبا باليمن حتى مات قبل سنة ثلاثين

وستمائة واستولى على اليمن بعده ولده عمر بن على المذكور على ماكان عليه ابوه من النيابة فارسل من مصر اعمامه ليعزلوه ويكونوا نوابا موضعه فلما وصلوا الى اليمن قبض عمر المذكور عليهم واعتقلهم واستقل عمر المذكور بملك اليمن يومئذ وتلقب بالملك المنصور واستكثر من المماليك الترك فقتلوه في هذه السنة أعنى سنة ثمان وأربعين وستمائة واستقر بعده في ملك اليمن ابنه يوسف بن عمر وتلقب بالملك المظفر وصفا له ملك اليمن وطالت أيام مملكته على ماستعلمه ان شاء الله تعالى (ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة) فيها توفي الصاحب محيى الدين بن مطروح وكان متقدما عند الملك الصالح أيوب كان يتولى له لما كان الصالح بالشرق نظر الجيش ثم استعمله على دمشق ثم عزله وولى ابن يغمور وكان ابن مطروح المذكور فاضلا في النثر والنظم فمن شعره

عانقته فسكرت من طيب الشذا ... غصن رطيب بالنسيم قد اغتذا
نشوان ما شرب المدام وانما ... أمسى بخمر رضا به متلبذا
جاء العذول يلومنى من بعد ما ... أخذ الغرام على فيه مأخذا
لاأرعوى لاانثنى لا انتهى ... عن حبه فليهذ فيه من هذى
ان عشت عشت على الغرام وان امت ... وجدا به وصبابة ياحبذا

(وفيها) جهز الملك الناصر يوسف صاحب الشام عسكرا الى غزة وخرج المصريون الى السائح وأقاموا كذلك حتى خرجت هذه السنة (وفيها) توفى علم الدين قيصر ابن أبى القاسم بن عبد الغنى بن مسافر الفقيه الحنفى المقرى المعروف بتعاسيف وكان اماما في العلوم الرياضية اشتغل بالديار المصرية والشام ثم سار الى الموصل وقرأ على الشيخ كمال الدين موسى بن يونس علم الموسيقى ثم عاد الى الشام وتوفي بدمشق في شهر رجب من السنة المذكورة ومولده سنة أربع وسبعين وخمسمائة باصفون من شرقى صعيد مصر (ثم دخلت سنة خمسين وستمائة) ولم يقع لنا فيها مايصلح ان يؤرخ (ثم دخلت سنة احدى وخمسين وستمائة) فيها استقر الصلح بين الملك الناصر يوسف صاحب الشام وبين البحرية بمصر على ان يكون للمصريين الى نهر الاردن وللملك الناصر ماوراء ذلك وكان نجم الدين البادراى رسول الخليفة هو الذى حضر من جهة الخليفة وأصلح بينهم على ذلك ورجع كل منهم الى مقره (وفيها) قطع أيبك التركمانى خبز حسام الدين ابن أبى على الهذبانى فطلب دستورا فاعطيه وسار الى الشام فاستخدمه الملك الناصر يوسف بدمشق

ذكر احوال الناصر صاحب الكرك

﴿وفيها﴾ أفرج الملك الناصر يوسف عن الملك الناصر داود بن المعظم الذى كان صاحب

الكرك وكان قد اعتقله بقلعة حمص وذلك بشفاعة الخليفة المستعصم فيه فافرج عنه وأمره أن لايسكن في بلاده فرحل الناصر داود المذكور الى جهة بغداد فلم يمكنوه من الوصول اليها وطلب وديعته الجوهر فمنعوه اياها وكتب الملك الناصر يوسف الى ملوك الاطراف انهم لايأووه ولا يميروه فبقى الناصر داود في جهات عانة والحديثة وضاقت به الاحوال وممن معه وانضم اليه جماعة من غزيه فبقوا يرحلون وينزلون جميعا ثم لما قوى عليهم الحر ولم يبق بالبرية عشب قصدوا ازوار الفرات يقاسون بق الليل وهواجر النهار وكان معه أولاده وكان لولده الظاهر شاذى فهد فكان يتصيد في النهار مايزيد على عشرة غزلان وكان يمضى للملك الناصر داود وأصحابه أياما لايطعمون غير لحوم الغزلان واتفق ان الاشرف صاحب تل باشر وتدمر والرحبة يومئذ أرسل الى الناصر داود مركبين موسقين دقيقا وشعيرا فارسل صاحب دمشق وتهدده على ذلك ثم ان الناصر داود قصد مكانا للشرابى واستجار به فرتب له الشرابى شيئاً دون كفايته وأذن له في النزول بالانبار وبينها وبين بغداد ثلاثة أيام والناصر داود مع ذلك يتضرع الى الخليفة المستعصم فلا يجيب ضراعته ويطلب وديعته فلا يرد لهفته ولا يجيبه الا بالمماطلة والمطاولة وكانت مدة مقامه متنقلا في الصحارى مع غزيه قريب ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك أرسل الخليفة وشفع فيه عند الملك الناصر فاذن له في العود الى دمشق ورتب له مائة ألف درهم على بحيرة قامية وغيرها فلم يتحصل له من ذلك الا دون ثلاثين ألف درهم (وفي هذه السنة) وصلت الاخبار من مكة بأن نارا ظهرت من عدن وبعض جبالها بحيث كانت تظهر في الليل ويرتفع منها في النهار دخان عظيم (ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وستمائة)

ذكر دولة الحفصيين ملوك تونس

وانما ذكرناها في هذه السنة لانها كالمتوسطة لمدة ملكهم وهو مانقلناه من الشيخ الفاضل ركن الدين بن قوبع التونسى قال والحفصيون أولهم أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى وهنتاتة بتائين مثناتين من فوقهما قبيلة من المصامدة ويزعمون انهم قرشيون من بنى عدى بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان أبو حفص المذكور من أكبر أصحاب ابن تومرت بعد عبد المؤمن وتولى عبد الواحد بن أبى حفص افريقية نيابة عن بنى عبد المؤمن في سنة ثلاث وستمائة ومات سلخ الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة فتولى أبو العلاء من بنى عبد المؤمن ثم توفي فعادت افريقية الى ولاية الحفصيين وتولى منهم عبد الله بن عبد الواحد بن أبى حفص في سنة ثلاث وعشرين وستمائة * ولما تولى ولى أخاه أبا زكريا يحيى قابس وأخاه أبا ابراهيم اسحق بلاد

الجريد ثم خرج على عبد الله وهو على قابس أصحابه ورجوه وطردوه وولوا موضعه أخاه أبا زكريا بن عبد الواحد سنة اثنتين وستين فنقم بنو عبد المؤمن على أبي زكريا ذلك فاسقط أبو زكريا اسم عبد المؤمن من الخطبة وبقي اسم المهدى وخلع طاعة بنى عبد المؤمن وتملك افريقية وخطب لنفسه بالامير المرتضى واتسعت مملكته وفتح تلمسان والغرب الاوسط وبلاد الجريد والزاب وبقي كذلك حتى توفي على بونة سنة سبع وأربعين وستمائة وأنشأ في تونس بنايات عظيمة شامخة وكان عالما بالادب وخلف أربعة بنين وهم أبو عبد الله محمد وأبو اسحق ابراهيم وأبو حفص عمر وأبو بكر وكنيته أبو يحيى وخلف أخوين وهما أبو ابراهيم اسحق ومحمد اللحياني ابنى عبد الواحد بن أبي حفص وكان محمد اللحياني المذكور صالحا منقطعاً يتبرك به ثم تولى بعده ابنه أبو عبد الله محمد بن ابى زكريا ثم سعى عمه أبو ابراهيم في خلعه فخلع وبايع لاخيه محمد اللحياني الزاهد على كره منه لذلك فجمع أبو عبد الله محمد المخلوع أصحابه في يوم خلعه وشد على عميه فقهرهما وقتلهما واستقر في ملكه وتلقب وخطب لنفسه بالمستنصر بالله أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد ابن الامراء الراشدين وفي أيامه في سنة ثمان وستين وستمائة وصل الفرنسيس الى افريقية بجموع الفرنج وأشرفت افريقية على الذهاب فقصمه الله ومات الفرنسيس وتفرقت تلك الجموع وفي أيامه خافه أخوه أبو اسحق ابراهيم بن أبي زكريا فهرب ثم أقام بتلمسان وبقي المستنصر المذكور كذلك حتى توفي ليلة حادى عشر ذى الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة فملك ابنه يحيى بن محمد بن أبي زكريا وتلقب بالواثق بالله أمير المؤمنين وكان ضعيف الرأى فتحرك عليه عمه أبو اسحق ابراهيم الذى هرب وأقام بتلمسان وغلب على الواثق فخلع نفسه واستقر أبو اسحق ابراهيم في المملكة في ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وستمائة وخطب لنفسه بالامير المجاهد وترك زى الحفصيين وأقام على زى زناتة وعكف على الشرب وفرق المملكة على أولاده فوثبت أولاده على الواثق المخلوع وذبحوه وذبحوا معه ولديه الفضل والطيب ابنى يحيى الواثق المذكور وسلم للواثق ابن صغير تلقب أبا عصيدة لانهم يصنعون للنفساء عصيدة فيها أدوية ويهدى منها للجيران وعملت أم الصبي ذلك فلقب ولدها بأبي عصيدة ثم ظهر انسان ادعى انه الفضل بن الواثق الذى ذبح مع ابنه واجتمعت عليه الناس وقصد أبا اسحق ابراهيم وقهره فهرب أبو اسحق الى بجاية وبها ابنه أبو فارس عبد العزيز بن ابراهيم فترك أبو فارس أباه ببجاية وسار بأخويه وجمعه الى الداعى بتونس والتقى الجمعان فانهزم عسكر بجاية وقتل أبو فارس وثلاثة من اخوته ونجاله أخ اسمه يحيى بن ابراهيم وعمه أبو حفص عمر بن أبي زكريا ولما هزم الداعى عسكر

بجاية وقتل المذكور بن أرسل الى بجاية من قتل أبا اسحق ابراهيم وجاء برأسه ثم تحدث الناس بدعوة الداعى واجتمعت العرب على عمر ابن أبي زكريا بعد هروبه من المعركة وقوى أمره وقصد الداعى ثانيا بتونس وقهره واستتر الداعى في دور بعض التجار بتونس ثم أحضر واعترف بنسبه وضربت عنقه فكان الداعى المذكور من أهل بجاية واسمه أحمد بن مرزوق بن أبي عمار وكان أبوه يتجر الى بلاد السودان وكان الداعى المذكور محارفاً قصيفا وسار الي ديار مصر ونزل بدار الحديث الكاملية ثم عاد الى المغرب فلما مر على طرابلس كان هناك شخص أسود يسمى نصيرا كان خصيصا بالواثق المخلوع قد هرب لما جرى للواثق ماجرى وكان في أحمد الداعى بعض الشبه من الفضل ابن الواثق فدبر مع نصير المذكور الامر فشهد له انه الفضل بن الواثق فاجتمعت عليه العرب وكان منه ماذكرناه حتى قتل وكان الداعي يخطب له بالخليفة الامام المنصور بالله القائم بحق الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أبي العباس الفضل ولما استقر أبو حفص عمر في المملكة وقتل الداعى تلقب بالمستنصر بالله أمير المؤمنين وهو المستنصر الثانى * ولما استقر في المملكة سار ابن أخيه يحيى بن ابراهيم بن أبي زكريا الذى سلم من المعركة الى بجاية وملكها وتلقب بالمنتخب لاحياء دين الله أمير المؤمنين واستمر المستنصر الثانى أبو حفص عمر بن أبي زكريا في مملكته حتى توفي في اوائل المحرم سنة خمس وتسعين وستمائة ولما اشتد مرضه بايع لابن له صغير فاجتمعت الفقهاء وقالوا له أنت صائر الى الله وتولية مثل هذا لايحل فابطل بيعته وأخرج ولد الواثق المخلوع الذى كان صغيرا وسلم من الذبح الملقب بأبي عصيدة وبويع صبيحة موت أبي حفص عمر الملقب بالمستنصر وكان اسم أبي عصيدة المذكور أبا عبد الله محمد وتلقب أبو عصيدة بالمستنصر أيضاً وهو المستنصر الثالث وتوفي في أيامه صاحب بجاية المنتخب يحيى بن ابراهيم بن أبي زكريا وملك بعده بجاية ابنه خالد بن يحيى وبقي أبو عصيدة لذلك حتى توفي سنة تسع وسبعمائة فملك بعده شخص من الحفصيين يقال له أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب ابن تومرت وأقام في الملك ثمانية عشر يوماً ثم وصل خالد بن المنتخب صاحب بجاية ودخل تونس وقتل أبا بكر المذكور في سنة تسع وسبعمائة ولما جرت ذلك كان زكريا اللحياني بمصر فسار مع عسكر السلطان الملك الناصر خلد الله ملكه الى طرابلس الغرب وبايعه العرب وسار الى تونس فخلع خالد بن المنتخب وحبس ثم قتل قصاصا بأبي بكر بن عبد الرحمن المقدم الذكر واستقر اللحياني في ملك افريقية وهو ابن يحيى زكريا بن أحمد بن محمد الزاهد اللحياني بن عبد الواحد بن أبي

حفص صاحب ابن تومرت ثم تحرك على اللحيانى أخو خالد وهو أبو بكر بن يحيى المنتخب فهرب اللحيانى الى ديار مصر وأقام بالاسكندرية وملك أبو بكر المذكور تونس وما معها خلا طرابلس والمهدية فانه بعد هروب اللحيانى بايع ابنه محمد بن اللحيانى لنفسه واقتتل مع أبى بكر فهزمه أبو بكر واستقر محمد بن اللحيانى بالمهدية وله معها طرابلس وكان استيلاء أبى بكر وهروب اللحيانى الى ديار مصر في سنة تسع عشرة وسبعمائة وأقام اللحيانى في اسكندرية ثم وردت عليه مكاتبات من تونس في ذى القعدة سنة احدى وعشرين وسبعمائة الى الاسكندرية يذكرون فيها ان أبا بكر متملك تونس المذكور قد هرب وترك البلاد وان الناس قد اجتمعوا على طاعة اللحيانى وبايعوا نائبه وهو محمد بن أبى بكر من الحفصيين وهو صهر زكريا اللحيانى المذكور وهم في انتظار وصول اللحيانى الى مملكته أقول وقد بقيت مملكة أفريقية فهرب منها لضعفها بسبب استيلاء العرب عليها

﴿ ذكر مقتل اقطاى ﴾

(في هذه السنة) اغتال الملك المعز أيبك التركمانى المستولى على مصر خوشداشه اقطاى الجمدار وأوقف له في بعض دهاليز الدور التى بقلعة الجبل ثلاثة مماليك هم قطز وبهادر وسنجر الغنمى فلما مر بهم فارس الدين اقطاى ضربوه بسيوفهم فقتلوه ولما علمت البحرية بذلك هربوا من ديار مصر الى الشام وكان الفارس اقطاى يمنع أيبك من الاستقلال بالسلطنة وكان الاسم للملك الاشرف موسى بن يوسف بن يوسف ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب فلما قتل اقطاى استقل المعز التركمانى بالسلطنة وأبطل الاشرف موسى المذكور منها بالكلية وبعث به الى عمائه القطبيات وموسى المذكور آخر من خطب له من بيت أيوب بالسلطنة في مصر وكان انقضاء دولتهم من الديار المصرية في هذه السنة على ماشرحناه ووصلت البحرية الى الملك الناصر يوسف صاحب الشام وأطمعوه في ملك مصر فرحل من دمشق بعسكر ونزل عمقا من الغور وأرسل الى غزة عسكرا فنزلوا بها وبرز المعز أيبك صاحب مصر الى العباسية وخرجت السنة وهم على ذلك (وفيها) قدمت ملكة خاتون بنت كيقباذ ملك بلاد الروم الى زوجها الملك الناصر يوسف صاحب الشام (وفيها) ولى الملك المنصور صاحب حماة قضاء حماة للقاضى شمس الدين ابراهيم بن هبة الله بن البارزى بعد عزل القاضى المحى حمزة بن محمد (ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائة) فيها عزمت العزيزية المقيمون مع المعز أيبك على القبض عليه وعلم بذلك واستعد لهم فهربوا من مخيمهم على العباسية على حمية واحتيط على وطاقاتهم جميعها (وفي هذه السنة) مشى نجم الدين الباذراى في الصلح بين المصريين والشاميين واتفق الحال أن

يكون

يكون للملك الناصر الشام جميعه الى العريش ويكون الحد بير القاضى وهو بين الورادة والعريش ويد المعز أيبك الديار المصرية وانفصل الحال على ذلك ورجع كل الى بلده (وفي هذه السنة) أو التى قبلها تزوج المعز أيبك شجر الدر أم خليل التى خطب لها بالسلطنة في ديار مصر (وفيها) طلب الملك الناصر داود من الملك الناصر يوسف دستورا الى العراق بسبب طلب وديعته من الخليفة وهى الجوهر الذى تقدم ذكره وأن يمضى الى الحج فأذن له الناصر يوسف في ذلك فسار الناصر داود الى كربلا ثم مضى منها الى الحج ولما رأى قبر النبى صلى الله عليه وسلم تعلق في استار الحجرة الشريفة بحضور الناس وقال اشهدوا ان هذا مقامى من رسول الله صلى الله عليه وسلم داخلا عليه مستشفعا به الى ابن عمه المستعصم في أن يرد على وديعتى فاعظم الناس ذلك وجرت عبراتهم وارتفع بكاؤهم وكتب بصورة ماجرى مشروح ورفع الى أمير الحاج كيخسرو وذلك يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة وتوجه الناصر داود مع الحاج العراقى وأقام ببغداد (ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستمائة) فيها مات كيخسرو ملك بلاد الروم وأقيم في السلطنة ولداه الصغيران عز الدين كيكاووس وركن الدين قليج أرسلان (وفيها) توجه كمال الدين المعروف بابن العديم رسولا من الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الخليفة المستعصم وصحبته تقدمة جليلة وطلب خلعة من الخليفة لمخدومه ووصل من جهة المعز أيبك صاحب مصر شمس الدين سنقر الافرع وهو من مماليك المظفر غازى صاحب ميافارقين الى بغداد بتقدمة جليلة وسعى في تعطيل خلعة الناصر يوسف صاحب دمشق فبقى الخليفة متحيرا ثم انه أحضر سكينا من اليسم كبيرة وقال الخليفة لوزيره أعط هذه السكين رسول صاحب الشام علامة منى في ان له خلعة عندى في وقت آخر وأما في هذا الوقت فلا يمكنى فأخذ كمال الدين بن العديم السكين وعاد الى الناصر يوسف بغير خلعة

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

(فيها) جرى للناصر داود مع الخليفة ماصورته انه لما أقام ببغداد بعد وصوله مع الحجاج واستشفاعه بالنبى صلى الله عليه وسلم في رده وديعته أرسل الخليفة المستعصم من حاسب الناصر داود المذكور على ماوصله في ترداده الى بغداد من المضيف مثل اللحم والخبز والحطب والعليف والتبن وغير ذلك وثمن عليه ذلك باغلى الاثمان وأرسل اليه شيئاً نزرا وألزمه أن يكتب خطه بقبض وديعته وانه مابقى يستحق عند الخليفة شيئاً فكتب خطه بذلك كرها وسار عن بغداد وأقام مع العرب ثم أرسل اليه الناصر يوسف بن العزيز ابن غازى بن يوسف صاحب الشام فطيب قلبه وحلف له فقدم الناصر داود الى دمشق

ونزل بالصالحية (وفي هذه السنة) يوم الاحد ثالث شوال توفي سيف الدين طغريل مملوك الملك المظفر محمود صاحب حماة وكان قد زوجه المظفر المذكور بأخته وقام بتدبير مملكة حماة بعد وفاة الملك المظفر حتى توفي في التاريخ المذكور (ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستمائة)

(ذكر قتل المعز أيبك التركماني)

(وفي هذه السنة) في يوم الثلاث الثالث والعشرين من ربيع الاول قتل الملك المعز أيبك التركماني الجاشنكير الصالحي قتلته امرأته شجر الدر التي كانت امرأة أستاذه الملك الصالح أيوب وهي التي خطب لها بالسلطنة في ديار مصر وكان سبب ذلك انه بلغها ان المعز أيبك المذكور قد خطب بنت بدر الدين لولو صاحب الموصل ويريد أن يتزوجها فقتلته في الحمام بعد عوده من لعب الكرة في النهار المذكور وكان الذي قتله سنجر الجوجري مملوك الطواشي محسن والخدام حسبما اتفقت معهم عليه شجر الدر وأرسلت في تلك الليلة أصبع المعز أيبك وخاتمه الى الامير عز الدين الحلبي الكبير وطلبت منه أن يقوم بالامر فلم يجسر على ذلك ولما ظهر الخبر أراد مماليك المعز أيبك قتل شجر الدر فحماها المماليك الصالحية فاتفقت الكلمة على اقامة نور الدين علي ابن الملك المعز أيبك ولقبوه الملك المنصور وعمره يومئذ خمس عشرة سنة ونقلت شجر الدر من دار السلطنة الى البرج الاحمر وصلبوا الخدام الذين اتفقوا معها على قتل المعز أيبك وهرب سنجر الجوجري ثم ظفروا به وصلبوه واحتيط على الصاحب بهاء الدين علي بن حنا لكونه وزير شجر الدر وأخذ خطه بستين ألف دينار وفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر من هذه السنة اتفقت مماليك المعز أيبك مثل سيف الدين قطز وسنجر الغتمي وبهادر وقبضوا على علم الدين سنجر الحلبي وكان قد صار اتابكا للملك المنصور نور الدين ابن الملك علي المعز أيبك ورتبوا في اتابكية المذكور اقطاي المستعرب الصالحي (وفي سادس عشر) ربيع الآخر من السنة المذكورة قتلت شجر الدر والقيت خارج البرج فحملت الى تربة كانت قد عملتها فدفنت فيها وكانت تركية الجنس وقيل كانت أرمنية وكانت مع الملك الصالح في الاعتقال بالكرك وولدت منه ولدا اسمه خليل مات صغيرا وبعد أيام من ذلك خنق شرف الدين الفائزي

ذكر مفارقة البحرية الملك الناصر يوسف صاحب الشام ابن الملك العزيز

(وفي هذه السنة) نقل الى الناصر يوسف ان البحرية يريدون أن يفتكوا به فاستوحش

خاطره منهم وتقدم اليهم بالانتزاح عن دمشق فساروا الى غزة وانتموا الى الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبي بكر ابن الملك الكامل وانزعج أهل مصر لقدوم البحرية الى غزة وبرزوا الى العباسية ووصل من البحرية جماعة مقفزن الى القاهرة منهم عز الدين الاثرم فاكرموهم وأفرجوا عن أملاك الاثرم ولما فارق البحرية الناصر صاحب الشام أرسل عسكرا في أثرهم فكبس البحرية ذلك العسكر ونالوا منه ثم ان عسكر الناصر بعد الكبسة كسروا البحرية فانهزموا الى البلقاء والى زعز ملتجئين الى الملك المغيث صاحب الكرك فانفق فيهم المغيث أموالا جليلة وأطمعوه في ملك مصر فجهزهم بما احتاجوه وسارت البحريه الى جهة مصر وخرجت عساكر مصر لقتالهم والتقى المصريون مع البحرية وعسكر المغيث بكرة السبت منتصف القعدة من هذه السنة فانهزم عسكر المغيث والبحرية وفيهم بيبرس البندقداري المسمى بعد ذلك بالملك الظاهر الى جهة الكرك

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) وصل من الخليفة المستعصم الخلعة والطوق والتقليد الى الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز (وفيها) استجار الناصر داود بنجم الدين الباذراي في أن يتوجه صحبته الى بغداد فأخذه صحبته وتوصل الناصر يوسف صاحب دمشق الى منعه عن ذلك فلم يتهيأ له وسار الناصر داود مع الباذراي الى قرقيسيا فاخره الباذراي ليشاور عليه فأقام الناصر داود في قرقيسيا ينتظر الاذن بالقدوم الى بغداد فلم يؤذن له وطال مقامه فسافر الى البرية وقصد تيه بني اسرائيل وأقام مع عرب تلك البلاد (وفي هذه السنة) أو التي قبلها ظهرت نار بالحرة عند مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان لها بالليل ضوء عظيم يظهر من مسافة بعيدة جدا ولعلها النار التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة فقال نار تظهر بالحجاز تضيء منها أعناق الابل ببصرى ثم اتفق ان الخدام بحرم النبي صلى الله عليه وسلم وقع منهم في بعض الليالي تفريط فاشتعلت النار في المسجد الشريف واحترقت سقوفه ومنبر النبي صلى الله عليه وسلم وتألم الناس لذلك (ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة)

﴿ ذكر استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية ﴾

في أول هذه السنة قصد هولاكو ملك التتر بغداد وملكها في العشرين من المحرم وقتل الخليفة المستعصم بالله وسبب ذلك ان وزير الخليفة مؤيد الدين ابن العلقمي كان رافضيا وكان أهل الكرخ أيضاً روافض فجرت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد على جاري عادتهم فأمر أبو بكر ابن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ وهتكوا النساء وركبوا منهن الفواحش فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي وكاتب التتر وأطمعهم في ملك بغداد

وكان عسكر بغداد يبلغ مائة ألف فارس فقطعهم المستعصم ليحمل الى التتر متحصل اقطاعاتهم وصار عسكر بغداد دون عشرين ألف فارس وأرسل ابن العلقمى الى التتر أخاه يستدعيهم فساروا قاصدين بغداد في جحفل عظيم وخرج عسكر الخليفة لقتالهم ومقدمهم ركن الدين الدوادار والتقوا على مرحلتين من بغداد واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر الخليفة ودخل بعضهم بغداد وسار بعضهم الى جهة الشام ونزل هولاكو على بغداد من الجانب الشرقى ونزل باجو وهو مقدم كبير في الجانب الغربى على قرية قبالة دار الخلافة وخرج مؤيد الدين الوزير ابن العلقمى الى هولاكو فتوثق منه لنفسه وعاد الى الخليفة المستعصم وقال ان هولاكو يبقيك في الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد ان يزوج ابنته من ابنك أبى بكر وحسن له الخروج الى هولاكو فخرج اليه المستعصم في جمع من أكابر أصحابه فانزل في خيمة ثم استدعى الوزير الفقهاء والاماثل فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون وكان منهم محيى الدين بن الجوزى وأولاده وكذلك بقى يخرج الى التتر طائفة بعد طائفة * فلما تكاملوا قتلهم التتر عن آخرهم ثم مدوا الجسر وعدى باجو ومن معه وبذلوا السيف في بغداد وهجموا دار الخلافة وقتلوا كل من كان فيها من الاشراف ولم يسلم الا من كان صغيرا فأخذ أسيرا ودام القتل والنهب في بغداد نحو أربعين يوماً ثم نودى بالامان * وأما الخليفة فانهم قتلوه ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله فقيل خنق وقيل وضع في عدل ورفسوه حتى مات وقيل غرق في دجلة والله أعلم بحقيقة ذلك وكان هذا المستعصم وهو عبد الله أبو أحمد بن المستنصر أبى جعفر منصور ابن محمد الطاهر ابن الامام الناصر أحمد وقد تقدم ذكر باقى نسبه عند ذكر وفاة الامام الناصر ضعيف الرأى قد غلب عليه أمراء دولته لسوء تدبيره تولى الخلافة بعد موت أبيه المستنصر في سنة أربعين وستمائة وكانت مدة خلافته نحو ست عشرة سنة تقريباً وهو آخر الخلفاء العباسيين وكان ابتداء دولتهم في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهى السنة التى بويع فيها السفاح بالخلافة وقتل فيها مروان الحمار آخر خلفاء بنى أمية وكانت مدة ملكهم خمسمائة سنة وأربعا وعشرين سنة تقريباً وعدة خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة حكى القاضى جمال الدين بن واصل قال لقد أخبرنى من أثق به انه وقف على كتاب عتيق فيه ماصورته ان على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بلغ بعض خلفاء بنى أمية عنه انه يقول ان الخلافة تصير الى ولده فامر الاموى بعلى بن عبد الله فحمل على جمل وطيف به وضرب وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفترى ويقول ان الخلافة تكون في ولده فكان على بن عبد الله المذكور رحمه الله يقول أى والله لتكونن الخلافة في ولدى لاتزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم فوقع

مصداق ذلك وهو ورود هولاكو وازالته ملك بنى العباس

ذكر الوقعة بين المغيث صاحب الكرك وعسكر مصر

كان قد انضمت البحرية الى المغيث بن العادل بن الكامل ونزل من الكرك وخيم بغزة وجمع الجموع وسار الى مصر في دست السلطنة وخرجت عساكر مصر مع مماليك الملك المعز أيبك وأكبرهم سيف الدين قطز الذى صار صاحب مصر والفتمى وبهادر والتقى الفريقان فكانت الكسرة على المغيث ومن معه فولى منهزما الى الكرك في أسوإ حال ونهبت أثقاله ودهليزه

ذكر وفاة الناصر داود

﴿ وفي هذه السنة ﴾ أعنى سنة ست وخمسين وستمائة في ليلة السبت السادس والعشرين من جمادى الاولى توفي الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بظاهر دمشق في قرية يقال لها البويضا ومولده سنة ثلاث وستمائة فكان عمره نحو ثلاث وخمسين سنة وكنا قد ذكرنا أخباره في سنة خمس وخمسين وانه توجه الى تيه بنى اسرائيل وصار مع عرب تلك البلاد وبلغ المغيث صاحب الكرك وصوله الى تلك الجهة فخشى منه وأرسل اليه فقبض عليه وحمله الى بلد الشوبك وأمر بحفر مطمورة ليحبسه فيها وبقى الملك الناصر المذكور ممسوكا والمطمورة تحفر قدامه ليحبس فيها فبينما هو على تلك الحال اذ ورد رسول الخليفة المستعصم يطلبه من بغداد لما قصده التتر ليقدمه على بعض العساكر لملتقى التتر * فلما ورد رسول الخليفة الى دمشق جهزوه الى المغيث صاحب الكرك ووصل الرسول الى موضع الملك الناصر قبل أن يتم المطمورة فاخذه وسار به الى جهة دمشق فبلغ الرسول استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة فتركه الرسول ومضى لشأنه فسار الناصر داود الى البويضا وهى قرية شرقى دمشق وأقام بها ولحق الناس في الشام في تلك المدة طاعون مات منه الناصر داود المذكور في التاريخ المذكور وخرج الملك الناصر يوسف صاحب دمشق الى البويضا وأظهر عليه الحزن والتأسف ونقله ودفنه بالصالحية في تربة والده المعظم وكان الناصر داود فاضلا ناظما ناثرا وقرأ العلوم العقلية على الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخسرو شاهى تلميذ الامام فخر الدين الرازى وللناصر داود المذكور أشعار جيدة قد تقدم ذكر بعضها ومن شعره أيضاً

عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك القلوب سكون
تصول ببيض وهى سود فرندها ... ذبول فتور والجفون جفون
اذا مارأت قلباً خلياً من الهوى ... تقول له كن مغرما فيكون

(وله أيضاً)

طرفي وقلبي قاتل وشـهيد ودمي على خديك منه شهود
اما وحبك لست أضمر سلوة عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد
منى بطيفك بعد مامنع الكرى عن ناظرى البعد والتسهيد
ومن العجائب ان قلبك لم يلن لى والحـديد ألانه داود

ومما كتب به في أثناء مكاتبته الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام وكان قد أغارت الفرنج على نابلس في أيام الملك الصالح أيوب صاحب مصر

أيا ليت أمى أيم طول عمـرها فلم يقضها ربى لمولى ولا بعل
وياليتها لما قضاها لسـيد لبيب أريب طيب الفرع والاصل
قضاها من اللاتى خلقن عواقرا فما بشرت يوما بأنثى ولا فحل
وياليتها لما غدت بى حامـلا أصيبت بما احتفت عليه من الحمل
وياليتنى لما ولدت وأصبحت تشد الى الشدقيات بالرحل
لحقت باسلافي فكنت ضجيعهم ولم أر في الاسلام مافيه من خل

ذكر وفاة الصاحبة غازية خاتون والدة الملك المنصور صاحب حماة

(وفي هذه السنة) في ذى القعدة توفيت الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بقلعة حماة رحمها الله تعالى وكان قدومها الى حماة في سنة تسع وعشرين وستمائة وولد لها من الملك المظفر محمود صاحب حماة ثلاث بنين مات أحدهم صغيرا وكان اسمه عمر وبقى الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه والد الملك الافضل على وولد لها منه ثلاث بنات أيضا فتوفيت الكبرى منهن وكان اسمها ملكة خاتون قبل وفاة والدتها بقليل وتوفيت الصغرى وهى دنيا خاتون بعد وفاة أخيها الملك المنصور وسنذكر وفاة الباقين في مواضعها ان شاء الله تعالى وكانت الصاحبة غازية المذكورة من أحسن النساء سيرة وزهدا وعبادة وحفظت الملك لولدها الملك المنصور حتى كبر وسلمته اليه قبل وفاتها رحمها الله تعالى

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

﴿ وفي هذه السنة ﴾ قصدت التتر ميا فارقين بعد استيلائهم على بغداد وكان صاحب ميا فارقين حينئذ الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وكان قد ملكها بعد وفاة أبيه في سنة اثنتين وأربعين وستمائة

فحاصره التتر وضايقوا ميا فارقين مضايقـة شديدة وصبر أهـل ميا فارقين مع الكامل محمد المذكور على الجوع الشديد ودام ذلك حتى كان منـه ماسنذكره ان شاء الله تعالى (وفيها) اشـتد الوباء بالشام خصوصاً بدمشق حتى لم يوجد مغسـل للموتى (وفيها) أرسل الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ولده الملك العزيز محمد وصحبته زين الدين محمد المعروف بالحافظى وهو من أهل قرية عقربا من بلد دمشق بتحف وتقادم الى هولاكو ملك التتر وصانعه لعلمه بعجزه عن ملتقى التـتر (وفيها) توفي الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن على بن يحيى المهلبي كاتب انشاء الملك الصالح أيوب ومولد البها زهير بوادى نخلة من مكة سـنة احدى وثمـانين وخمسمائة وفي آخر عمره انكشف حاله وباع موجوده وكتبه وأقام في بيته في القاهرة حتى أدركته وفاته بسبب الوباء العام في يوم الاحد رابع ذى القعدة من هذه السنة أعنى سنة ست وخمسين وستمائة ودفن بالقرافة الصغرى وكان كريم الطباع غزير المروءة فاضلا حسن النظم وشعره مشهور كثير فمن شعره وهو وزن مخترع ليس بخرجة العروض أبيات منها

يامن لعبت به شمول ماألطف هذه الشمائل
مولاى يحق لى بأنى عن حبك في الهوى أقاتل
هاعبدك وافقاذليـلا بالباب يمد كف سائل
من وصلك بالقليل يرضى والطل من الحبيب وابل

(وفي هذه السنة) توفي بمصر الشيخ ركن الدين عبد العظيم شيخ دار الحديث وكان من أئمة الحديث المشـهورين (وفيها) توفي الشيخ شمس الدين يوسف سبط جمـال الدين بن الجوزى وكان من الوعاظ الفضلاء الف تاريخاً جامعاً سماه مرآة الزمان (وفيها) توفي سيف الدين على بن سابق الدين قزل المعروف بابن المشد وكان أمـيرا مقدماً في دولة الملك الناصر يوسف صاحب الشام وله شعر حسن فمنه

باكر كؤس المدام واشرب واستجل وجه الحبيب واطرب
ولا تخف للهـموم داء فهى دواء له مجـرب
من يد ساق له رضاب كالشـهد لكن جناه أعـذب

(وفيها) كان بين البحرية بعد هزيمتهم من المصريين وبين عسكر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ومقدمهم الامير مجـير الدين بن أبى زكرى مصاف بظاهر غزة انهزم فيه عسكر الناصر يوسف وأسر مجـير الدين المذكور وقوى أمر البحرية بعد هـذه الكسرة وأكثروا العبث والفساد (ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة) فيها سار عز الدين كيكاووس وركن الدين قليج أرسلان ابنا كيخسرو بن كيقباذ الى خدمة

هولاكو وأقاما معه مدة ثم عادا الى بلادهما

ذكر وفاة بدر الدين صاحب الموصل

(في هذه السنة) توفي بدر الدين لولو صاحب الموصل وكان يلقب الملك الرحيم وكان عمره قد جاوز ثمانين سنة * ولما مات ملك بعده الموصل ولده الملك الصالح بن لولو وملك سنجار ولده الآخر علاء الدين بن لولو وكان بدر الدين قد صانع هولاكو ودخل في طاعته وحمل اليه الاموال ووصل الى خدمة هولاكو بعد أخذ بغداد ببلاد اذربيجان وكان محبة لولو الشريف العلوى ابن صلايا فقيل ان لولو سعى به الى هولاكو فقتل الشريف المذكور * ولما عاد لولو الى الموصل لم يطل مقامه بها حتى مات وطالت أيام بدر الدين لولو في ملك الموصل فانه كان القائم بأمور استاذه أرسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن زنكي بن اقسنقر وقام بتدبير ولده الملك القاهر بن أرسلان شاه ولما توفي الملك القاهر بن أرسلان شاه في سنة خمس عشرة وستمائة انفرد لولو بتدبير المملكة وأقام ولدى القاهر الصغيرين واحدا بعد واحد واستبد بملك الموصل وبلادها ثلاث وأربعين سنة تقريباً ولم يزل في ملكه سعيدا لم تطرقه آفة ولم يختل لملكه نظام

ذكر منازلة الملك الناصر يوسف صاحب الشام الكرك

(وفي هذه السنة) لما جرى من البحرية ماذكرناه من كسر عسكر الناصر يوسف سار الناصر المذكور من دمشق بنفسه وعساكره وسار في صحبته الملك المنصور صاحب حماة بعسكره الى جهة الكرك وأقام على بركة زيزا محاصرا للملك المغيث صاحب الكرك بسبب حمايته للبحرية ووصل الى الملك الناصر رسل الملك المغيث صاحب الكرك والقطبية بنت الملك المفضل قطب الدين ابن الملك العادل يتضرعون الى الملك الناصر ويطلبون رضاه عن الملك المغيث فلم يجب الى ذلك الا بشرط أن يقبض المغيث على من عنده من البحرية فاجاب المغيث الى ذلك وعلم بالحال ركن الدين بيبرس البندقدارى فهرب في جماعة من البحرية ووصل بهم الى الملك الناصر يوسف فاحسن اليهم وقبض المغيث على من بقى عنده من البحرية ومن جملتهم سنقر الاشقر وسكر وبرامق وأرسلهم على الجمال الى الملك الناصر فبعث بهم الى حلب فاعتقلوا بها واستقر الصلح بين الملك الناصر وبين الملك المغيث صاحب الكرك وكان مدة مقام الملك الناصر بالعساكر على بركة زيزا مايزيد على شهرين بقليل ثم عاد الى دمشق وأعطى للملك المنصور صاحب حماة دستورا فعاد الى بلده

ذكر سلطنة قطز

(وفي أواخر هذه السنة) أعنى سنة سبع وخمسين وستمائة في أوائل ذى الحجة قبض سيف الدين قطز على ولد استاذه الملك المنصور نور الدين على بن المعز أيبك وخلعه من السلطنة وكان علم الدين الفتمى وسيف الدين بهادر وهما من كبار المعزية غائبين في رمى البندق فانتهز قطز الفرصة في غيبتهما وفعل ذلك ولما قدم الفتمى وبهادر المذكوران قبض عليهما قطز أيضاً واستقر قطز في ملك الديار المصرية وتلقب بالملك المظفر وكان رسول الملك الناصر يوسف صاحب الشام وهو كمال الدين المعروف بابن العديم قد قدم الى مصر في أيام الملك المنصور على بن أيبك مستنجدا على التتر واتفق خلع على المذكور وولاية قطز بحضرة كمال الدين بن العديم * ولما استقر قطز في السلطنة أعاد جواب الملك الناصر يوسف انه ينجده ولا يقعد عن نصرته وعاد ابن العديم بذلك

ذكر مولد الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور صاحب حماة

(وفي هذه السنة) أعنى سنة سبع وخمسين وستمائة في الساعة العاشرة من ليلة الاحد خامس عشر المحرم وثانى عشر كانون الثانى ولد محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولقبوه الملك المظفر بلقب جده وأم الملك المظفر محمود المذكور عائشة خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وهنأ الشيخ شرف الدين عبد العزيز المعروف بشيخ الشيوخ الملك المنصور صاحب حماة بقصيدة طويلة منها

ابشر على رغم العدى والحسد ... بأجل مولود وأكرم مولد
بالنعمة الغراء بل بالدولة الزهراء بل بالمفخر المتجدد
وافاك بدرا كاملا في ليلة ... طلعت عليك نجومها بالاسعد
مابين محمود المظفر اسفرت ... عنه وما بين العزيز محمد

ذكر قصد هولاكو الشام

(وفي هذه السنة) قدم هولاكو الى البلاد التى شرقى الفرات ونازل حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية وأرسل ولده سموط بن هولاكو الى الشام فوصل الى ظاهر حلب في العشر الاخير من ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة سبع وخمسين وستمائة وكان الحاكم في حلب الملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين نائبا عن

ابن أخيه الملك الناصر يوسف فخرج عسكر حلب لقتالهم وخرج الملك المعظم ولم يكن من رأيه الخروج اليهم وأكمن لهم التتر في باب الى المعروف بباب الله وتقاتلوا عندبانقوسا فاندفع التتر قدامهم حتى خرجوا عن البلد ثم عادوا عليهم وهرب المسلمون طالبين المدينة والتتر يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد واختفى في أبواب البلد جماعة من المنهزمين ثم رحل التتر الى اعزاز فتسلموها بالامان (ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة)

ذكر ماكان من الملك الناصر عند قصد التتر حلب

ولما بلغ الملك الناصر يوسف صاحب الشام قصد التتر حلب برز من دمشق الى برزه في أواخر السنة الماضية وجفل الناس من بين يدى التتر وسار من حماة الى دمشق الملك المنصور صاحب حماة ونزل معه ببرزه وكان هناك مع الناصر يوسف بيبرس البندقدارى من حين هرب من الكرك والتجأ الى الناصر فاجتمع عند الملك الناصر عند برزه أمم عظيمة من العساكر والجفال ولما دخلت هذه السنة والملك الناصر ببرزه بلغه ان جماعة من مماليكه قد عزموا على اغتياله والفتك به فهرب الملك الناصر من الدهليز الى قلعة دمشق وبلغ مماليكه الذين قصدوا ذلك علمه بهم فهربوا على حمية الى جهة غزة وكذلك سار بيبرس البندقدارى الى جهة غزة وأشاع المماليك الناصرية انهم لم يقصدوا قتل الملك الناصر وانما كان قصدهم أن يقبضوا عليه ويسلطنوا أخاه الملك الظاهر غازى ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين لشهامته * ولما جرى ذلك هرب الملك الظاهر المذكور خوفا من أخيه الملك الناصر وكان الظاهر المذكور شقيق الناصر أمهما أم ولد تركية ووصل الملك الظاهر غازى الى غزة واجتمع عليه من بها من العسكر وأقاموه سلطانا * ولما جرى ذلك كاتب بيبرس البندقدارى الملك المظفر قطز صاحب مصر فبذل له الامان ووعده الوعود الجميلة ففارق بيبرس البندقدارى الشاميين وسار الى مصر في جماعة من أصحابه فأقبل عليه الملك المظفر قطز وأنزله في دار الوزارة وأقطعه قليوب وأعمالها

﴿ ذكر استيلاء التتر على حلب وعلى الشام جميعه ومسير الملك الناصر عن دمشق ووصول عساكره الى مصر وانفراد الملك الناصر عنهم ﴾

(في هذه السنة) أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة في يوم الاحد تاسع صفر كان استيلاء التتر على حلب وسببه ان هولاكو عبر الفرات بجموعه ونازل حلب وأرسل هولاكو الى الملك المعظم توراتشاه بن صلاح الدين نائب السلطنة بحلب يقول له انكم تضعفون عن لقاء المغل ونحن قصدنا الملك الناصر والعساكر فاجعلوا لنا عندكم بحلب

شحنة وبالقلعة شحنة ونتوجه نحن الى العسكر فان كانت الكسرة على عسكر الاسلام كانت البلاد لنا وتكونون قد حقنتم دماء المسلمين وان كانت الكسرة علينا كنتم مخيرين في الشحنتين ان شئتم طردتموهما وان شئتم قتلتموهما فلم يجب الملك المعظم الى ذلك وقال ليس لكم عندنا الا السيف وكان رسول هولاكو اليهم في ذلك صاحب ارزن الروم فتعجب من هذا الجواب وتألم لما علم من هلاك أهل حلب بسبب ذلك وأحاط التتر بحلب ثانى صفر وهجموا التواتر في غد ذلك اليوم وقتل من المسلمين جماعة كثيرة وممن قتل أسد الدين ابن الملك الزاهر بن صلاح الدين واشتدت مضايقة التتر للبلد وهجموه من عند حمام حمدان في ذيل قلعة الشريف في يوم الاحد تاسع صفر وبذلوا السيف في المسلمين وصعد الى القلعة خلق عظيم ودام القتل والنهب من نهار الاحد المذكور الى الجمعة رابع عشر صفر المذكور فأمر هولاكو برفع السيف ونودى بالامان ولم يسلم من أهل حلب الامن التجأ الى دار شهاب الدين ابن عمرون ودار نجم الدين أخى مردكين ودار البازياد ودار علم الدين قيصر الموصلى والخانكاه التى فيها زين الدين الصوفي وكنيسة اليهود وذلك لفرمانات كانت بأيديهم وقيل انه سلم بهذه الاماكن مايزيد على خمسين ألف نفس ونازل التتر القلعة وحاصروها وبها الملك المعظم ومن التجأ اليها من العسكر واستمر الحصار عليها وكان من ذلك ماسنذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غير ذلك من أحوال حماة وأحوال الملك الناصر بعد أخذ حلب)

كان قد تأخر بحماة الطواشى مرشد لما سار صاحب حماة الى دمشق فلما بلغ أهل حماة فتح حلب توجه الطواشى مرشد من حماة الى عند الملك المنصور صاحب حماة بدمشق ووصل كبراء حماة الى حلب ومعهم مفاتيح حماة وحملوها الى هولاكو وطلبوا منه الامان لاهل حماة وشحنة يكون عندهم فأمنهم هولاكو وأرسل الى حماة شحنة رجلا أعجميا كان يدعى انه من ذرية خالد بن الوليد يقال له خسروشاه فقدم خسروشاه الى حماة وتولاها وأمن الرعية وكان بقلعة حماة مجاهد الدين قيماز أمير جندار فسلم القلعة اليه ودخل في طاعة التتر ولما بلغ الملك الناصر بدمشق أخذ حلب رحل من دمشق بمن بقى معه من العسكر الى جهة الديار المصرية وفي صحبته الملك المنصور صاحب حماة وأقام بنابلس أياما ورحل عنها وترك فيها الامير مجير الدين بن أبى زكرى والامير على بن شجاع ومعهما جماعة من العسكر ثم سار الملك الناصر الى غزة فانضم اليه مماليكه الذين كانوا أرادوا قتله وكذلك اصطلح معه أخوه الملك الظاهر غازى وانضم اليه وبعد مسير الملك الناصر عن نابلس وصل التتر اليها وكبسوا العسكر الذين بها وقتلوا مجير الدين والامير

على بن شجاع وكانا أميرين جليلين فاضلين وكان البحرية قد قبضوا عليهما واعتقلوهما بالكرك وافرج عنهما المغيث لما وقع الصلح بينه وبين الناصر ولما بلغ الملك الناصر وهو بغزة ماجرى من كبسة التتر لنابلس رحل من غزة الى العريش وسير القاضى برهان الدين ابن الخضر رسولا الى الملك المظفر قطز صاحب مصر يطلب منه المعاضدة ثم سار الملك الناصر والملك المنصور صاحب حماة والعسكر ووصلوا الى قطية فجرى بها فتنة بين التركمانى والاكراد الشهرزورية ووقع نهب فى الجفال وخاف الملك الناصر أن يدخل مصر فيقبض عليه فتأخر في قطية ورحلت العساكر والملك المنصور صاحب حماة الى مصر وتأخر مع الملك الناصر جماعة يسيرة منهم أخوه الظاهر غازى والملك الصالح بن شيركوه صاحب حمص وشهاب الدين القيمرى ثم سار الملك الناصر بمن تأخر معه من قطية الى جهة تيه بنى اسرائيل ولما وصلت العساكر الى مصر التقاهم الملك المظفر قطز بالصالحية وطيب قلوبهم وأرسل الى الملك المنصور صاحب حماة سنجقا والتقاه ملتقى حسنا وطيب قلبه ودخل القاهرة وأما التتر فانهم استولوا على دمشق وعلى سائر الشام الى غزة واستقرت شحائنهم بهذه البلاد

(ذكر استيلاء التتر على قلعة حلب والمتجددات بالشام)

أما قلعة حلب فوثب جماعة من أهلها في مدة الحصار على صفى الدين بن طرزه رئيس حلب وعلى نجم الدين أحمد بن عبد العزيز بن أحمد ابن القاضى نجم الدين بن أبى عصرون فقتلوهما لانهم اتهموهما بمواطأة التتر واستمر الحصار على القلعة واشتدت مضايقة التتر لها نحو شهر ثم سلمت بالامان في يوم الاثنين الحادى عشر من ربيع الاول من هذه السنة ولما نزل أهلها بالامان وكان فيها جماعة من البحرية الذين حبسهم الملك الناصر فمنهم سكز وبرامق وسنقر الاشقر فسلمهم هولاكو هم وباقى الترك الى رجل من التتر يقال له سلطان حق وهو رجل من أكابر القبجاق هرب من التتر لما غلبت على القبجاق وقدم الى حلب فأحسن اليه الملك الناصر فلم تطب له تلك البلاد فعاد الى التتر وأما العوام والغرباء فنزلوا الى أماكن الحمى التى قدمنا ذكرها وأمر هولاكو أن يمضى كل من سلم الى داره وملكه وأن لا يعارض وجعل النائب بحلب عماد الدين القزوينى ووصل الى هولاكو على حلب الملك الاشرف صاحب حمص موسى بن ابراهيم بن شيركوه وكان قد انفرد الاشرف المذكور عن المسلمين لما توجه الملك الناصر الى جهة مصر ووصل الى هولاكو بحلب فاكرمه هولاكو وأعاد عليه حمص وكان قد أخذها منه الملك الناصر صاحب حلب في سنة ست وأربعين وستمائة وعوضه عنها تل باشر على ماتقدم ذكره فعادت اليه في هذه السنة واستقر ملكه بها وقدم أيضا هولاكو وهو نازل على حلب محي الدين بن الزكى

من دمشق فاقبل عليه هولاكو وخلع عليه وولاه قضاء الشام ولما عاد ابن الزكى المذكور الى دمشق لبس خلعة هولاكو وكانت مذهبة وجمع الفقهاء وغيرهم من أكابر دمشق وقرأ عليهم تقليد هولاكو واستقر في القضاء ثم رحل هولاكو الى حارم وطلب تسليمها فامتنعوا أن يسلموها لغير فخر الدين والى قلعة حلب فاحضره هولاكو وسلموها اليه فغضب هولاكو من ذلك وأمر بهم فقتل أهل حارم عن آخرهم وسبى النساء ثم رحل هولاكو بعد ذلك وعاد الى الشرق وأمر عماد الدين القزوينى بالرحيل الى بغداد فسار اليها وجعل مكانه بحلب رجلا أعجميا وأمر هولاكو بخراب أسوار قلعة حلب وأسوار المدينة فخربت عن آخرها وأعطى هولاكو الاشرف موسى صاحب حمص الدستور ففارقه ووصل الى حماة ونزل في الدار المبارز وأخذ في خراب سور قلعة حماة بتقدم هولاكو اليه بذلك فخربت أسوارها وأحرقت زردخاناتها وبيعت الكتب التى كانت بدار السلطنة بقلعة حماة بابخس الاثمان وأما أسوار مدينة حماة فلم تخرب لانه كان بحماة رجل يقال له ابراهيم بن الافرنجية ضامن الجهة المفردة بذل لخسروشاه جملة كثيرة من المال وقال الفرنج قريب منا بحصن الاكراد ومتى خربت أسوار المدينة لايقدر أهلها على المقام فيها فأخذ منه المال ولم يتعرض لخراب أسوار المدينة وكان قد أمر هولاكو الاشرف موسى صاحب حمص بخراب قلعة حمص أيضا فلم يخرب منها الا شيئا قليلا لانها مدينته وأما دمشق فانهم لما ملكوا المدينة بالامان لم يتعرضوا الى قتل ولا نهب وعصت قلعة دمشق عليهم فحاصرها التتر وجرى على أهل دمشق بسبب عصيان القلعة شدة عظيمة وضايقوا القلعة وأقاموا عليها المجانيق ثم تسلموها بالامان في منتصف جمادى الاولى من هذه السنة ونهبوا جميع مافيها وجدوا في خراب أسوار القلعة واعدام مابها من الزردخانات والآلات ثم توجوا الى بعلبك ونازلوا قلعتها

(ذكر استيلاء التتر على ميا فارقين وقتل الملك الكامل صاحبها)

(وفي هذه السنة) أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة استولى التتر على ميا فارقين وقد تقدم ذكر نزولهم عليها ومحاصرتها في سنة ست وخمسين واستمر الحصار عليهم مدة سنتين حتى فنيت أزوادهم وفنى أهلها بالوباء وبالقتل وصاحبها الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب مصابرا ثابتا وضعف من عنده عن القتال فاستولى التتر عليها وقتلوا صاحبها الملك الكامل المذكور وحملوا رأسه على رمح وطيف به في البلاد ومروا به على حلب وحماة ووصلوا به الى دمشق في سابع عشرين جمادى الاولى من هذه السنة أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة وطافوا به في دمشق بالمغانى والطبول وعلق رأس المذكور في شبكة بسور باب الفراديس الى ان عادت دمشق الى المسلمين فدفن بمشهد الحسين داخل باب الفراديس وفيه يقول الشيخ شهاب الدين

ابن أبي شامة أبياتا منها

ابن غازى غزى وجاهد قوما انخنوا في العراق والمشرقين
طاهرا عاليا ومات شهيدا بعد صبر عليهم عامين
لم يشنه اذ طيف بالرأس منه وله اسوة برأس الحسين
ثم واروا في مشهد الرأس ذاك الرأس واستعجبوا من الحالين

﴿ ذكر اتصال الملك الناصر بالتتر واستيلائهم على عجلون وغيرها من قلاع الشام ﴾

أما الملك الناصر يوسف فانه لما انفرد عن العسكر من قطية وسار الى تيه بنى اسرائيل بقى متحيرا الى أين يتوجه وعزم على التوجه الى الحجاز وكان له طبردار كردى اسمه حسين فحسن له المضى الى التتر وقصد هولاكو فاغتر بقوله ونزل ببركة زيرا وسار حسين الكردى الى كتبغا نائب هولاكو وعرفه بموضع الملك الناصر فأرسل كتبغا اليه وقبض عليه وأحضره الى عجلون وكانت بعد عاصية فأمرهم الملك الناصر بتسليمها فسلمت اليهم فهدموها وكنا قد ذكرنا حصار التتر لبعلبك فتسلموها قبيل تسليم عجلون وخربوا قلعتها أيضاً وكان بالصبيبة صاحبها الملك السعيد ابن الملك العزيز ابن الملك العادل فسلم الصبيبة اليهم وصار الملك السعيد المذكور معهم وأعلن بالفسق والفجور وسفك دماء المسلمين وأما الملك الناصر يوسف فان كتبغا بعث به الى هولاكو فوصل الى دمشق ثم الى حماة وبها الاشرف صاحب حمص فخرج الى لقائه هو وخسروشاه النائب بحماة ثم سار الى حلب فلما عاينها الملك الناصر وما قد حل بها وبأهلها تضاعف تألمه وأنشد

يعز علينا ان نرى ربعكم يبلى وكانت به آيات حسنكم تتلى

ثم سار الى الاردو فاقبل عليه هولاكو ووعده برده الى مملكته وكان منه ماسنذكره ان شاء الله تعالى

ذكر غير ذلك

وفي خامس عشر شعبان من هذه السنة أخرج التتر من الاعتقال نقيب قلعة دمشق وواليها وضربوا أعناقهما بداريا واشتهر عند أهل دمشق خروج العساكر من مصر لقتال التتر فأوقعوا بالنصارى وكانوا قد استطالوا على المسلمين بدق النواقيس وادخال الخمر الى الجامع فنهبهم المسلمون في سابع عشرين رمضان من هذه السنة وأخربوا كنيسة مريم وكانت كنيسة عظيمة وكانت كنيسة مريم في جانب دمشق الذى فتحه خالد بن الوليد بالسيف فبقيت بيد المسلمين وكان ملاصق الجامع كنيسة وهى من الجانب الذى فتحه أبو

عبيدة بالامان فبقيت بأيدى النصارى فلما ولى الوليد بن عبد الملك الخلافة خرب الكنيسة الملاصقة للجامع واضافها اليه ولم يعوض النصارى عنها فلما ولى عمر بن عبد العزيز عوضهم بكنيسة مريم عن تلك الكنيسة فعمروها عمارة عظيمة وبقيت كذلك حتى خربها المسلمون في التاريخ المذكور

(ذكر هزيمة التتر وقتل كتبغا)

(وفي هذه السنة) أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة كانت هزيمة التتر في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت وكان من حديثها انه لما اجتمعت العساكر الاسلامية بمصر عزم الملك المظفر قطز مملوك المعز أيبك على الخروج الى الشام لقتال التتر وسار من مصر بالعساكر الاسلامية وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الافضل على وكان مسيره من الديار المصرية في أوائل رمضان من هذه السنة ولما بلغ كتبغا وهو نائب هولاكو على الشام ومقدم التتر مسير العساكر الاسلامية اليه صحبة الملك المظفر قطز جمع من في الشام من التتر وسار الى لقاء المسلمين وكان الملك السعيد صاحب الصبيبة ابن الملك العزيز ابن الملك العادل بن أيوب صحبة كتبغا وتقارب الجمعان في الغور والتقوا يوم الجمعة المذكور فانهزمت التتر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واستؤسر ابنه وتعلق من سلم من التتر برؤس الجبال وتبعتهم المسلمون فاثخنوهم وهرب من سلم منهم الى الشرق وجرد قطز ركن الدين بيبرس البندقدارى في أثرهم فتبعتهم المسلمون الى أطراف البلاد الشرقية وكان أيضا في صحبة التتر الملك الاشرف موسى صاحب حمص ففارقهم وطلب الامان من المظفر قطز فأمنه ووصل اليه فاكرمه وأقره على مابيده وهو حمص ومضافاتها وأما الملك السعيد صاحب الصبيبة فانه أمسك أسيرا وأحضر بين يدى الملك المظفر قطز فأمر به فضربت عنقه بسبب ما كان المذكور قد اعتمده من السفك والفسق ولما انقضى أمر المصاف أحسن المظفر قطز الى الملك المنصور صاحب حماة وأقره على حماة وبارين وأعاد اليه المعرة وكانت في أيدى الحلبيين من حين استولوا عليها في سنة خمس وثلاثين وستمائة وأخذ سلمية منه وأعطاها أمير العرب وأتم الملك المظفر السير بالعساكر وصحبته الملك المنصور صاحب حماة حتى دخل دمشق وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم فان القلوب كانت قد يئست من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولانهم ماقصدوا أقليما الا فتحوه ولا عسكرا الى هزموه فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم وبقدوم الملك المظفر قطز الى الشام وفي يوم دخوله دمشق أمر بشنق جماعة من المنتسبين الى التتر فشنقوا وكان من جملتهم حسين الكردى طبردار الملك الناصر يوسف وهو الذى أوقع الملك الناصر في أيدى التتر

وفي هذه النصرة وقدوم قطز الى الشام يقول بعض الشعراء

هلك الكفر في الشام جميعا واستجد الاسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر الملك الار وع سيف الاسلام عند نهوضه
ملك جاءنا بعزم وحزم فاعتززنا بسمره وبيضه
أوجب الله شكر ذاك علينا دائما مثل واجبات فروضه

ثم أعطى الملك المظفر قطز صاحب حماة الملك المنصور الدستور فقدم الملك المنصور قدامه مملوكه ونائبه مبارز الدين أقوش المنصور الى حماة ثم سار الملك المنصور وأخوه الملك الافضل ووصلا الى حماة ولما استقر الملك المنصور بحماة قبض على جماعة كانوا مع التتر واعتقلهم وهنأ الشيخ شرف الدين شيخ الشيوخ المنصور بهذا النصر العظيم وبعود المعرة بقصيدة منها

رعت العدى فضمنت ثل عروشها ولقيتها فأخذت تل جيوشها
نازلت أملاك التتار فأنزلت عن فحلها قسرا وعن أكديشها
فغدا لسيفك في رقاب كماتها حصد المناجل في بيبس حشيشها
فقت الملوك ببذل ماتحويه اذ ختمت خزائنها على منقوشها

ومنها

وطويت عن مصر فسيح مراحل مابين بركتها وبين عريشها
حتى حفظت على العباد بلادها من رومها الاقصى الى أحبوشها
فرشت حماة لوطئ نعلك خدها فوطئت عين الشمس من مفروشها
وضربت سكتها التى أخلصتها عما يشوب النقد من مغشوشها
وكذا المعرة اذ ملكت قيادها دهشت سرورا سار في مدهوشها
طربت برجعتها اليك كأنما سكرت بخمرة حاسها أو حيشها
لازلت تنعش بالنوال فقيرها وتنال أقصى الاجر من منعوشها

وكان خسروشاه قد سافر من حماة الى جهة الشرق لما بلغه كسرة التتر ثم جهز الملك المظفر قطز عسكرا الى حلب لحفظها ورتب أيضا شمس الدين أقوش البرلى العزيزى أميرا بالسواحل وغزة ورتب معه جماعة من العزيزية وكان البرلى المذكور من مماليك الملك العزيز محمد صاحب حلب وسار في جملة العزيزية مع ولده الملك الناصر يوسف الى قتال المصريين وخامر البرلى وجماعة من العزيزية على ابن أستاذهم الملك الناصر وصاروا مع أيبك التركمانى صاحب مصر ثم انهم قصدوا اغتيال المعز أيبك التركمانى المذكور وعلم بهم فقبض على بعضهم وهرب بعضهم وكان البرلى المذكور من جملة من سلم وهرب الى الشام

فلما

فلما وصل الى الملك الناصر اعتقله بقلعة عجلون فلما توجه الملك الناصر بالعسكر الى الغور مندفعا من بين يدى التتر أخرج البرلى من حبس عجلون وطيب خاطره فلما هرب الملك الناصر من قطية دخل شمس الدين أقوش البرلى المذكور مع العساكر الى مصر فأحسن اليه الملك المظفر قطز وولاه الآن السواحل وغزة فلما استقر بدمشق على ماذكرناه وكان مقر البرلى لما تولى هذه الاعمال بنابلس تارة وبيت جبرين أخرى ثم ان الملك المظفر قطز فوض نيابة السلطنة بدمشق الى الامير علم الدين سنجر الحلبى وهو الذى كان اتابكا لعلى بن المعز أيبك وفوض نيابة السلطنة بحلب الى الملك السعيد بن بدر الدين لولو صاحب الموصل وكان المذكور قد وصل الى الملك الناصر يوسف صاحب الشام ودخل مع العساكر الى مصر وصار مع المظفر قطز ففوض اليه نيابة السلطنة بحلب وكان سببه ان أخاه الملك الصالح بن لولو قد صار صاحب الموصل بعد أبيه فولاه حلب ليكاتبه أخوه بأخبار التتر ولما استقر السعيد المذكور في نيابة حلب سار سيرة رديئة وكان دأبه التحيل على أخذ مال الرعية

(ذكر عود الملك المظفر قطز الى جهة الديار المصرية ومقتله)

ولما قرر الملك المظفر قطز المعزى المذكور أمر الشام على مانرحناه سار من دمشق الى جهة البلاد المصرية وكان قد اتفق بيبرس البندقدارى الصالحى مع انص مملوك نجم الدين الرومى الصالحى والهارونى وعلم الدين صغن أغلى على قتل المظفر قطز وساروا معه يتوقعون الفرصة فلما وصل قطز الى القصير بطرف الرمل وبينه وبين الصالحية مرحلة وقد سبق الدهليز والعسكر الى الصالحية فبينا قطز يسير اذ قامت أرنب بين يديه فساق عليها وساق هؤلاء المذكورون معه فلما بعدوا تقدم اليه انص وشفع عند الملك المظفر قطز في انسان فأجابه الى ذلك فاهوى لتقبيل يده وقبض عليها فحمل عليه بيبرس البندقدارى الصالحى حينئذ وضربه بالسيف واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه بالنشاب وذلك في سابع عشر ذى القعدة من هذه السنة فكانت مدة ملكه أحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما وساق بيبرس وأولئك المذكورون بعد مقتله حتى وصلوا الى الدهليز بالصالحية

(ذكر سلطنة بيبرس البندقدارى المذكور)

ولما وصل ركن الدين بيبرس المذكور هو والجماعة الذين قتلوا الملك المظفر قطز الى الدهليز كما ذكرناه وكان عند الدهليز نائب السلطنة فارس الدين اقطاى المستعرب وهو الذى صار اتابكا لعلى بن المعز أيبك بعد الحلبى فلما تسلطن قطز أقره على نيابة السلطنة فلما وصل بيبرس البندقدارى مع الجماعة الذين قتلوا قطز الى الدهليز سألهم اقطاى المستعرب المذكور وقال من قتله منكم فقال له بيبرس انا قال له اقطاى ياخوند اجلس في

مرتبة السلطنة فجلس واستدعيت العساكر للتحليف فحلفوا له في اليوم الذى قتل فيه قطز وهو سابع عشر ذى القعدة من هذه السنة أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة واستقر بيبرس في السلطنة وتلقب بالملك القاهر ركن الدين بيبرس الصالحى ثم بعد ذلك غير لقبه عن الملك القاهر وتلقب بالملك الظاهر لانه بلغه ان القاهر لقب غير مبارك ماتلقب به أحد فطالت مدته وكان الملك الظاهر المذكور قد سأل من قطز النيابة بحلب فلم يجبه اليها ليكون ماقدره الله تعالى ولما حلف الناس للملك الظاهر المذكور بالصالحية ساق في جماعة من أصحابه وسبق العسكر الى قلعة الجبل ففتحت له ودخلها واستقرت قدمه في المملكة وكان قد زينت مصر والقاهرة لمقدم قطز فاستمرت الزينة لسلطنة بيبرس المذكور وكان مقتل قطز وسلطنة بيبرس في سابع عشر ذى القعدة من هذه السنة

﴿ ذكر اعادة عمارة قلعة دمشق ﴾

(وفي هذه السنة) في العشر الاخير من ذى القعدة شرع الامير علم الدين سنجر الحلبى نائب السلطنة بدمشق في عمارة قلعة دمشق وجمع لها الصناع وكبراء الدولة والناس وعملوا فيها حتى النساء أيضاً وكان عند الناس بذلك سرور عظيم

(ذكر سلطنة الحلبى بدمشق)

كان علم الدين سنجر الحلبى قد استنابه الملك المظفر قطز بدمشق على ماتقدم ذكره فلما جرى ماذكرناه من قتل قطز وسلطنة الملك الظاهر جمع الحلبى الناس وحلفهم لنفسه بالسلطنة وذلك في العشر الاول من ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة فأجابه الناس الى ذلك وحلفوا له ولم يتأخر عنه أحد ولقب نفسه الملك المجاهد وخطب له بالسلطنة وضربت السكة باسمه وكاتب الملك المنصور صاحب حماة في ذلك فلم يجبه وقال صاحب حماة أنا مع من يملك الديار المصرية كائنا من كان

(ذكر قبض عسكر حلب على الملك السعيد ابن صاحب الموصل وعود التتر الى الشام)

وكان الملك السعيد قد قرره قطز بحلب وجرد معه جماعة من العزيزية والناصرية وكان ردىء السيرة وقد أبغضه العسكر وبلغ الملك السعيد المذكور مسير التتر الى البيرة فجرد الى جهتهم جماعة قليلة من العسكر وقدم عليهم سابق الدين أمير مجلس الناصرى فأشار عليه كبراء العزيزية والناصرية بان هذا ماهو مصلحة وان هؤلاء قليلون فيحصل الطمع بسببهم في البلاد فلم يلتفت الى ذلك وأصر على مسيرهم فسار سابق الدين أمير مجلس الناصرى بمن معه حتى قاربوا البيرة فوقع عليهم التتر فهرب منهم ودخل البيرة بعد ان قتل غالب من كان

معه فازداد غيظ الامراء على الملك السعيد بسبب ذلك فاجتمعوا وقبضوا عليه ونهبوا وطاقه وكان قد برز الى باب الى المعروف بباب الله ولما استولوا على خزانته لم يجدوا فيها مالا طائلا فهددوه بالعذاب ان لم يقر لهم بماله فنبش من تحت اشجار حائط دار بيابلى جملة من المال قيل كانت خمسين ألف دينار مصرية ففرقت في الامراء وحمل الملك السعيد المذكور الى الشغر وبكاس معتقلا ثم لما اندفع العسكر من بين يدى التتر على ماسنذكره افرجوا عنه ولما جرى ذلك اتفقت العزيزية والناصرية وقدموا عليهم الامير حسام الدين الجوكندار العزيزى ثم سارت التتر الى حلب فاندفع حسام الدين الجوكندار والعسكر الذين معه بين أيديهم الى جهة حماة ووصل التتر الى حلب في أواخر هذه السنة أعنى سنة ثمان وخمسين وستمائة وملكوها وأخرجوا أهلها الى قرنبيا واسمها مقر الانبياء فسماها العامة قرنبيا ولما اجتمع المسلمون بقرنبيا بذل التتر فيهم السيف فافنوا غالبهم وسلم القليل منهم ووصل حسام الدين الجوكندار ومن معه الى حماة فضيفهم الملك المنصور محمد صاحب حماة وهو مستشعر خائف من غدرهم ثم رحلوا من حماة الى حمص فلما قارب التتر حماة خرج منها الملك المنصور صاحبها وصحبته أخوه الملك الافضل على والامير مبارز الدين وباقى العسكر واجتمعوا بحمص مع باقى العساكر الى ان خرجت هذه السنة (ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة)

(ذكر كسرة التتر على حمص)

وفي يوم الجمعة خامس المحرم من هذه السنة كانت كسرة التتر على حمص وكان من حديثها ان التتر لما قدموا في آخر السنة الماضية الى الشام اندفعت العزيزية والناصرية من بين أيديهم وكذلك الملك المنصور صاحب حماة ووصلوا الى حمص واجتمع بهم الملك الاشرف صاحب حمص ووقع اتفاقهم على ملتقى التتر وسارت التتر اليهم والتقوا بظاهر حمص في نهار الجمعة المذكور وكان التتر أكثر من المسلمين بكثير ففتح الله تعالى على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون منهم كيف شاؤا ووصل الملك المنصور الى حماة بعد هذه الوقعة وانضم من سلم من التتر الى باقى جماعتهم وكانوا نازلين قرب سلمية واجتمعوا ونزلوا على حماة وبها صاحبها الملك المنصور وأخوه الملك الافضل والعسكر وأقام التتر على حماة يوما واحدا ثم رحلوا عن حماة وأراد الملك المنصور بعد رحيل التتر المسير الى دمشق فمنعه العامة من ذلك حتى استوثقوا منه انه يعود اليهم عن قريب فسافر هو وأخوه الملك الافضل في جماعة قليلة وبقى الطواشى مرشد في باقى العسكر بحماة ووصل المنصور بمن معه الى دمشق وكذلك توجه الملك الاشرف صاحب حمص الى دمشق وأما حسام الدين الجوكندار العزيزى فتوجه أيضاً بمن في صحبته ولم

يدخل دمشق ونزل بالمرج ثم سار الى مصر وأقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق في دورهما والحاكم بها يومئذ سنجر الحلبي الملقب بالسلطان الملك المجاهد وقد اضطرب أمره ولذلك أقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق ولم يدخلا في طاعته لضعفه وتلاشى أمره وأما التتر فساروا عن حماة الى قامية وكان قد وصل الى قامية سيف الدين الدنبلي الاشرفي ومعه جماعة فأقام بقلعة قامية وبقي يغير على التتر فرحلوا عن قامية وتوجهوا الى الشرق

(ذكر القبض على سنجر الحلبي الملقب بالملك المجاهد)

(وفي هذه السنة) جهز الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر عسكرا مع علاء الدين البندقدار وهو أستاذ الملك الظاهر لقتال علم الدين سنجر الحلبي المستولى على دمشق فوصلوا الى دمشق في ثالث عشر صفر من هذه السنة ولما وصل عسكر مصر الى دمشق خرج اليهم الحلبي لقتالهم وكان صاحب حماة وصاحب حمص مقيمين بدمشق لم يخرجا مع الحلبي لقتالهم ولا أطاعاه لاضطراب أمر الحلبي واقتتل معهم بظاهر دمشق في ثالث عشر صفر من هذه السنة أعنى سنة تسع وخمسين وستمائة فولى الحلبي وأصحابه منهزمين ودخل الى قلعة دمشق الى ان جنه الليل فهرب من قلعة دمشق الى جهة بعلبك فتبعه العسكر وقبضوا عليه وحمل الى الديار المصرية فاعتقل ثم أطلق واستقرت دمشق في ملك الملك الظاهر بيبرس وأقيمت له الخطبة بها وبغيرها من الشام مثل حماة وحلب وحمص وغيرها واستقر ايدكين البندقدار الصالحي في دمشق لتدبير أمورها ولما استقر الحال على ذلك رحل الملك المنصور صاحب حماة والاشرف صاحب حمص وعادا الى بلادهما واستقرا بها

(ذكر خروج البرلي عن طاعة الملك الظاهر بيبرس واستيلائه على حلب)

(وفي هذه السنة) بعد استقرار علاء الدين ايدكين البندقدار في دمشق ورد عليه مرسوم الملك الظاهر بيبرس بالقبض على بهاء الدين بغدى الاشرفي وعلى شمس الدين أقوش البرلي وغيرهما من العزيزية والناصرية وبقي علاء الدين ايدكين متوقعا ذلك فتوجه بغدى الى علاء الدين ايدكين فحال دخوله عليه قبض على بغدى المذكور فاجتمعت العزيزية والناصرية الى أقوش البرلي وخرجوا من دمشق ليلا على حمية ونزلوا بالمرج وكان أقوش البرلي قد ولاه المظفر قطز غزة والسواحل على ماقدمنا ذكره فلما جهز الملك الظاهر أستاذه البندقدار الى قتال الحلبي أرسل الى البرلي وأمره أن ينضم اليه فسار البرلي مع البندقدار وأقام بدمشق فلما قبض على بغدى خرج البرلي الى المرج وأرسل علاء الدين

ايدكين البندقدارى الى البرلي يطيب قلبه ويحلف له فلم يلتفت الى ذلك وسار البرلي الى حمص وطلب من صاحبها الاشرف موسى أن يوافقه على العصيان فلم يجبه الى ذلك ثم توجه الى حماة وأرسل يقول للملك المنصور صاحب حماة انه لم يبق من البيت الايوبي غيرك وقم لنصير معك ونملكك البلاد فلم يلتفت الملك المنصور الى ذلك ورده ردا قبيحا فاغتاظ البرلي ونزل على حماة واحرق زرع بيدر العشر وسار الي شيزر ثم الى جهة حلب وكان علاء الدين ايدكين البندقدار لما استقر بدمشق قد جهز عسكرا صحبة فخر الدين الحمصي للكشف عن البيرة فان التتر كانوا قد نازلوها فلما قدم البرلي الى حلب كان بها فخر الدين الحمصي المذكور فقال له البرلي نحن في طاعة الملك الظاهر فتمضى الى السلطان وتسأله أن يتركني ومن في صحبتي مقيمين بهذا الطرف ونكون تحت طاعته من غير أن يكلفني وطئ بساطه فسار الحمصي الى جهة مصر ليؤدى هذه الرسالة فلما سار عن حلب تمكن البرلي واحتاط على مافي حلب من الحواصل واستبد بالامر وجمع العرب والتركمان واستعد لقتال عسكر مصر ولما توجه فخر الدين الحمصي لذلك التقى في الرمل جمال الدين المحمدى الصالحي متوجها بمن معه من عسكر مصر لقتال البرلي وامساكه فأرسل الحمصي عرف الملك الظاهر بما طلبه البرلي فأرسل الملك الظاهر ينكر على فخر الدين الحمصي المذكور ويأمره بالانضمام الى المحمدى والمسير الى قتال البرلي فعاد من وقته ثم رضى الملك الظاهر عن علم الدين سنجر الحلبي وجهزه وراء المحمدى في جمع من العسكر ثم أردفه بعز الدين الدمياطي في جمع آخر وسار الجميع الى جهة البرلي وساروا الى حلب وطردوه عنها وانقضت السنة والامر على ذلك

(ذكر مقتل الملك الناصر يوسف)

(وفي هذه السنة) ورد الخبر بمقتل الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وعقد عزاه بجامع دمشق في سابع جمادى الاولى من هذه السنة أعنى سنة تسع وخمسين وستمائة وصورة الحال في قتله انه لما وصل الى هولاكو على ماقدمنا ذكره وعده برده الى ملكه وأقام عند هولاكو مدة * فلما بلغ هولاكو كسرة عسكره بعين جالوت وقتل كتبغا ثم كسرة عسكره على حمص ثانيا غضب من ذلك وأحضر الملك الناصر المذكور وأخاه الملك الظاهر غازى وقال له أنت قلت ان عسكر الشام في طاعتك فغدرت بي وقتلت المغل فقال الملك الناصر لو كنت بالشام ماضرب أحد في وجه عسكرك بالسيف ومن يكون ببلاد توريز كيف يحكم على بلاد الشام فاستوفي هولاكو لعنه الله ناصحا وضربه به فقال الملك الناصر ياخوند الصنيعة فنهاه أخوه الظاهر وقال قد حضرت ثم رماه

بفردة ثانية فقتله ثم أمر بضرب رقاب الباقين فقتلوا الظاهر أخا الملك الناصر والملك الصالح ابن صاحب حمص والجماعة الذين كانوا معهم واستبقوا الملك العزيز ابن الملك الناصر لانه كان صغيرا فبقى عندهم مدة طويلة وأحسنوا اليه ثم مات وكان قد تولى الملك الناصر المذكور مملكة حلب بعد موت أبيه العزيز وعمره سبع سنين وأقامت جدته ضيفة خاتون بنت الملك العادل بتدبير مملكته واستقل بالملك بعد وفاتها في سنة أربعين وستمائة وعمره ثلاث عشرة سنة وزاد ملكه على ملك أبيه وجده فانه ملك مثل حران والرها والرقة ورأس عين وما مع ذلك من البلاد وملك حمص ثم ملك دمشق وبعلبك والاغوار والسواحل الى غزة وعظم شأنه وكسر عساكر مصر وخطب له بمصر وبقلعة الجبل على الوجه الذى تقدم ذكره وكان قد غلب على الديار المصرية لولا هزيمته وقتل مدبر دولته شمس الدين لولو الارمنى ومخامرة مماليك أبيه العزيزية وكان يذبح في مطبخه كل يوم أربعمائة رأس غنم وكانت سماطاته وتجمله في الغاية القصوى وكان حليما وتجاوز به الحلم الى حد أضر بالمملكة فانه لما أمنت قطاع الطريق في أيام مملكته من القتل والقطع تجاوزوا الحد في الفساد بالمملكة وانقطعت الطرق في أيامه وبقى لايقدر المسافر على السفر من دمشق الى حماة وغيرها الا برفقة من العسكر وكثر طمع العرب والتركمان في أيامه وكثرت الحرامية وكانوا يكبسون الدور ومع ذلك اذا حضر القاتل الى بين يدى الملك الناصر المذكور يقول الحى خير من الميت ويطلقه فأدى ذلك الى انقطاع الطرقات وانتشار الحرامية والمفسدين وكان على ذهن الناصر المذكور شيء كثير من الادب والشعر ويروى له أشعار كثيرة منها

فوالله لو قطعت قلبي تأسفا ... وجرعتنى كاسات دمعى دما صرفا
لما زادنى الاهوى ومحبة ... ولا اتخذت روحى سواك لها الفا

وبنى بدمشق مدرسة قريب الجامع تعرف بالناصرية ووقف عليها وقفا جليلا وبنى بالصالحية تربة غرم عليها جملا مستكثرة فدفن فيها كرمون وهو بعض أمراء التتر وكانت منية الملك الناصر ببلاد العجم وكان مولد الناصر المذكور في سنة سبع وعشرين وستمائة فيكون عمره اثنتين وثلاثين سنة تقريبا

ذكر مبايعة شخص بالخلافة واثبات نسبه

(وفي هذه السنة) في رجب قدم الى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص أسود اللون اسمه أحمد زعموا انه ابن الامام الظاهر بالله محمد ابن الامام الناصر وانه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلسا حضر فيه جماعة من الاكابر منهم الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام والقاضى تاج الدين

عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الاعز فشهد أولئك العرب ان هذا الشخص المذكور هو ابن الظاهر محمد ابن الامام الناصر فيكون عم المستعصم وأقام القاضى جماعة من الشهود اجتمعوا بأولئك العرب وسمعوا شهاداتهم ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة فاثبت القاضى تاج الدين نسب أحمد المذكور ولقب المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الظاهر بالله محمد وبايعه الملك الظاهر والناس بالخلافة واهتم الملك الظاهر بأمره وعمل له الدهاليز والجمدارية وآلات الخلافة واستخدم له عسكرا وغرم على تجهيزه جملا طائلة قيل أن قدر ماغرمه عليه ألف ألف دينار وكانت العامة تلقب الخليفة المذكور بالزرابيني وبرز الملك الظاهر والخليفة الاسود المذكور في رمضان من هذه السنة وتوجها الى دمشق وكان في كل منزلة يمضى الملك الظاهر الى دهليزه الخاص به ولما وصلا الي دمشق نزل الملك الظاهر بالقلعة ونزل الخليفة في جبل الصالحية ونزل حول الخليفة أمراؤه وأجناده ثم جهز الخليفة بعسكره الي جهة بغداد طمعا في انه يستولي على بغداد ويجتمع عليه الناس فسار الخليفة الاسود بعسكره من دمشق وركب الملك الظاهر وودعه ووصاه بالتأنى في الامور ثم عاد الملك الظاهر الى دمشق من توديع الخليفة ثم سار الى الديار المصرية ودخلها في سابع عشر ذى الحجة من هذه السنة ووصلت اليه كتب الخليفة بالديار المصرية انه قد استولى على عانة والحديثة وولى عليهما وان كتب أهل العراق وصلت اليه يستحثونه على الوصول اليهم ثم قبل أن يصل الى بغداد وصلت اليه التتر وقتلوا الخليفة المذكور وقتلوا غالب أصحابه ونهبوا ماكان معه وجاءت الاخبار بذلك

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) لما سار الملك الظاهر الى الشام أمر القاضى شمس الدين بن خلكان فسافر في صحبته من مصر الى الشام فعزل عن قضاء دمشق نجم الدين بن صدر الدين ابن سنا الدولة وكان قطز قد عزل المحى بن الزكى الذى ولاه هولاكو القضاء وولى ابن سنا الدولة فعزله الملك الظاهر في هذه السنة وولى القضاء شمس الدين بن خلكان (وفيها) قدم أولاد صاحب الموصل وهم الملك الصالح اسمعيل ثم أخوه الملك المجاهد اسحق صاحب جزيرة ابن عمر ثم أخوهما الملك المظفر على صاحب سنجار أولاد لولو فاحسن الملك الظاهر اليهم وأعطاهم الاقطاعات الجليلة بالديار المصرية واستمروا في أرغد عيش في طول مدة الملك الظاهر (وفيها) في ربيع الآخر وردت الاخبار من ناحية عكا ان سبع جزائر في البحر خسف بها وبأهلها وبقى أهل عكا لابسين السواد وهم يبكون ويستغفرون من الذنوب بزعمهم (وفيها) جهز الملك الظاهر بيبرس

بدر الدين الايدمرى فتسلم الشوبك في سلخ ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة تسع وخمسين وستمائة وأخذها من الملك المغيث صاحب الكرك (ثم دخلت سنة ستين وستمائة) في هذه السنة في نصف رجب وردت جماعة من مماليك الخليفة المستعصم البغاددة وكانوا قد تأخروا في العراق بعد استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة وكان مقدمهم يقال له شمس الدين سلار فاحسن الملك الظاهر بيبرس ملتقاهم وعين لهم الاقطاعات بالديار المصرية (وفيها) في رجب أيضا وصل الى خدمة الملك الظاهر بيبرس بالديار المصرية عماد الدين بن مظفر الدين صاحب صهيون رسولا من أخيه سيف الدين صاحب صهيون وصحبته هدية جليلة فقبلها الملك الظاهر وأحسن اليه (وفيها) جهز الملك الظاهر عسكرا الى حلب وكان مقدمهم شمس الدين سنقر الرومى فامنت بلاد حلب وعادت الى الصلاح ثم تقدم الملك الظاهر بيبرس الى سنقر الرومى والى صاحب حماة الملك المنصور والى صاحب حمص الملك الاشرف موسى أن يسيروا الى انطاكية وبلادها للاغارة عليها فساروا اليها ونهبوا بلادها وضايقوها ثم عادوا فتوجهت العساكر المصرية صحبة سنقر الرومى الى مصر ووصلوا اليها في تاسع عشرين رمضان من هذه السنة ومعهم ماينوف عن ثلثمائة أسير فقابلهم الملك الظاهر بالاحسان والانعام (وفيها) لما ضاقت على اقوش البرلى البلاد وأخذت منه حلب ولم يبق بيده غير البيرة دخل في طاعة الملك الظاهر وسار اليه فكتب الملك الظاهر الى النواب بالاحسان اليه وترتيب الاقامات له في الطرقات حتى وصل الى الديار المصرية في ثانى الحجة من هذه السنة أعنى سنة ستين فتلقاه الملك الظاهر وبالغ في الاحسان اليه وأكثر له العطاء فسأل اقوش البرلى من الملك الظاهر أن يقبل منه البيرة فلم يفعل وما زال يعاوده حتى قبلها وبقى اقوش البرلى العزيز المذكور مع الملك الظاهر الى أن تغير عليه وقبضه في رجب سنة احدى وستين وستمائة فكان آخر العهد به (وفيها) في ذى القعدة قبض الملك الظاهر على نائبه بدمشق وهو علاء الدين طيبرس الوزيرى وكان قد تولى دمشق بعد مسير علاء الدين ايدكين البندقدارى عنها وسبب القبض عليه انه بلغ الملك الظاهر عنه أمور كرهها فارسل اليه عسكرا مع عز الدين الدمياطى وغيره من الامراء فلما وصلوا الى دمشق خرج طيبرس لتلقيهم فقبضوا عليه وقيدوه وأرسلوه الى مصر فحبسه الملك الظاهر واستمر الحاج طيبرس في الحبس سنة وشهرا وكانت مدة ولايته بدمشق سنة وشهرا أيضاً وكان طيبرس المذكور ردىء السيرة في أهل دمشق حتى نزح عنها جماعة كثيرة من ظلمه وحكم فى دمشق بعد قبض طيبرس المذكور علاء الدين ايدغدى الحاج الركنى ثم استناب الملك الظاهر على دمشق الامير جمال الدين اقوش النجيبى

الصالحى (وفيها) في يوم الخميس في أواخر ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة ستين وستمائة جلس الملك الظاهر مجلسا عاما وأحضر شخصاً كان قد قدم الى الديار المصرية في سنة تسع وخمسين وستمائة من نسل بنى العباس يسمى أحمد بعد ان أثبت نسبه وبايعه بالخلافة ولقب أحمد المذكور الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين * وقد اختلف في نسبه فالذى هو مشهور بمصر عند نسابة مصر انه أحمد بن حسن بن أبى بكر ابن الامير أبى على القبى ابن الامير حسن بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر وقد مر نسب المستظهر مع جملة خلفاء بنى العباس وأما عند الشرفاء العباسيين السلمانين في درج نسبهم الثابت فقالوا هو أحمد بن أبى بكر على بن أبى بكر أحمد ابن الامام المسترشد الفضل ابن المستظهر * ولما أثبت الملك الظاهر نسب المذكور نزله في برج محترزا عليه وأشرك له الدعاء في الخطبة لاغير ذلك (وفيها) جهز الملك المنصور صاحب حماة شيخ الشيوخ شرف الدين الانصارى رسولا الى الملك الظاهر ووصل شيخ الشيوخ المذكور فوجد الملك الظاهر عاتباً على صاحب حماة لاشتغاله عن مصالح المسلمين باللهو وأنكر الملك الظاهر على الشيخ شرف الدين ذلك ثم انصلح خاطره وحمله ماطيب به قلب صاحبه الملك المنصور ثم عاد الى حماة (وفيها) توفي الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقى الامام في مذهب الشافعى وله مصنفات جليلة في المذهب وكانت وفاته بمصر رحمه الله تعالى (وفيها) في ذى الحجة توفي الصاحب كمال الدين عمر بن عبد العزيز المعروف بابن العديم انتهت اليه رياسة أصحاب أبى حنيفة وكان فاضلا كبير القدر ألف تاريخ حلب وغيره من المصنفات وكان قد قدم الى مصر لما جفل الناس من التتر ثم عاد بعد خراب حلب اليها * فلما نظر مافعله التتر من خراب حلب وقتل أهلها بعد تلك العمارة قال في ذلك قصيدة طويلة منها

هو الدهر ماتبنيه كفاك يهدم ... وان رمت انصافاً لديه فتظلم
أباد ملوك الفرس جمعا وقيصرا ... وأصمت لدى فرسانها منه أسهم
وأفنى بنى أيوب مع كثر جمعهم ... وما منهم الا مليك معظم
وملك بنى العباس زال ولم يدع ... لهم أثرا من بعدهم وهم هم
واعتابهم أضحت تداس وعهدها ... تباس بأفواه الملوك وتلثم
وعن حلب ماشئت قل من عجائب ... أحل بها ياصاح ان كنت تعلم

(ومنها)

فيالك من يوم شديد لغامه ... وقد أصبحت فيه المساجد تهدم
وقد درست تلك المدارس وارتمت ... مصاحفها فوق الثرى وهى ضخم

وهى طويلة وآخرها

ولكنما لله في ذا مشيئة فيفعل فينا مايشاء ويحكم

(ثم دخلت سنة احدى وستين وستمائة)

ذكر مسير الملك الظاهر الى الشام

(في هذه السنة) في حادى عشر ربيع الآخر سار الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية الي الشام فلاقته والدة الملك المغيث عمر صاحب الكرك بغزة وتوثقت لابنها الملك المغيث من الملك الظاهر بالامان وأحسن اليها ثم توجهت الى الكرك وتوجه صحبتها شرف الدين الجاكى المهمندار برسم حمل الاقامات الى الطرقات برسم الملك المغيث ثم سار الملك الظاهر من غزة ووصل الي الطور في ثانى عشر جمادى الاولى من هذه السنة ووصل اليه على الطور الاشرف موسى صاحب حمص في نصف الشهر المذكور فاحسن اليه الملك الظاهر وأكرمه

(ذكر حضور الملك المغيث صاحب الكرك وقتله واستيلاء الملك الظاهر بيبرس على الكرك

(وفي هذه السنة) كان مقتل الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل أبى بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب الكرك وسببه انه كان في قلب الملك الظاهر بيبرس منه غليظ عظيم لامور كانت بينهما قيل ان المغيث المذكور أكره امرأة الملك الظاهر بيبرس لما قبض المغيث على البحرية وأرسلهم الى الناصر يوسف صاحب دمشق وهرب الملك الظاهر بيبرس المذكور وبقيت امرأته في الكرك والله أعلم بحقيقة ذلك وكان من حديث مقتله ان الملك الظاهر بيبرس مازال يجتهد على حضور المغيث المذكور وحلف لوالدته على غزة كما تقدم ذكره وكان عند المغيث شخص يسمى الامجد وكان يبعثه في الرسيلة الى الملك الظاهر فكان الظاهر يبالغ في اكرامه وتقريبه فاغتر الامجد بذلك ومازال على مخدومه الملك المغيث حتى أحضره الى الملك الظاهر حكى لى شرف الدين بن مزهر وكان ابن مزهر المذكور ناظر خزانة المغيث قال لما عزم المغيث على التوجه الى خدمة الملك الظاهر لم يكن قد بقى بخزانته شئ من المال ولا القماش وكان لوالدته حواصل بالبلاد فبعناها بأربعة وعشرين ألف درهم واشترينا باثنى عشر ألف درهم خلعا من دمشق وجعلنا في صناديق الخزانة الاثنى عشر الالف الاخرى ونزل المغيث من الكرك وأنا والامجد وجماعة من أصحابه معه في خدمته قال وشرعت البريدية تصل الى الملك المغيث في

كل يوم بمكاتبات الملك الظاهر ويرسل صحبتهم مثل غزلان ونحوها والمغيث يخلع عليهم حتى نفد ما كان بالخزنة من الخلع * ومن جملة ما كتب اليه في بعض المكاتبات المملوك ينشد في قدوم مولانا

خليلى هل أبصرتما أوسمعتما بأكرم من مولى تمشى الى عبد

قال وكان الخوف في قلب المغيث شديدا من الملك الظاهر * قال ابن مزهر المذكور ففاتحنى في شئ من ذلك بالليل فقلت له احلف الى انك لاتقول للامجد ماأقوله لك حتى أنصحك فحلف لى فقلت له أخرج الساعة من تحت الخام واركب حجرتك النجيلة ولا يصبح لك الصباح الا وأنت قد وصلت الى الكرك فتعصى فيه ولا تفكر بأحد قال ابن مزهر فغافلنى وتحدث مع الامجد في شئ من ذلك فقال له الامجد هذا رأى ابن مزهر اياك من ذلك وسار المغيث حتى وصل الي بيسان فركب الملك الظاهر بعساكره والتقاه في يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الاولى من هذه السنة فلما شاهد المغيث الملك الظاهر ترجل فمنعه الملك الظاهر وأركبه وساق الى جانبه وقد تغير وجه الملك الظاهر فلما قارب الدهليز أفرد الملك المغيث عنه وأنزله في خيمة وقبض عليه وأرسله معتقلا الى مصر فكان آخر العهد به قيل انه حمل الى امرأة الملك الظاهر بيبرس بقلعة الجبل فامرت جواريها فقتلته بالقباقيب ثم قبض الملك الظاهر على جميع أصحاب المغيث ومن جملتهم ابن مزهر المذكور ثم بعد ذلك أفرج عنهم انتهى كلام ابن مزهر * ولما التقى الملك الظاهر بيبرس الملك المغيث المذكور وقبض عليه أحضر الفقهاء والقضاة وأوقفهم على مكاتبات من التتر الى الملك المغيث أجوبة عما كتب اليهم به في اطماعهم في ملك مصر والشام وكتب بذلك مشروح وأثبت على الحكام وكان للملك المغيث المذكور ولد يقال له الملك العزيز أعطاه الملك الظاهر اقطاعاً بديار مصر وأحسن اليه ثم جهز الملك الظاهر بدر الدين البيسرى الشمسى وعز الدين استاذ الدار الى الكرك فتسلماها في يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة أعنى سنة احدى وستين وستمائة ثم سار الملك الظاهر ووصل الى الكرك ورتب أمورها ثم عاد الى الديار المصرية فوصل اليها في سابع عشر رجب من هذه السنة

ذكر الاغارة علي عكا وغيرها

(وفي هذه السنة) لما كان الملك الظاهر نازلا على الطور أرسل عسكرا هدموا كنيسة الناصرة وهى من أكبر مواطن عبادات النصارى لان منها خرج دين النصرانية وأغاروا على عكا وبلادها فغنموا وعادوا ثم ركب الملك الظاهر بنفسه وجماعة اختارهم

وأغار ثانياً على عكا وبلادها وهدم برجا كان خارج البلد وذلك عقيب اغارة عسكره وهدم الكنيسة الناصرة

ذكر القبض على من يذكر

(وفيها) بعد وصول الملك الظاهر بيبرس الى مصر واستقراره في ملكه في رجب قبض على الرشيدى ثم قبض فى ثانى يوم على الدمياطى والبرلى * وقد تقدمت أخبار البرلى المذكور

ذكر وفاة الاشرف صاحب حمص

(وفي هذه السنة) بعد عود الملك الاشرف صاحب حمص موسى ابن الملك المنصور ابراهيم ابن الملك المجاهد شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي من خدمة الملك الظاهر بيبرس الى حمص مرض واشتد به المرض وتوفي الى رحمة الله تعالى وأرسل الملك الظاهر وتسلم حمص في ذى القعدة من هذه السنة أعنى سنة احدى وستين وستمائة وهذا الملك الاشرف موسى هو آخر من ملك حمص من بيت شيركوه وقد تقدمت أخبار الاشرف موسى المذكور وأخذ الملك الناصر يوسف صاحب حلب منه حمص بسبب تسليمه شيميس للملك الصالح أيوب صاحب مصر وانه يعوض عن حمص تل باشر ثم أعاد هولاكو عليه حمص فبقيت في يده حتى توفي في أواخر هذه السنة وانتقلت حمص الى مملكة الملك الظاهر بيبرس في ذى القعدة حسبما ذكر وكان جملة من ملك حمص منهم خمسة ملوك أولهم شيركوه بن شاذى ملكه اياها نور الدين الشهيد ثم ملكها من بعده ابنه ناصر الدين محمد بن شيركوه ثم ملكها بعده ابنه شيركوه ابن محمد وتلقب بالملك المجاهد ثم ملكها بعده ابنه ابراهيم بن شيركوه وتلقب بالملك المنصور ثم ملكها بعده ابنه موسى بن ابراهيم وتلقب بالملك الاشرف حتى توفي في هذه السنة وانقرض بموته ملك المذكورين (ثم دخلت سنة اثنتين وستين وستمائة) في هذه السنة قبض الاشكرى صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكاؤس بن كيخسرو ابن كيقباذ صاحب بلد الروم وسببه ان عز الدين كيكاؤس المذكور كان قد وقع بينه وبين أخيه فاستظهر أخوه عليه فهرب كيكاوس وبقى أخوه ركن الدين قليج أرسلان في سلطنة بلاد الروم ثم سار كيكاوس المذكور الى قسطنطينية فاحسن اليه الاشكرى صاحب قسطنطينية والى من معه من الامراء واستمروا كذلك مدة فعزمت الامراء والجماعة الذين كانوا مع عز الدين المذكور على اغتيال الاشكرى وقتله والتغلب على قسطنطينية وبلغ ذلك الاشكرى فقبض عليهم واعتقل عز الدين كيكاوس بن كيخسرو في بعض القلاع وكحل الامراء والجماعة الذين كانوا عزموا على ذلك فاعمى عيونهم

وقد تقدم ذكر كيكاوس المذكور وأخيه قليج أرسلان في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة (وفيها) في ثامن رمضان توفي الشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الانصارى المعروف بشيخ الشيوخ بحماة وكان مولده في جمادى الاولى سنة ست وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى وكان دينا فاضلا متقدما عند الملوك وله النثر البديع والنظم الفائق وكان غزير العقل عارفاً بتدبير المملكة فمن حسن تدبيره ان الملك الافضل على ابن الملك المظفر محمود لما ماتت والدته غازية خاتون بنت الملك الكامل رحمهما الله تعالى حصل عند الملك الافضل المذكور استشعار من أخيه الملك المنصور محمد صاحب حماة فعزم على أن ينتزح من حماة ويفارق أخاه الملك المنصور وأذن له أخوه الملك المنصور في ذلك فاجتمع الشيخ شرف الدين المذكور بالملك الافضل وعرفه مايعتمده من السلوك مع أخيه الملك المنصور ثم اجتمع بالملك المنصور وقبح عنده مفارقة أخيه وما برح بينهما حتى أزال ماكان في خواطرهما وصار للملك الافضل في خاطر أخيه الملك المنصور من المحبة والمكانة مايفوت الوصف وكان ذلك من بركة شرف الدين المذكور وللشيخ شرف الدين المذكور أشعار فائقة قد تقدم ذكر بعضها وكان مرة مع الملك الناصر يوسف صاحب الشام بعمان فعمل الشيخ شرف الدين

أفدى حبيبا منذ واجهته ... عن وجه بدر التم اغنانى
في وجهه خالان لولاهما ... مابت مفتونا بعمان

وأنشدهما للملك الناصر فاعجباه الى الغاية وجعل يردد انشادهما وقال لكاتبه كمال الدين بن العجمى هكذا تكون الفضيلة فقال ابن العجمى ان التورية لاتخدم هنا لان عمان مجرورة في النظم فلا تخدمه في التورية فقال الملك الناصر للشيخ شرف الدين ماقاله فقال شرف الدين ان هذا جائز وهو أن يكون المثنى في حالة الجر على صورة الرفع واستشهد شرف الدين بقول الشاعر

فاطرق اطراق الشجاع ولو رأى ... مساغا لناباه الشجاع لصمما

واستشهد بغير ذلك فتحقق الملك الناصر فضيلته (ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة)

تم الجزء الثالث من تاريخ أبى الفداء
ويليه الجزء الرابع وأوله
ذكر فتوح قيسارية